مذكرات مقاتل

مذكرات مقاتل

رواية

المؤلف

د. كمال سعدي

ترجمة

نجاة خوشناو

أربيل - ٢٠٢٠

دار موكرياني للطباعة والنشر

- مذكرات مقاتل (رواية).
- المؤلف: د. كمال سعدي.
- ترجمة: نجاة خوشناو.
- التصميم: ريمان عبدالجبار رحمان.
- الطبعة: الأولى - ٢٠٢٠.
- عدد: (٥٠٠) نسخة.
- مطبعة: طهران.
- السعر: (٤٠٠٠) دينار.
- في وزارة الثقافة / المديرية العامة للمكتبات، رقم الإيداع (٨٩٠) لسنة (٢٠١٨).

تسلسل الكتاب (١٠١٦)

Email: info@Mukiryani.com
Web Stie: www.Mukiryani.com

التمرين و التدريب

نهضت من النوم بعد صلاة الفجر و ذهبت الى الحمام، لأجل الاستحمام و حلاقة ذقني، بعد الانتهاء من الاستحمام، وجدت الفطور جاهزا و تناولت الجبن الكوردي المعروف بمذاقه و لذته مع الشاي السنكين، فهذا الفطور كان يمثل فطور الأسر الارستقراطية و الغنية، ثم وضعت طقما من الملابس و البيجامة و المنشفة و مستلزمات الحلاقة مع رواية (الآم) للكاتب (مكسيم غوركي) في الحقيبة التي حملتها و وضعتها على كتفي، ثم احتضنت والدتي الحنونة و قبلت يديها في ظل اجواء مفعمة بالعاطفة الجياشة التي جرفت احاسيسنا مثل أمواج البحر الهائجة التي كانت تتلاطم بجنون، بادلتني والدتي هذه المشاعر عندما قامت بتقبيل جبيني و عيونها تذرف الدموع مدرارا التي كانت تنزل قطرة فقطرة على خدها، حيث كانت تردد بصوت منخفض و مع نفسها (آية الكرسي) بالذات تحت اذني ثم رفعت يديها الى السماء و هي تدعوا و تتذرع من الله عز و جل قائلة: يا رب العالمين احفظ عائلتي التي تتميز بالاستقامة و الامانة و النزاهة، لذلك سأجعلهم امانة لديك و تحفظهم برحمتك الواسعة التي تتسع و تشمل كل شيء، اخيرا رافقتني حتى عتبة الباب فودعتني.

اخذت طريقي و السير رويدا رويدا نحو الشوارع الرئيسية الموجودة في الحي الذي نسكن فيه، مع السير بهدوء، كنت التفت بعض الاحيان الى جهة باب بيتنا مركزا نظري على والدتي المسكينة و ملامحها الحزينة، في هذه اللحظات كنت احس بأن دمعات عيني محبوسة و محصورة و أنا تحت ضغوطات الابتعاد عن أحبتي و عاطفتي التي ترفض دائما الفراق و لا اتحمله ابدا، لذلك كنت احس بأن ساقاي تتعتثر و عاجز تماما عن المشيي و السير نحو الامام، بحيث و كأنهم يأخذونني الى السجن، حاولت السيطر على معنوياتي و التحمل و ابعاد نفسي عن الانهيار امام والدتي.

وصلت الى منطقة وقوف الباصات، فوجدت هناك (خدر و عبو و زياد حيران) واقفين ينتظرون الباص، زياد حيران الذي كان ذاهبا لأجل المباشرة في اليوم الاول بعمله في مطبعة وزارة التربية، بينما كان خدر و عبو كانا يمازحان معه، عندما اقتربت منهم و سلمت عليهم، زياد حيران التفت نحوي و هو مندهش، قائلا: الى اين أنت ذاهب و ما هذه الحقيبة الموجودة على كتفك؟

قلت مخاطبا الموجودين: يا اصدقائي الاعزاء، اطلب منكم تبرئة ذمتي و الصفح عن أي تقصير و التسامح،، لأنني ذاهب الى الخدمة العسكرية و من الممكن أن أغيب عنكم لفترة طويلة.

عندما ذكرت العبارة الاخيرة، شاهدت الموجودين ينظرون الى بعضهم البعض و هم في حالة ذهول، سمعتهم يقولون: لكن نحس بان هناك شيء ما مخفي خلف الكواليس، لذلك نرجوك أن تقول لنا الحقيقة و لا تجعلنا في حالة قلق؟

اقتربت منهم و احتضنتهم بحرارة و قلت: صدقوني انني اقول الحقيقة و لن أمزح معكم.

خدر.... تدخل قائلا: من اين جاء هذا الحديث المحير، خصوصا و نحن بالامس كنا نلعب سويا كرة القدم، لذلك من الصعوبة تصديق ما تقوله هذا الحديث ابدا، لذلك استغربنا من هذا القرار و هذا الحدث المفاجيء؟

قلت: ان الجواب على هذا السؤال يحتاج اولا سرد قصة طويلة، يحتاج الجلسة الطويلة والوقت الكافي، في حين نحن مشغولين بمواعيد، فمثلا هذا (زياد حيران) متوجه الى الدوام الرسمي و أنا ذاهب الى دائرة التجنيد، بينما الباص كان يقترب منا، لذلك قلت لهم: انني لا استطيع تكملة حديثي و التأخر أكثر، لكن في حال عودتي من الاجازة سأتعهد بأنني سأسرد لكم الاحداث بالتفصيل.

وصل الباص، ودعتهم بعد تقبيل الجميع، صعدت الباص مع زياد حيران، اخرج الجابي بطاقات استيفاء الأجرة من الركاب من الحقيبة التي تستوجب على الجابي حملها، لأجل حفظ ما يحمله، قطع لنا بطاقتين، اخرجت من جيبي عشرين فلسا لأجل تقديها للجابي، لكن زياد مسك يدي بقوة و منعني من دفعها، قائلا: أنت امامك سفر طويل و سيطول غيابك عنا، لهذا أنا سأدفع الاجرة.

المعروف عن زياد حيران بأنه حساس جدا و تراه يتأثر بأي مفردة او التعامل بطيقة قد تجرح احاسيسه الرقيقة، لكنه مع هذا كان يتصف بقلب كبير و متسامح، حتى أن زعله كان لا يطول كثيرا و يعود الى طبيعته سريعا.

رأيت الاسطة (علي باداويي) في الباص، و بما أنه كان بدون عمل في ذلك اليوم، لذلك كان يستغل هذه الفرصة و يذهب الى (مقهى علي) الذي كان يقع بالقرب من قلعة اربيل و مقابل الباب الكبير لقيصرية اربيل و بجانب سوق الهرج، ستجد هناك اغلبية الأسطوات و العمال في مدينة اربيل، حيث كانوا يتواجدون هناك، لكي يتبادلوا الحديث و الآراء و هم يحتسون الشاي، بينما البعض منهم كانوا ينشغلون بلعبة (الدومينو و الطاولي) بينما نجد آخرين واقفين امام المقهى و هم يراقبون كل مَنْ يمر من امامهم، على أمل العثور على عمل، تطول الجلسة الصباحية حتى وقت الظهيرة.

و هكذا كان يتكرر هذا الفلم في الفترة المسائية، بالذات مع انتهاء الاسطوات و العمال من عملهم اليومي، حيث كانوا يتجمعون حتى وقت متأخر من المساء.

بيت (الأسطة علي) كان يقع بالقرب من بيتنا، ففي العطلات الصيفية للمدارس، كان (أنا و اخي) نذهب معه للعمل في مجال حمل الطابوق و الأسمنت، أخي كان يستقيظ من النوم قبلي و يتصف بالجدية و الحرص على الحضور و النهوض مبكرا و عدم عن موعد العمل المعتاد، فمثلا، في اليوم الذي سيصادف فيها يستوجب التوجه للعمل، تجد الأسطة علي يناديا بصوته الكبير، قائلا: (انهضوا من النوم يا شباب، اليوم لدينا عمل) لذلك تجد اخي الذي كان معرفا بنومه الخفيف، ينهض النوم و ينطلق مثل الارنب البري و هو ما يزال تحت تأثير النوم، ليقول (لقد نهضنا من النوم يا أسطة علي).

شاهدني الأسطة علي حاملاً حقيبتي على كتفي، اندهش مما يشاهده و سألني : (الى اين أنت ذاهب يا ترى؟

أجبته قائلا: مواليدي مطلوب للتجنيد و الخدمة العسكرية، أنا ذاهب الى دائرة التجنيد و تسفيري الى مركز التدريب.

وجدت الاسطة علي مذهولا و قال: كيف يتم تجنيدك و تسفيرك للخدمة العسكرية و أنت مازالت طالباَ و مستمر في الدراسة؟

قلت له: أنا تركت الدراسة و المدرسة، لهذا يجب أن أتوجه للخدمة العسكرية.

الاسطة علي سحب نفسا عميقا و قال: اذهب برعاية الله.

عندما وصل الباص الى (فلكة الزعيم) ودعني زياد بحرارة ، وقف في مكانه الى أن تحرك الباص و رفع يده لكي يودعني.

مع وصولنا الى بناية محافظة اربيل، نهضت من مكاني، فوجدت الباص فارغا، أي بأستثنائي أنا فقط، نزلت حاملا حقيبتي و توجهت الى دائرة التجنيد التي كانت تقع في حي (طيرواه) و أنا في طريقي غرقت في خيال مليء بالعديد من الافكار السيئة التي كانت تثير التشاؤوم.

ان الحياة العسكرية بالنسبة لي، كانت تعتبر تجربة جديدة، لقد كنت احاول أن انسجم معها، لكن دون جدوى، فالذي كان مسيطرا على وضعي،

بالذات من الناحية النفسية، هي عدم تحمل الابتعاد عن عائلتي و الاصدقاء و المعارف، بالاخص اصدقائي زياد حيران و صابر رشيد، لذلك وقعت في حصار خيالي متشابك و معقد و بلا نهاية، بحيث نسيت طول المسافة و لم اعرف كيف قطعت الطريق بين المحافظة و دائرة التجنيد، كنت افكر بالأيام التي كنت فيها طالبا مع صابر رشيد و الاستاذ بولص افندي الذي كان مدرسا لمادة الاجتماعيات في اعدادية كردستان، حيث كانت يومياتنا من العائلة (خمسين فلسا) ففي بعض الايام كنا نشتري بها لفة لحم و في بعض الاحيان و اثناء عودتنا سويا من المدرسة كنا نشتري قرصين من الخبز الحار مع كيلو من الخيار، لكي نأكله طيلة الطريق و حتى وصولنا الى البيت.

فجأة اجد خيالي يأخذني الى زياد حيران، حيث تذكرت بعض الايام الجميلة، خصوصا الايام التي كنا نخصص يوميتنا نحن الأثنين لكي نشتري بها (ربع عرق) ثم نذهب الى (فيصل) الذي كان حارسا لبئر الماء في منطقتنا، كنا نعطيه (ربع العرق) لكي يشربه، عندما كان يقع في حالة السُكرْ الشديد، نجدهُ واقعا في الغناء بصوته المؤثر، يستمر في الغناء الرقص و اداء بعض الحركات المثيرة للضحك حتى الساعات المتأخرة من الليل، و في بعض الاحيان نجد (مام انور الجايجي) الذي كان بيته يقع بالقرب من البئر، يأتي و هو في حالة الغضب الشديد و يتحدث مع نفسه حتى وصوله الينا، نجده يقول (انني افكر جديا بترك المنطقة بسبب ما تخلقونه من ضجيج و فوضى، بحيث تم حرماني من النوم و اصبحتم مصدرا للأزعاج و مضايقتنا في المحلة)؟!

مفي حين تجدنا نحاول السبطرة على انفسنا و كأنه لم يحدث أي شيء، لا بل تجدنا ننهض واقفين احتراما و تقديرا له و نرحب به بحرارة و نقول له (تفضل مام انور و استمع معنا الى صوت و غناء كاك انور الذي يمتلك صوتا شجيا و مؤثرا)! !عندما كنا نقول هذه العبارة نجده اكثر غضبا و متضايقا الى حد أن يفقد السيطرة على نفسه، ملتفتا الى فيصل قائلا (من الممكن

ايجاد العذر لهؤلاء الشباب الذين ينقصهم الخبرة بالحياة، لكن انت الذي تشبه ثور الحراثة الهائج، ألا تخجل من نفسك و انت تشرب هذا السم و الزقنبوت ثم تفقد وعيك و تصبح مصدرا لأزعاج سكان المنطقة؟!).

فالمعروف عن فيصل بأنه كان يسكر مع أول كأس من العرق ليصل اخيرا الى قمة النشوة و الثمالة ليجد نفسه في عالم آخر ثم الغناء، بل في بعض الاحيان كان يعتقد بأن مام أنور مندهش و معجب بصوته و غناءه، لهذا جاء الى هنا، لذلك تجده يتشجع الى أن يرفع صوته الى طبقات أعلى في اداء المقام، لكن الغريب بأن مام أنور كان يضع يده على أذانه، لكي لا يسمع صوت فيصل التي كانت تعتبر مصدر ازعاج بالنسبة له، اخيرا نجد مام انور لا يجد امامه سوى الرضوخ لهذا الواقع المرير و العودة الى بيته ! !

لقد كنت غارقا في التفكير حتى وصولي الى دائرة التجنيد، بحيث تذكرت الكثير من االاحداث المثيرة التي اثارت بعض الراحة النفسية في اعماقي، هذه الدائرة كانت تقع في حي (طيراوه) على الشارع الثلاثيني، و تتكون من طابقين، كان هناك عدد من الدكاكين في الطابق الارضي، دائرة التجنيد كانت تقع في الطابق العلوي من البناية، تجمع العشرات من الشباب امام هذه البناية و كانوا ينتظرون قراءة اسماءهم و استلام دفتر الخدمة العسكرية.

كان هناك عريف واقف في (الشرفة – البلكونة) و بيده قائمة طويلة من الاسماء و يقرأ بصوت عال عن طريق المايكوفون، كان يقذف دفتر الخدمة من هناك الى المتواجدين، وقفت لبعض الوقت بين المتجمعين هناك و ركزت نظري عليهم، اقتربت من احدهم و سألته:

يا ترى هل تم استدعاء مواليدك للخدمة العسكرية؟

اجاب: نعم

فقلت له: هل تركت الدراسة؟

قال: كلا ، أنا اكملت الدراسة و خريج، يتم تسفيري الى الخدمة العسكرية مع مواليد ١٩٥٨.

قلت له: أنا تركت الدراسة و اريد اكمال الخدمة العسكرية، الالزامية، لكني لا اعرف من اين أبدأ و ماذا افعل؟

قال لي: اذهب الى الباب و ستجد هناك احد العرفاء واقفا هناك و يقوم بتجميع دفاتر الخدمة العسكرية و يأخذها الى الطابق الأعلى، لكن اذا كنت تعرف احدا من هؤلاء، سيتم انهاء المعاملة باسرع وقت و تسفيرك الى اقرب مكان.

عندما ذكر هذه العبارة، تذكرت النائب ضابط امجد و النائب عريف صابر مزوري، حيث كانا من سكان منطقتنا و لدي صداقة معهما، ذهبت الى الباب و قلت للنائب العريف الموجود في الباب، اريد الذهاب الى النائب ضابط امجد و العريف صابر مزوري.

سألني: هل تعرفهما و لديك صلة قرابة معهما؟

فقلت له: انهما من سكان منطقتنا و لدي صداقة معهما.

عندما ذكرت هذه العبارة، فسح لي المجال لكي ادخل، صعدت عن طريق السلم و نظرت الى الموجودين في الغرف، شاهدت العريف صابر الذي كان جالسا في غرفة صغيرة و امامه ميز و بعض المعاملات، فعندما شاهدني اندهش كثيرا، نهض من مكانه و سألني: ماذا تفعل هنا؟

قلت له: جئت الى هنا بارادتي و اريد التوجه الى الخدمة العسكرية؟

قال لي: اجلس، اشرب الشاي معي، ثم وضح لي سبب هذا القرار المفاجيء و لماذا فكرت بالذهاب الى الخدمة العسكرية؟

أوصى بجلب الشاي لي، مع شرب الشاي قلت له: انت تعلم بانني من مواليد (١٩٥٦) لكني لم التحق بالخدمة العسكرية مع مواليدي، لانني كنت طالب في ذلك الوقت و مستمر في الدراسة، لكن الآن و بعد تعييني بشهادة المتوسطة في الامانة العامة للبلديات و و السياحة، رسبت سنتين على التوالي

في مرحلة السادس الاعدادي، و ذلك بسبب غياباتي الكثيرة عن المدرسة، لهذا استوجب الالتحاق بالخدمة العسكرية.

بعد الانتهاء من حديثي، وجدت صاحبي يسحب تنفسا عميقا و قال لي: كنت اتمنى أن لا تتعين بل كان يجب عليك الاستمرار في الدراسة، انظر الى حالنا نحن، اجد أن وضع الكلاب السائبة افضل من حالنا هنا ! !

استمر في حديثه قائلا: هل تعتقد ان حياة العسكرية سهلة و مريحة، انني مستغرب كثيرا من كيفية أن تتخذ قرار ترك الدراسة و التوجه نحو الخدمة العسكرية؟!

عندما ذكر العبارة الاخيرة التي اثرت كثيرا على معنوياتي و وضعي القلق اصلا، ثم قلت له: ان الوضع خرج عن سيطرتي و ليس امامي خيار آخر سوى الخدمة العسكرية، انت تعرف جيدا بانني واجهت حياة الفقر و العوز كثيرا، لقد قضيت الكثير من حياتي و بالذات اثناء العطلة الصيفية في مجال العمل الصعب و يتمثل في العمالة و حمل البلوك و الطابوق و السمنت هذا بالاضافة الى تحمل تذمر و دمدمة الأسطة و صاحب العمل، لهذا كنت مجبرا على ترك الدراسة النهارية و التعيين في احدى الدوائر الرسمية، اخيرا تركت الدراسة.

مسك يدي يدي و اخذني غرفة تقع بجانب غرفته، و قبل أن يدخل الغرفة، قال لي: هل ترغب في الذهاب الى أي واحد من اصدقائنا؟

اجبته: لا اعرف

قال لي: سنذهب الى شخص يعتبر مسؤول عن ما تريده انت و بالتأكيد انك تعرفه جيدا.

عندما ذكر العبارة الاخيرة، توجه فكري و توقعاتي الى النائب ضابط (امجد) لذلك قلت له: اتوقع أن يكون صديقنا النائب ضابط (امجد)؟!

اجاب و الابتسامة ترتسم على وجهه قائلا: توقعاتك مضبوطة و دقيقة، انه الآن يمثل كل شيء هنا و لديه صلاحيات مدير التجنيد نفسه.

كنت أسبر خلف صابر مزوري عندما دخل الغرفة، كعادة العسكريين و تقديم الاحترام و التقدير، وجدته يأخذ التحية العسكرية و قال له: هل تعرف مَنْ معي الآن؟

و بدون ان يرفع رأسه عن المعاملات التي كانت امامه، سأل: مَنْ يكون يا ترى؟

اشار نائب عريف صابر لي قائلا: انظر، انه يقف امامك الآن؟

في هذه اللحظات وضع النائب ضابط امجد الاوراق على جانب و رفع رأسه، عندما شاهدني نهض من مكانه، مَدَّ يده و صافحني بحرارة و قال لي: كما هو معروف بأن هذا المكان ليس مرغوبا فيه، باعتباره السبب في سوق الشباب الى الحياة العسكرية الصعبة، ماذا جعلك أن تأتي الى هنا؟

فقلت له: قصتي طويلة و لا اريد ازعاجك و تحميلك هموما اكثر من لازم، من الممكن أن يقوم العريف توضيح المسألة، و عندما انتهيت من حديثي، وضع صابر دفتر خدمتي امامه و قال له: انه لا يشبهنا نحن الاثنين، كما هو معروف عنه بأنه لا يستطيع الابتعاد عن اصداقائه، لهذا ارجو تسفيره الى مكان قريب من هنا، لكي يتمكن من النزول، اخرج النائب ضابط امجد قائمة من مجر الميز، حيث كانت تحتوي الاماكن التي يتم تسفير المجندين اليها، راجع بسرعة هذه القائمة و قال: اقرب مكان الذي جاء من مديرية التعبئة و الاحصاء يتمثل بمركز تدريب كركوك، ففي بعض السنوات كنا نرسل البعض من المجندين الى مركز تدريب اربيل، لكن في هذه السنة و من سوء حظك لا نجد اسم هذا المركز، تدخل النائب عريف صابر قائلا: مركز تدريب كركوك افضل مراكز تدريب الموجدة في وسط و جنوب العراق، أي كركوك ليست بعيدة، بحيث يستطيع كل يو خميس النزول بعد الانتهاء من التدريب و يتمكن من خلال هذه الساعات الالتقاء باهله و اصدقائه.

بذلك تم املاء دفتر خدمتي العسكرية و ذلك بعد مراجعة عدة غرف و اتمام اجراءات تسفيري و سلمه لي قائلا: حاولنا عدم تسفيرك عن طريق آمرية

الانضباط العسكري، لأنه سوف تتعب كثيرا في حال اذا كنت معهم، لهذا سوف أقوم بتسليمك هذا الكتاب و عليك أن تتهيء مع الصباح الباكر حاملا معك حقيبتك الشخصية، لكي تتجه الى مدينة كركوك، عندما تصل هناك خذ تكسي من اجل توصيلك الى مركز تدريب كركوك و سلمهم هذا الكتاب، لذلك اتمنى انهاء خدمتك العسكرية بدون عراقيل، استلمت الكتاب و حملت حقيبتي، ثم قدمت خالص شكري لهم و ودعتهم.

كراج كركوك كان قريبا من المنطقة، اخذت طريقي من خلال الشارع الثلاثيني و السير رويدا رويدا، الى أن وصلت الى الكراج، فوجدت هناك عدد من الشباب بملابسهم العسكرية، اقتربت منهم و سلمت عليهم، قلت لهم: لقد تم تسفيري و اريد الذهاب الى مركز تدريب كركوك، يا ترى هل لديكم معلومات حول هذا المركز؟

احدهم اجابني قائلا: انا عسكري هناك و انتهت اجازتي، لذا يجب أن التحق.

عندما ذكر لي هذه العبارة، شعرت بفرح غامر و قلت مع نفسي: (انها مصادفة جيدة، عثرت على صديق لأجل مرافقته في هذه السفرة المقلقة جدا) لهذا توجهنا نحن الاثنين نحو سيارات كركوك، عندما شاهدنا احد السواق و نحن متوجهين اليه، صاح من بعيد قائلا: نحتاج نفرين فقط، سلمنا الحقائب الى السائق الذي وضعهما في الصندوق الخلفي للسيارة، جلسنا نحن في المقعد الخلفي و معنا رجل كبير في السن، كما هو معروف بان مدينة كركوك لا تبتعد كثيرا عن اربيل، لكن الطريق كان من ساىد واحد مع وجود التخسفات و الحفر التي جعلت الطريق متعبا و يستغرق وقتا اكثر، لذلك كان يشهد العديد من الحوادث يوميا، مع انطلاق السيارة بدأ الرجل العجوز بقراءة (آية الكرسي) ثم التفت نحونا و سألنا: هل انتما من سكان مدينة كركوك؟

قلنا: كلا، اننا من سكان مدينة اربيل، سنذهب الى مركز تدريب كركوك.

عندما سمع هذا العجوز هذه الاجابة، وجدنا عيناه قد امتلئت بالدموع و قال: كان لدي ولد واحد فقط، لقد تم استدعاء مواليده للخدمة العسكرية و بدأ بالتدريب العسكري في مدينة كركوك، و كان ينزل الى البيت ايام الخميس من كل اسبوع، لكنه لم يعود منذ الاسبوع الماضي، يقال تم نقله الى جنوب العراق، الى مدينة الناصرية.

العسكري الذي كان معي، التفت الى الرجل العجوز و قال له: يا عمي العزيز، ارجو أن لا تحزن و تحمل، لأنه نحن ايضا سيتم نقلنا الى وحدة عسكرية اخرى مثل ابنك، باعتبار أن هذا المركز سيقوم بتهيئة و تدريب المجندين المستجدين ثم يتم نقلهم الى اماكن مختلفة، أي ان البقاء هنا وقتي و تستغرق فترة محدودة فقط، سيتم النقل حسب الاختصاص و المهنة العسكرية.

احس هذا الرجل المسكين بنوع من الراحة عندما سمع حديث هذا العسكري و قال له: اطال عمرك يا ولدي العزيز، لأنك جعلتني أن أحس بالتفاؤل و خففت من حزني و قلقي على ابني الغائب منذ الاسبوع الماضي، أنا قادم الى كركوك لأجل مراجعة آمر الوحدة و معرفة شيء عن مصير ابني، لهذا قضينا الوقت في الحديث مع الرجل الى أن وصلنا مدينة كركوك، قمنا نحن الثلاثة بتأجير تكسي و توجهنا الى مركز التدريب، فعندما وصلنا، قام العسكري الذي رافقنا بتوديعنا و قال: أنا تأخرت عن موعد الالتحاق، لذا يجب أن اصل الى ساحة العرضات، لكي لا يعتبرونني غائبا.

الرجل ذهب الى مراجعة الآمر برفقة احد الجنود، بينما أنا توجهت الى قلم المركز، استلموا مني الكتاب و قاموا بانجاز المعاملة بسرعة، ثم ارسلوني برفقة انضباط الى مخزن المستلزمات العسكرية و سلموني الملابس العسكرية مع بطانيتين و وسادة، قالوا لي أذهب الى الفصيل الاول في السرية الثانية، سألتهم كيف لي أن أعرف مكان هذا الفصيل؟ الانضباط الذي رافقني، قال لي: (اذهب في هذا الاتجاه، عندما تصل الى النهاية، التفت الى الجهة اليسرى،

ستجد قاعة كبيرة مع وجود غرفتين صغيرتين اللتان تعتبران مقر السرية الثانية، و هناك ستجد غرفة آمر الفصيل الاول التي تقع بجانب هذه القاعة، سلم اوراقك، لأجل استلامك، باعتبارك جندي مستجد.

وضعت حقيبتي و البطانيتين على كتفي و مسكت الملابس العسكرية بيدي، ثم انطلقت الى المكان المحدد لي، صادفت في الطريق مجموعة من العسكريين و هم في حالة التدريب، حيث كانوا يتخذون الهرولة بين فترة و اخرى، عندما شاهدت هذا المنظر، تأكدت بانني الآن فصاعدا سأواجه حياة مختلفة تماما و يختلف عن الحياة الاعتيادي الاخرى، أي خارج الحياة العسكرية التي تعتبر صعبة جدا، بحيث أن اليوم الواحد هنا سيعادل سنة واحدة، بالذات اعتبارا من هذا اليوم و التحاقي فعليا بالخدمة العسكرية.

على اية حال، وصلت الى نهاية الشارع و التفت الى الجهة اليسرى، فرأيت قاعة كبيرة مع غرفتين صغيرتين، توجهت الى جهة وجود القاعة المذكورة الى أن اقتربت منها، رأيت ضابطا و نائب ضابط و انضباط واقفين امام باب القاعة، ذهبت نحوهم، سلمت عليهم و سلمت الورقة التي كانت بيدي الى الضابط و قلت له: سيدي، لقد تسلمت هذه الورقة من قلم المركز الذين قالوا لي اذهب الى السرية الثانية و انشر اسمك هناك، استلم الضابط الورقة مني و قال لي: اذهب الى قلم السرية لأجل النشر بشكل رسمي، ثم التفت الى الانضباط و قال له: خذ معك هذا الجندي المستجد الى رئيس عرفاء شيركو، لاجل تثبيت اسمه ضمن فصيله و اشراكه في التدريب و التمرين العسكري.

قلت له: سيدي، اين سأضع الحقيبة و البطانية و باقي المستلزمات؟

اجابني و هو غاضب: ضعهُ على رأسي؟!

عندما ذكر هذه العبارة التي كانت لها تأثيرها على نفسي و اصبت بارتباك و ذهول، من شدة خوفي وقفت في مكاني بصمت، احس الانضباط بأنني في حالة ارتباك و رعب كبير، لهذا وضع يده على كتفي و خاطبني و الابتسامة كانت

ترتسم على وجهه قائلا: ابو خليل لا تخاف و يجب عليك أن تتعود من الآن فصاعدا على مثل هذه العبارات التي ستكون لها وقع كبير في نفس الجندي المستجد، ان الحياة العسكرية صعبة جدا و تختلف كثيرا عن الحياة المدنية.

عندما وصلنا الى الفصيل الاول، بادر الانضباط الى تأدية التحية العسكرية لرئيس عرفاء الفصيل، بعد ذلك قال له: جلبت لكم هذا الشاب المستجد عسكريا.

التفت رئيس عرفاء شيركو نحوي و قال لي: ضع هذه البطانية و الحقيبة في مكان ما، يجب عليك ارتداء الملابس العسكرية بسرعة مع الحذاء العسكري المعروف (البوسطال) ثم انضم الى صفوف الفصيل لكي تتدخل مرحلة التدريب و التمرين العسكري.

وضعت الحقيبة و البطانية قرب ساحة العرضات و قمت بارتداء ملابسي العسكرية بسرعة ثم ذهبت الى رئيس عرفاء شيركو مع تأدية التحية العسكرية المعتادة، حيث قال لي: اليوم مسامح بسبب بدايات دخولك الخدمة العسكرية، و اعتبارا من يوم غد يجب عليك أن تضرب قدمك على الارض بقوة مثلما فعل هذا الانضباط، لأجل تأدية التحية العسكرية.

فقلت له: نعم سيدي، سأطبق أوامرك بدقة.

قال لي: لا تقول سيدي، لأن هذه الكلمة تستعمل للضباط الذين يحملون النجمات على اكتافهم، لذلك حتى التحية العسكرية تتم تأديتها لهؤلاء الضباط فقط، بهذا وضعني ضمن صفوف العسكريين في الفصيل، حيث كنا نقوم بالهرولة و المسيرة العسكرية من الصباح الباكر حتى وقت الظهيرة، ثم كانوا يقولون لنا انطلقوا في اطار الهرولة نحو قاعة الفصيل.

احد العسكريين اقترب مني و قال لي:

(أنا اسمي آزاد، من اهالي مدينة السليمانية)

فقلت له: أنا من اهالي مدينة اربيل.

ثم قال لي: سلمني حقيبتك و البطانية لكي اضعه لك في قاعة المنام.

و نحن في الطريق نحو القاعة، تحدث لي عن حياته العسكرية مؤكدا بان الانسان هنا ليس له أي قيمة، انهم يتعاملون معه مثل الحيوان، لذلك تحتاج فترة لكي تتلائم مع هذه الحياة الصعبة، عندما وصلنا الى القاعة، قام آزاد بتخصيص مكانا لي بجانبه و قال لي: اذا كنت ترغب هذا المكان، ساقوم بتخصيصه لك و سنتناول وجباتنا من خلال (قصعة واحدة).

انا من جانبي شكرته كثيرا و قلت له: أنا لا اعرف شيئا عن الحياة العسكرية، لدي ثلاث اخوة، لذلك سأعتبرك الاخ الرابع بالنسبة لي، و ارجو أن تقبل مني هذه االدعوة الصادقة و الاخوية.

قال لي و الابتسامة ترتسم على وجهه: اخوتنا و اشقائنا الموجودين في البيت لا يفيدوننا هنا، أنا و انت سنفيد بعضنا البعض و حماية انفسنا من المسيئين هنا، يجب اعتبار هذا المكان بمثابة بيتنا الثاني، خصوصا و نحن مازلنا جنود مستجدين و نحتاج فترة طويلة لكي يتم تسريحنا من الجيش.

عندما ذكر لي هذه العبارة المقلقة اصبت بقشعريرة و رعشة غطي جسمي كله، لا بل احسست بأنه هناك شبح مخيف يقف حائلا امام عيني و نظري، فقلت له: اذن لماذا تم كتابة خدمة عسكرية لمدة سنتين فقط؟

اجاب صاحبي قائلا: انه مجرد كلام فقط لا اكثر، لقد تم تثبيت نفس هذه العبارة للمواليد الذين سبقونا في مجال الخدمة العسكرية، هناك ممن اعرفهم قد انتهت خدمتهم العسكرية القانونية و هم قريبون من انهاء السنة الثالثة ايضا؟!لكنهم مازالوا مستمرين في الخدمة العسكرية بدون أن يعرفوا متى سيتم تسريحهم.

فقلت له: هذا الكلام يعني اننا يجب أن نحفر لأنفسنا قبرا لكي تتم دفننا فيه !!

قال لي: كلا، انها ليست بهذا الشكل الذي تتحدث عنه، يجب عدم الاهتمام بهذه الآوامر العسكرية الصعبة بصورة جدية، هناك مقولة يرددها الذين سبقونا في الخدمة: (لا يمكن انهاء الخدمة العسكرية الا بالكلاوات؟!) و استرسل صاحبنا في

الحديث قائلا: (ارجو أن عدم اظهار نفسك بأنك انسان ضعيف و بسيط و تنتظر الذي سيساعدك، بل يجب عليك أن تثبت قوة ارادتك و صبرك في ظل الحياة العسكرية المعقدة، لكي تتمكن من انهاء الخدمة العسكرية بسهولة و سلاسة.

عندما سمعت هذه العبارات المقلقة، سحبت نفسا عميقا، فوقعت في الحديث مع نفسي: (لهذا وجدت النائب ضابط امجد و النائب عريق صابر غير مرتاحين عندما وجدوني اريد التوجه نحو الخدمة العسكرية، و يبدو انهما ايضا قد تورطا و ليس لديهما أي علاج سوى الاستمرار) كذلك وجدت خيالي يمر بعدة محطات من حياتي و اصبحت و كأنني جسد بلا روح، فذهب خيالي الى سنة ١٩٧١ عندما انتقل بيتنا من حي (سيطاقان) الى حي (المفتي) حيث قامت عائلة (ملا فندي) ببيع اراضي هذه المنطقة، و تمكن والدي من شراء قطعة بمساحة (٦٠٠) متر في هذا الحي، اعطاها الى الاسطة (محمد ابو شوارب) لكي يبني لنا دارين مفتوحين، أي غرفتين لكل دار الذي يسمى خارطة شرقية، و ذلك بمبلغ (٣٠٠٠) دينارا، عندما انتقلنا الى بيتنا الجديد، لم نجد في هذه المنطقة سوى اربعة بيوت و اصبحنا نحن الخامس، مثل (بيت رحمن الباججي و سعيد الاسكافي و الاسطة علي باداوه و رفيق الجايجي) اغلبية المنطقة كانت فارغة من السكان حتى قرية (باداوه ملا فندي) حيث كانت تغط في ظلام دامس اثناء الليل، لذلك تطورت العلاقات فيما بين هؤلاء الجيران لتصل الى درجة القرابة و تبادل الزيارات ليليا، ستجدنا نجتمع كل ليلة في احدى البيوت، لقد كانت علاقاتي جيدة مع رحمان الباججي و يحترمني كثيرا، لذلك كنت أزوره بصورة مستمرة، كان لدية مجموعة من البنات الجميلات، كنت مهتما و معجبا باحداها و احبها، لكن و بعد تطور علاقاتنا الى حد كبير، بحيث جعلنا و كأننا اخوة و اخوات، لهذا كنت اخجل من أن أقول لها أنا احبك.

قبل تعييني في الامانة العامة للبلديات و السياحة، و في احدى الايام طلب مني حسن حسين الله داد رئيس اتحاد طلبة منطقة الحكم الذاتي للحضور لأمرٍ

ضروري و قال لي (أنا اعرف بأن وضعكم المالي سيء، وصلنا كتاب يطلبون فيها تعيين عدد من الاشخاص لكي يكونوا على ملاك الجيش الشعبي، اذا كان لديك رغبة في ذلك سأدعمك، قلت له سأفكر في هذه المسألة ثم أجيبك، و في الحقيقة أنا لم يكن لدي أي معلومات عنه، حتى انني لم اعرف ما هو الفرق بين الجيش الشعبي و الجيش العراقي الاعتيادي، لهذا ذهبت الى كاك رحمان و قلت له انني أنوي التعيين على ملاك الجيش الشعبي، لكن و قبل أن أنتهي وجدته غاضبا جدا و بدأ بتوجيه الشتائم الى الحرس القومي و قال: (ارجو أن لا تخطيء، فؤلاء يشبهون الكلاب المسعورة، أنا اعتبرهم مثل النسخة الثانية من الحرس القومي، فسألته قائلا: من هم الحرس القومي و ماذا فعلوا، يبدو أن هناك سبب حقيقي وراء غضبك على هؤلاء و تكرهم الى هذه الدرجة؟

قال: هؤلاء كانوا من البعثيين القوميين و يكرهون الكورد كثيرا و يحقدون عليهم، لقد كانوا مثل الوحوش و يهاجمون البيوت و العوائل الآمنة و البريئة، خصوصا بعد منتصف الليل، حيث كانوا يقومون بخلط كل المواد لغذائية مع بعضها البعض لكي تستفيد منها العوائل المنكوبة، لا بل كانوا يسرقون الاموال و الذهب و جميع المواد الثمينة من هذه البيوت ثم يأخذون الرجال الى اماكن التحقيق و التعذيب و التصفية الجسدية باساليب وحشية و دموية.

عندما ذكر هذه الاحداث المؤلمة، وقعت على يده و قمت بتقبيله، ثم قلت له: أنا ليس لدي معلومات على هؤلاء الذي ارتكبوا جرائم دموية، تصور لو لم أسألك لوجدتني قد وقعت في خطأ كبير و يدخل اسمي ضمن القائمة السوداء.

و بينما أنا كنت مشغولا بخيالي، سمعت فجأة صوت آزاد و هو يقول لي: انت لم ترى شيئا لحد الآن من الحياة العسكرية، لكي تقلق و تغرق في بحر الخيال و تنقطع تماما عن هذا العالم المقلق؟!

مع سماع صوت آزاد اصبت بارتباك كبير، بحيث انقطعت عن خيالي و العودة الى عالم العسكرية و قلت له: اعتذر كثيرا، لأن خيالي شطح بي الى أبعد

الحدود و العودة الى ايام السنوات الماضية، لهذا انقطعت تماما عن التواصل معك و اسمعك.

قال لي: لا تفكر بالماضي، فالذي ذهب لا يعود ابدا، و لا تأخذ المسائل بصورة جدية و الا لا تستطيع ابدا انهاء الخدمة العسكرية ! !

أجبتُ صاحبي قائلا: انت تقول الصحيح و الدقيق، لذلك قررت اعتبارا من هذه اللحظة أن أفتح صفحة جديدة في مجال حياتي الجديدة بدخولي الخدمة العسكرية و محاولة التعود معها، تأكد بانني من الآن فصاعدا سأتعامل مع هذه المسائل عن طريق اللجوء الى الكلاوات و عدم الجدية.

اندهشت كثيرا، عندما رأيت آزاد يضع ملابسه الداخلية (الفانيلة و اللباس الداخلي) مع مساحيق الغسل في (القصعة) التي تستعمل لتناول الغذاء و بدأ بالغسل؟!

عندما رأيت هذا المنظر، تذكرت والدتي المسكينة، عندما كانت تغسل لي ملابسي، و لكي اعرف مدى صعوبة الغسل، قررت أن اتعلم و اعتمد على نفسي في غسل ملابسي مثل آزاد، لكن احاول الابتعاد عن اسلوبه في استعمال مستلزمات الغذاء.

سألني آزاد قائلا: الى اين شطح بك خيالك، بحيث لا تستطيع الانقطاع عن التفكير بصمت؟

قلت له: عندما رأيتك و انت تغسل ملابسك، وقعت في التفكير بوضعي بعد ابتعادي عن والدتي، أي يجب أن أكون مثلك في مجال تمشية أموري الحياتية.

اجابني و هو يبتسم: ان ما تراهُ الآن تمثل البداية البسيطة، أي ما يزال هناك الكثير امامك و كما قلت لك سابقا بأن الحياة العسكرية تختلف كثيرا عن الحياة بين العائلة، لذلك ليس غريبا أن نسمع الآخرين يرددون: (الذي لا يخوض تجربة الخدمة العسكرية لا يستطيع أن يكون رجلا متكاملا).

لقد كنت اشعر بنعاس كبير بعد أن تعبت كثيرا اثناء التدريب و التمرين، لهذا اضطجعت في مكاني، لكن و قبل أن أغط في النوم، سمعت ازاد ينادييني و قال لي: انهض، انه وقت استلام القصعة.

سألته: يا ترى انها قصعة أي وقت و وجبة؟

أجابني قائلا: ألم تسمع صوت الصافرة؟

قال لي: ان هذه الصافرة الطويلة هي من اجل الذهاب الى استلام القصعة و الا سنحرم من حصتنا المعتادة و النوم ببطون فارغة، لذلك كنت مجبراً على النهوض و سكبت بعض الماء على وجهي، طلبت منه القصعة لكي اجلب وجبتنا.

لكن ازاد هو الذي حمل القصعة و قال لي: سنذهب سوياً الى استلام وجبتنا.

القصعة التي يحملها ازاد لأجل استلام الوجبة، انها نفس القصعة التي استعملها لغسل ملابسه؟! بحيث شعرت بنفور و اشمئزاز، لكن الخجل وقف حائلا عن قول الصراحة و ذهبت معه و وقفنا سويا امام المطبخ، كان هناك انضباط واقفا، لكي يقوم بالاشراف على تنظيم صفوف الجنود، لهذا وقفنا بانتظام في هذا الصف.

كان هناك قدران كبيران جدا و كانا بحجم برميل كبير، الطباخ الذي كان يمسك بيده مجرفة (كرك) لكي يضع كمية من الرز، مع مغرفة (جفكير) من المرق و يصبها على الرز.

اثناء الرجوع كنت افكر بالقصعة و كيف كان آزاد استعملها لغسل ملابسه الداخلية (الفانيلة و اللباس الداخلي) ثم استعمالها لأجل جلب هذه الوجبة، لقد كنت اشعر بتقزز واشمئزاز، بحيث لم اتمكن من مَدْ يدي و تناول الوجبة، رغم انني كنت اشعر بجوع كبير، لكن مع هذا سيطرت على نفسي و جوعي.

عندما عدنا من المطبخ، وضع ازاد القصعة امامنا نحن الاثنين و قال: ماذا تنتظر، مد يدك لكي نأكل وجبتنا و قبل أن تبرد.

فقلت له: انني لا اشعر بالجوع،انت تناول و لا تهتم بي؟!

يبدو انه قد احس بالمسألة و السبب وراء امتناعي عن التناول، قال لي و هو يبتسم: بالتأكيد انت جائع، لكن أنا اعرف لماذا لا تأكل؟

أردتُ اقناعه بانني لا اشعر بالجوع، لكنه كان مصرا و لم يتركني و شأني، لقد كان لديه اصرار كبير على أن أتناول معه و قال لي: نحن ايضا كنا مثلك، عندما جئنا الى هنا، لقد كنا نشعر بالنفور من كل شيء، لكننا تعودنا مع مرور الزمن، نحن مجبرين على استعمال هذه القصعة لمختلف الشؤون الحياتية اليومية، منها لغسل الملابس و استلام وجباتنا المعتادة.

حاولت الابتعاد عن كسر خاطره و عدم جرح احساسه، لذلك حاولت تشجيع نفسي و الاقتراب من القصعة، لكن محاولاتي فشلت و لم اتمكن تناول هذه الوجبة التى كنت أشمئز منها.

فقال لي: يجب أن تعرف جيدا بأننا لسنا في البيت لكي تتناول وجباتك بالشوكة و السكين، نحن موجودين في المعسكر، لذلك ارجو أن ترفع سواعدك و مد يدك، لاحظنا أنا كيف اقوم باستعمال كلتا يدي لكي اغرف الغذاء الموجود امامي؟!

رغم شعوري بالجوع في ظل التعب الشديد اثناء التدريب العسكري الذي يحتاج الطاقة الضرورية، لكني لم أتمكن من أن أتناولها، خصوصا عندما كنت انظر الى القصعة و اتذكر كيف كان يقوم بغسل الملابس الداخلية فيها، بالذات لباسه الداخلي الذي كان يبدو امامي مثل القنبلة التي ستنفجر في لحظات؟!

على اية حال، تمكنت من الصبر على الجوع في ذلك اليوم، لذلك امتدتُ في مكاني و وقعت في النوم مباشرة، لأجل اخذ قسط من الراحة.

قبل أن أغط في النوم، سمعت صوت الصافرة، رفعت رأسي مباشرة و التفت الى آزاد، قلت له: ألم يوزعوا الوجبة، طيب ما هو سبب هذه الصافرة؟

اجابني و هو يضحك: صحيح ان هذه الصافرة ليست لأستلام الوجبة، بل من اجل التدريب المسائي، انهم يستعملون الصافرة لأجل توصيل الآوامر لنا نحن الجنود.

سألته: ما هو سبب القيام بالتدريبات عدة مرات خلال اليوم الواحد؟

قال: انهم يأخذوننا الى التدريبات لثلاث مرات في اليوم الواحد، في الصباح الباكر و قبل شروق الشمس التي تستمر حتى العاشرة صباحا، بعد ذلك سنأخذ راحة لفترة قصيرة و التوجه نحو تناول وجبة الفطور، ثم و بعد مرور ساعة سنرجع مرة اخرى الى ساحة التدريب لتستمر حتى الواحدة ظهرا، مع الفترة المسائية يسمحون لنا أن ننسحب من ساحة التدريب.

و بينما نحن منشغلين بالحديث، دخل الى القاعة رئيس عرفاء شيركو، صاح و هو غاضب قائلا: يا ترى ألم تسمعوا صوت الصافرة، رغم مرور عدة دقائق، لا بل اجدكم جالسون في مكانكم و منشغلين بالحديث.

وجهت حديثي الى آزاد قائلا: مع أن رئيس العرفاء من القومية الكردية، لكننا نجده يتعامل معنا بقسوة و بدون اية رحمة؟

رد آزاد قائلا: كما قلت لك انت لم ترى شيئا لحد الآن، انها تمثل البداية فقط، و مازال هناك الكثير من المشاهد و الاوامر و الاحداث الدراماتيكية التي ستجعلك محاصرا و محاطا في اطار الكثير من المفارقات و التوقعات غير المتوقعة، باعتبارها جزء من المرحلة الجديدة من حياة الانسان، من خلال خوض تجربة الخدمة العسكرية الالزامية، هنا لا تجد مجال للتسامح و العفو في حال وجود أية مخالفة و تجاوز على النظام و القواعد العسكرية الملزمة، أي في حال وجود مخالفة سيكون هناك عقوبات و معاقبة الذي خالف و لا يمكن التغاضي عن أية خطأ و مخالفة.

عندما وصلنا ساحة العرضات، رئيس عرفاء شيركو قال: فصيل قفوا في صف منظم، بعد هذا الايعاز وقفنا جميعا في مكاننا بحالة الاستعداد الكامل، ثم قال: فصيل استعد و استريح، الى الامام سر، بعد مسير لمسافة مئة متر الى الامام، ثم قال بصوت عالٍ: الى الوراء دور، سيروا بصورة طبيعية.

بهذا الشكل قام بتدريبنا لمدة ساعة واحدة، ثم انتشرنا و توجهنا الى القاعة.

نزعنا ملابسنا العسكرية و اخرجنا من حقائبنا التراكسودات و ارتداءها، ثم تمددتُ في مكاني، تنفست تنفسا عميقا، ذهب خيالي الى اصدقائي، تذكرت من خلالها الايام الحلوة، وذلك عندما كنت مع زياد حيران و طاهر و خدر بوريجي و عبو الخباز عندما قضينا معا الكثير من الاوقات الممتعة.

تم بناء اعدادية للبنات، و ذلك بالقرب من بئر الماء الارتوازي، في يوم من الايام وضعت أنا و زياد مخططا بمثابة مقلب اخوي لا اكثر، لكي نستهدف فيها عبو الخباز، اخيرا اتفقنا على ان نذهب الى حوض المدرسة لكي نسبح في حوضها، ثم توريط عبو و يقع في مصيدة المخطط الذي وضعناه، لذا توجهنا سويا، بينما كان عبو ينتظرنا هناك، حيث قام بنزع ملابسه و بقي عريانا تماما و دخل الحوض، بدأ بالسباحة مباشرة، ثم انتهزنا أنا و زياد هذه الفرصة، فأخذنا ملابسه و قلنا له (اننا سنأخذ ملابسك الى والدتك " باجي آمنة " و نقول بأن ابنك يلاحق الاطفال داخل حوض المدرسة، يبدو انه قد سقط اخلاقيا و اصبح أمره مفضوحا بيننا نحن اصدقائه)؟!

عندما سمع عبو هذه العبارات التي تسببت في أن يتصرف بدون وعي، خوفا من افتضاح امره، لذلك بدأ بتوجيه الشتائم و خرج من الحوض لكي يلاحقنا و هو عريان تماما ! !

باجي (آمين) والدة عبو التي كانت أمرأة طيبة جدا و مجاملة و تحب مثل هذه المداعبات و المزاح بين الاصدقاء، لقد كانت تجتمع يوميا مع نساء و بنات الحي امام باب بيتها و تتخلل هذه الجلسات تناول بعض الجرزات و سرد

بعض احداث و المواقف التي شهدتها منطقتنا، عندما وصلنا الى هذا التجمع سلمنا ملابس عبو الى والدته باجي آمنة و قلنا لها (هذه ملابس ملابس ابنك الذي فضح نفسه ثم فضحنا نحن اصدقائه، يقال بأنه مشغول ببعض السلوكيات الشاذة و يمارسها مع بعض الاطفال غير واعيين تربويا؟!

عندما سمعت (باجي آمين) هذه العبارات وقعت في الضحك و قالت: (يبدو انكم كالعادة وضعتم له سيناريو و مقلب من مقالبكم الذي سيقع فيه بسهولة، لأنه انسان أبله و احمق و تنقصهُ الذكاء و كيفية الحذر من مقالبكم و مخططاتكم، لذلك أسألكم ماذا فعلتم بابني المسكين؟) قبل أن نجيب على سؤالها، وصل عبو و هو عريان تماما لا يرتدي أي شيء، واضعا يدأ على مؤخرته و الاخرى على قضيبه و خصيته، لأجل اخفاءه، ظهر عليه الغضب الشديد و هو يوجه مختلف الشتائم المخجلة و يردد (انتم تعودتم على سياسة التحايل معي و توريطي في عدة سيناريوهات تثير اشمئزازي و نفوري من صداقتكم و ترك هذه الصداقة المؤذية بصورة نهائية، استمر في حديثه قائلا: (ألا تخجلا من مما تفعلونه بي باعتباري صديقا لكم و لي ثقة كبيرة بكما، تستغلان طيبتي و بساطتي لكي تقوما بتوريطي بمثل هذه المداعبات و المزاح ! !)

زياد اجابه قائلا: (لقد خلقك الله لكي تكون مادة دسمة لتنفيذ مخططاتنا و مقالبنا على شخص مثلك، لا نجد سواك في المنطقة لكي نمازحه في اطار سيناريوهات مضحكة، صحيح أنه يعتبر مزاح ثقيل، لكن هنا يجب أن نعترف بأن الحظ يقف معنا في ظل وجود أمرأة طيبة مثل والدتك (باجي آمينة) التي تتقبل بصدر واسع كل هذه المقالب ضد ابنها.

عندما سمع هذه العبارات المستفزة من زياد، تصاعد لديه حالة الغضب الشديد، بحيث كاد أن يفقدد السيطرة على نفسه، رفع يده و مسك تلابيب زياد بقوة و حاول أن يخنقه، من جهة اخرى وجدنا باجي آمينة لا تبالي بما يحدث امامها من شجار، ثم قالت لأبنها : (يا ولدي العزيز يجب أن تفهم بأن

اصدقائك يلعبون باعصابك من خلال مداعبات و مزاح، انهم لا يريدون توجيه الأذى لك، لذلك يجب عليك أن تكون ذكيا و تحاول أن تأخذ ثأرك منهما)؟!

كنت مشغولا بهذا الخيال السعيد، عندما سمعت مرة اخرى صوت الصافرة التي تثير الارتباك في نفسي، التفت الى آزاد و قلت له: (يا ترى ماذا حدث و ما سبب هذه الصافرة؟

قال و هو يضحك: يا عزيزي يجب أن تعلم جيدا بانك مشغول بخيالك كالعادة، لا بل ذهب الى مكان بعيد، فأنا لم اكون أنوي قطع سلسلة خيالك و تفكيرك، لهذا لم احاول التحدث معك، الشمس اقتربت من الغروب، و الآن حان وقت استلام القصعة و يجب أن نذهب الى المطبخ.

قلت له: انني لا استطيع التفكير باصدقائي، مع انني حاولت كثيرا الابتعاد عن التفكير بهم، لا بل ترسخوا في عقلي و تفكيري و لا استطيع تجاوزهم بسهولة.

وضع آزاد يده على كتفي و قال: أنا كنت مثلك في بداية دخولي الى الخدمة العسكرية، تجدني مشغولا بخيالي و تفكيري باصدقائي و أهلي، لكن اخيرا تعودت رويدا رويدا و اصبحت الآن تفكيري محدودا و محاولة الانسجام تماما مع الحياة العسكرية و آوامرها المزعجة، لهذا أنصحك الابتعاد عن التفكير و التركيز على وضعك، باعتبار أن الحياة هنا تختلف كثيرا عن حياتك السابقة.

قلت له: سأحاول من الآن فصاعدا ألسيطرة على عقلي و احاسيسي و خيالي.

رفعنا القصعة و توجهنا الى المطبخ لكي نستلم وجبة المساء، في هذه اللحظات كنت احس بجوع كبير، خصوصا و انني لم اتناول أي شيء منذ الصباح، لذلك حاولت السيطرة على نفسي و الابتعاد عن النفور و الاشمئزاز من هذه القصعة المزعجة، لذلك رفعت سواعدي و بدأت بتناول الوجبة بيدي، بعد الانتهاء من تناول الوجبة، ذهبنا الى حانوت المركز و اشترينا بعض الحلويات، بعد ان احتسينا قدحا من الشاي ثم رجعنا الى القاعة.

لقد كان هذا اليوم من الايام الصعبة، بحيث أن كل ثانية تعادل ساعة من الزمن، كنت احس و كأنني مسجون في سجن كبير، تحاصرني الهموم و الحزن، لكن العثور على هذا الصديق قد خفف كثيرا من الاحساس بالكآبة و اضطراب النفس.

على اية حال، لقد قضينا بعض الوقت في الحديث و سرد مواقف و مفارقات هذا اليوم، كنت احس بان النعاس و الرغبة الشديدة للنوم، لذلك اردت النوم، قال لي آزاد: حاول أن لا تنام الآن، باعتبار أن هناك عرضات ليلية، من المؤكد اننا سنسمع صوت الصافرة في اية لحظة ما، لذلك يجب الاستعداد سريعا، لكي لا يعتبروننا من الغياب و نتعرض الى العقوبة.

قلت له: كيف لنا أن نتجمع في ساحات العرضات في ظل هذا الظلام الدامس، طيب هل سيستطيعون من رؤيتنا بصورة واضحة؟

قال آزاد: اننا سنتجمع امام القاعة في صف منظم، لكي يأخذوا الحضور و الغياب و جميع أوامر القسم الثاني و التأكد من حضور الجميع، باعتبار أن النزول ممنوع.

و نحن كنا منشغلين بهذا الحديث، سمعنا صوت الصافرة، لبسنا الملابس و البوسطال بسرعة و ذهبنا مع باقي الجنود الى امام القاعة و و قفنا في استعداد تام، بدأ العريف جابر بتنظيم صفوفنا وبدأ التفتيش و التأكد من الحضور و الغياب، عندما عرفوا بأنه ليس هناك غياب، قال: الجميع حاضر و على استعداد، ثم صاح بصوت كبير، فصيل استعد، استريح، استعد، استريح، كرر هذه الايعازات و الحركات عدة مرات، ثم قال: فصيل تفرقوا و توجهوا الى القاعات.

بهذا انتهى برنامج التدريب و التمرين لهذا اليوم، لهذا نزعنا ملابسنا العسكرية و ارتداء التراكسوت ثم اضطجعت في مكاني، كنت احس بتعب كبير، لهذا وقعت في النوم مباشرة، و بسبب هذا التعب لم ارى أي حلم هذه الليلة.

مع الصباح الباكر و قبل شروق الشمس، سمعت صوت الصافرة و نهضت من النوم، رأيت رئيس عرفاء شيركو و هو يضرب ببسطاله قدم الذين لم ينهضوا من النوم ويوجه الشتائم لهم.

بهذا نهضنا من النوم و توجهنا بسرعة الى المطبخ، استلمنا صحن من العدس مع قدح من الشاي و الصمون العسكري المميز ثم رجعنا الى القاعة، تناولنا الفطور بسرعة ثم حلاقة اللحية و صبغ البوسطال، وجدت بعض العسكريين لم ينتهوا من استعداداتهم عندما سمعنا صوت الصافرة، لذلك توجهنا بسرعة الى ساحة العرضات و الوقوف في حالة الاستعداد، بدأ رئيس عرفاء شيركو بالتفتيش مرة اخرى، بالذات ملاحظة و تفتيش حلاقة اللحية وصبغ الحذاء العسكري المميز، فالذي لم يقوم بحلاقة اللحية و الصبغ يسجل اسمه، بعد الانتهاء من التدريب و التمرين، كان يعاقبهم بحلاقة رأسهم بدرجة صفر و السجن ليومين.

لذلك وجدت الحياة العسكرية صعبة جدا، حاولت كثيرا أن استمر في الخدمة و التلائم معها، اخيرا قررت أن أسمع كلام آزاد في عدم التعامل بصورة جدية و اخذ الامور ببساطة و عدم تعقيدها كثيرا، اي عدم الاهتمام ببعض المسائل التي تدخل ضمن حياة الترفيه، باعتبارها لا تتلائم مع الانظمة و القوانين العسكرية الصعبة، اخيرا تمكنت من انهاء ثلاثة اشهر التدريب الملزمة، ثم جاء وقت النقل الى الوحدات العسكرية، وذلك في اطار الاختصاص و المهنة، حيث كانوا يقومون بنقل المئات من العسكريين الى كتائب الدبابات و المدرعات و مخازن العتاد و الاسلحة و الوحدات الطبية و الهندسية، لهذا كان اعدادنا يقل يوم بعد يوم، فوصل الى عدد قليل من العسكريين، حتى ان صديقي آزاد قام بواسطة و تم نقله الى مكان جيد في كركوك.

ان نقل آزاد كان له التأثير الكبير على نفسي، بحيث فقدت المعنويات و الارادة التي كنت امتلكها مع وجود آزاد، حاولت استغلال كل يوم خميس و جمعة لأجل النزول الى اربيل لكي ألتقي مع اهلي و اصداقائي، لقد كان هذا

النـزول بمثابـة التفريـغ النفسـي و دافعـاً للصـبر و تحمـل صـعوبات حيـاة العسكرية، لكن مع هذا قـررت اخـيرا أن أهـرب، لهـذا قـررت في نهايـة الاسـبوع القادم و بعد انتهاء تدريبات و تمرين يوم الخمـيس، أن احمـل أغراضـي التـى وضعتها في الحقيبة ثم التوجه الى البيت، علما أن والدي كان انسـانا نظاميـا و لا يحب القيام باعمال غير قانونيـة و الاهمـال و عـدم اطاعـة النظـام و الدولـة، باعتباره كان عسكري ليفي انكليزي، لـذلك عنـدما شـاهدني وجدتـه في حالـة غضب شديد و عابس، قال لي: أجدك خلال هذه الفترة تعود مـن المعسـكر في فترات قصيرة لا تتعدى الاسـبوع، يبـدو لـي انـك تتهـرب مـن الـدوام و تحـاول النزول.

قلت له: ليس هناك أي نوايا و تفكير في هذا الاتجاه الـذي تفكـر فيـه، لقـد انهيت تدريباتي اليوميـة المعتـادة، لـذلك سمـح لنـا آمـر السـرية في النـزول الى البيت ليوم واحد، بعد عودتنا سيقومون بنقلنا الى الوحدات العسكرية، مع هذا كان لا يثـق بمـا قلتـه لحـد الآن، وجدتـه صـامتا و لم يتحـدث اكثـر عـن هـذا الحديث غير المقنع بالنسبة له، لقد تأثرت كثيرا بما قاله والدي، بحيث جعلني أن أتراجع عن قراري، أي عدم الهروب من الخدمة العسكرية، بعد تفكير معمـق الذي دفعني للعودة الى الوراء، بالذات الرجوع الى الفترة التي كنت فيها مسؤولا عن الدور السياحية في منتجـع مصـيف صـلاح الـدين، عنـدما كنـت جالسـا في مكتبي، تفاجئتُ بجرس الهاتف، رفعت الهاتف و قلت: ألو؟

تفضل مَنْ هو حضرتكم؟

أنا مسؤول المخابرات العامة (ابو محمد) يتحدث معك

تفضل سيدي، أنا انتظر أصدار الآوامر من حضرتكم؟

سيأتي خلال الايام القادمة (المدير العام للتمـوين و النقـل في وزارة الـدفاع اللواء بكر وهيب الدوري للحضور عندكم، لأجل قضاء أوقات الاجـازة لـديكم

في مناطقكم السياحية، لهذا يجب عليكم أن تستعدوا لأجل استقباله و تهيئة مجموعة من الحمايات و الحراسة المشددة.

نعم، سنلتزم بآوامركم سيدي

اغلقت التلفون ثم كتبت هذه الملاحظات في دفتر تسجيل الدور و المؤجرين، بعد مرور عدة ايام و عندما كنت جالسا في مكتبي، فجأة وقفت سيارة مرسيدس سوداء و حديثة امام المكتب، نزل افندي ضخم، يرتدي قاط كامل من السترة و البنطال مع ربطة خضراء اللون، حيث كان جالسا في المقعد الخلفي من السيارة ، كذلك كان هناك أفندي آخر جلس في مقدمة السيارة الذي نزل من خلال حركة خفيفة و فتح الباب لأجل نزول الشخص الذي كان جالسا في المقعد الخلفي، ثم توجه نحو مكتبي، وجه السلام و قال لي (أنا النائب ضابط انور خالد الدوري، اريد تأجير احدى دور السياحة لفترة اسبوع، اريد قضاء وقت اجازتي مع عائلتي هنا).

قلت له: استريح و خذ قسطا من الراحة، أنا سأقوم بتسجيل دار في موقع جيد،

عندما دققت النظر في سيارته، كذلك كيفية تحركاته المميزة، بالذات في أتكيت و كيفية نزوله من السيارة، ثم ملاحظة كيفية التعامل فيما بينهم، في هذه اللحظات تذكرت الاتصال الهاتفي الذي جاء من قبل مدير مخابرات الشمال، فقلت مع نفسي: (اعتقد انه نفس الشخص الذي تم ذكر اسمه من قبل مدير مخابرات الشمال، أي انه المدير العام في وزارة الدفاع، لكن اعتقد انه يريد اخفاء شخصيته الحقيقية عني، لذلك قدم نفسه على أنه نائب ضابط، أنا متأكد بأن اتخاذ مثل هذا الاتكيت و الجلوس لا يتلائم مع رتبة نائب ضابط، لا بل حتى هيئته و ملابسه و سيارته الحديثة، لذا لم يبقى أمامي سوى التظاهر بعدم المعرفة و تجاهل المسألة، لذلك و بدلا من تخصيص الدور المخصصة للوزراء و المسؤولين الكبار، خصصت له دارا اعتياديا.

قمت بتوصية جلب الماء البارد و الشاي له و عبرت عن احترامي و تقديري الكبير، ثم ارسلت معه أحد الموظفين لأجل تسليم الدار، بعد مرور ساعة جاء حارس هذه الدور و سألني (مَنْ يكون هذا الشخص الذي سلمته هذا الدار؟)

فقلت له: ما سبب هذا السؤال؟

اجاب قائلا: لقد تم نشر عدد من الدبابات العسكرية مع نشر العشرات من القوات العسكرية حول هذا الدار و بناء عدد من السواتر ! !

قلت له: (انه مسؤول عسكري كبير في وزارة الدفاع العراقية، أنا أظهرت تجاهلي و عدم معرفتي به، أي تعاملت معه بصورة طبيعية، لذلك يجب عليكم أن تتخذوا نفس اسلوبي و كأنكم لا تعرفون أي شيء عنه).

لهذا لم أتأخر و أوصلت نفسي بسرعة الى اللواء بكر و قلت له: (سيدي، أنا منذ البداية كنت متأكدا بأنك لست نائب ضابط، لكني حاولت التظاهر بأنني لا اعرف شيئا عنك، نحن نخصص للوزراء و المسؤولين الكبار دور خاصة و تليق بمناصبهم الكبيرة، لكني تعمدت بتخصيص دارا اعتياديا لحضرتكم و ذلك لعدة اسباب، منها لكي تتعامل بصورة طبيعية و تتلذذ من سفرتك، بحيث تتمكن من الاختلاط مع الناس، هذا بالاضافة الى تأمين الحراسة و الامن، لكي لا ينكشف منصبك الكبير في وزارة الدفاع العراقية، أنا أخشى من أن يقوم احدما بالتعرض لك و تتعرض للتصفية الجسدية).

اجابني و هو يبتسم: (انت ماذا تقول، ألا ترى هذا العدد من القوات العسكرية المنتشرة، بحيث من الصعوبة أن أتعرض الى اخطار حقيقية؟).

فقلت له: (هناك شخص معروف باسم (سليمان بيريزي) الذي يعتبر احد العناصر المعروفة ضمن قوات المعارضة المسلحة، كذلك هو من سكان هذه المنطقة بالذات، لقد نفذ العديد من النشاطات العسكرية الخطرة ، يقال بأنه عندما نفذ نشاط عسكري بالقرب من منطقتنا الحالية، لهذا اضطرت جميع القوات الامنية الى أن يكونوا في حالة استعداد تام، ثم بدأ البحث عن هذا

الشخص، كذلك حادثة اخرى، في احد المرات و عندما كان احد أمراء المفارز الامنية جالسا في المقهى، في حين كان نفس الشخص (سليمان بيريزي) جالسا في نفس المكان ايضا، فعندما خرج من المقهى، دفع ثمن الشاي الذي شربه مع الشاي مدير المفرزة الامنية، قال له: اذا سأل عن الذي دفع ثمن الشاي، قل له دفعهُ سليمان بيريزي؟!).

عندما قمت بسرد هذه الاحداث لسيادة اللواء، وجدته قد ارتبك في مكانه و تغير ملامح وجهه تماما، قال: (أنا لم ارى المنطقة الشمالية منذ عام ١٩٦١، أي انها المرة الاولى التي ازور فيها هذه المنطقة بعد مرور هذه الفترة الطويلة، لكني الآن جئت الى هنا لأجل قضاء اسبوعين من اجازتي مع عائلتي في هذه المنطقة السياحية، أي أن نستمتع باجواء ها و مناطقها الجميلة، لكن الذي تحدثت عنها الآن تعتبر كارثة حقيقية، طيب هنا أسأل: ماذا تفعل كل هذه القوات الكثيرة و المنتشرة؟ و ما هو عملها الحقيقي؟ و كيف سيستطيعون حماية الناس هنا؟)

قلت له: (ان من واجبي كمواطن حريص أن أقول الحقيقة، القرار النهائي عندك يا سيدي)؟

سألني قائلا: (بحسب رأيك الشخصي، ماذا افعل؟).

قلت له: (اصدر الآوامر الى هذه القوات أن تغادر هذه المنطقة فورا، نحن سنتحمل حمايتك و حراستك الشخصية، اطمئن يا سيدي لن يحدث أي مكروه أو حدث خطير).

بعد الانتهاء من حديثي هذا، خرج اللواء بكر و التفت الى العسكريين الموجودين هناك و قال لهم: (على الآمر المسؤول عليكم أن يأمر باعادتكم الى المكان الذي جئتم منه، لأنني لا احتاجكم) بهذا الايعاز تم اعادة الجميع الى اماكنهم الاصلية.

اللواء بكر كان يزورني يوميا في مكتبي، لكي نقضي معا بعض الاوقات، في احد الايام رأيت رجلا عجوزا قد وضع حملا من العنب على ظهر البغل الذي مَرَ من امام مكتبي، اشتريت منه هذا الحمل و ارسلته مع احد العاملين الى اللواء

بكر باعتباره هدية مني، بعد مرور فترة جاء اللواء بكر لكي يعبر عن شكره لهذه الهدية و المبادرة و قال: (أنا لم أزور المنطقة الشمالية منذ ايام حكم عبدالسلام عارف، لقد حاول البعض أن يعكسوا صورة سلبية عن الشعب الكردي، حيث كانوا يقولون انهم قومية وحشية و يحقدون على العرب، لكن خلال هذه الايام تغييرت الصورة السلبية التي كانت مترسخة في رأسي.

بعد مرور اسبوعي، جاء اللواء بكر لزيارتي و قال لي: (كنت أرغب بالبقاء اكثر من الفترة المحددة لي، لا بل كنت ارغب في أن نقوم بسفرة الى مصيف سرسنك معا، لكن وزارة الدفاع اتصلوا بي و طلبوا مني العودة بسرعة الى بغداد، لذلك سأعود غدا، لكن من الصعوبة أن أقوم بزيارة هذه المنطقة مرة اخرى خلال فترة قصيرة، لكن اعبر عن تقديري الكبير لك، أنا اعتبرك مثل ابني الذي احبه كثيرا، لهذا و عندما يكون لديك أي عمل ضروري في بغداد، لا تتردد بزيارتي، سأبذل جهدي لأجل تحقيق ما ستطلبه مني).

في ظل هياج و شطحات خيالي، خَطَرَ ببالي فكرة ما و قلت: (لماذا لا اذهب الى زيارة حضرة اللواء و اطلب منه أن يساعدني و يفعل لي شيئا).

لهذا، قررت أن اجمع أغراضي و وضعته في حقيبتي و ودعت والدتي و والدي و اخواتي و اخولني، ثم انطلقت نحو الكراج و ركبت الباص لأجل السفر الى بغداد، وصلت الى كراج النهضة بعد الظهيرة، ثم توجهت الى شارع الرشيد بواسطة التكسي الى فندق (نزار) حجزت غرفة ذات السرير الواحد، تمددت و وقعت في النوم حتى غروب الشمس، عندما نهضت من النوم، وجدت االظلام قد غطى الشوارع، ذهبت الى باب الفندق بملابسي العسكرية، خوفا من الانضباط العسكري لم احاول الابتعاد عن الفندق كثيرا، كان هناك بعض المطاعم و المقاهي بالقرب من المقهى، دخلت مطعم الجمهورية، طلبت وجبة من (التمن و الفاصوليا ساده) التي كانت بستة دراهم ثم شربت استكانين من الشاي الحلو في مقهى ام كلثوم.

ذهابي الى وزارة الدفاع

صباحاً نهضت من النوم و ذهبت الى مطعم الجمهورية، تناولت صحناً من العدس مع الشاي، علما أن مقر وزارة الدفاع كان قريبا من ساحة الميدان و لا تبتعد سوى خطوات عن الفندق، لهذا توجهت سيراً على الاقدام الى هناك لأجل مقابلة حضرة اللواء بكر.

عندما وصلت الى استعلامات الوزارة و طلبت مقابلة السيد اللواء، وجدت مسؤول الاستعلامات ينظر الى طلبي هذا و هو مذهول و مندهش تماما، بالذات عندما نظر الى ملابسي العسكرية غير المنظمة، لا بل انني ارتديتها بشكل لا تليق بزيارة وزارة هامة و حساسة مثل وزارة الدفاع، بحيث جذب نظره و قال لي و هو بحالة الغضب: أخرج من هنا و قبل أن نلقي القبض عليك، كيف تعتبر نفسك عسكريا في حين أن قيافتك و جسدك كله غير قانوني؟!

بقيت صامتا في مكاني و لم أجيب على سؤاله الذي خلق احباطا كبيرا في اعماقي، اخيرا تراجعت بخفة الى الوراء، للرجوع الى الفندق، و أنا في الطريق وقعت في التفكير بايجاد حل ملائم، بحيث استطيع من خلاله الوصول الى السيد اللواء و أعرض عليه مشكلتي.

في الزقاق الذي كان بجانب مطعم الجمهورية، كان هناك بعض دكاكين بيع ملابس اللنكة، كذلك فيها انواع المستلزمات و الاغراض الكهربائية و المنزلية، هذا بالاضافة الى كافة انواع الألبسة بسعر رخيص، في تلك اللحظات العصيبة خَطَرَ بخيالي فكرة شراء قميص و بنطال منظم و مرتب، لأجل ارتداءه ثم الذهاب الى مقر وزارة الدفاع مرة اخرى، لذلك توجهت احد بائعي اللنكة و اشتريت بنطال نيللي اللون مع قميص ابيض وذلك بدينار واحد، بعد ذلك رجعت الى الفندق، بذلك ارتديت الملابس المدنية بدلا من العسكرية القديمة، ثم وضعت خمسين فلسا في التلفون العمومي الذي كان موجودا في غرفة استقبال الفندق و اتصلت ببدالة اتصالات الوزارة الذي سألني: تفضل ماذا تريد؟

قلت له: اريد المدير العام للتموين و النقل اللواء بكر وهيب الدوري.

سألني: هل تعرفه شخصيا؟

قلت: نعم

قال: مَنْ هو حضرتكم و ما هو اسمك؟

قلت: قل له مسؤول الدور السياحية في منتجع مصيف صلاح الدين.

بعد لحظات اجابني قائلا: حضرة اللواء معك

بعد تبادل السلام والتحية، سألني اين انت الآن، أنا ارغب برؤيتك

قلت له: انا جئت الى بغداد، لأنني اريد مقابلة حضرتك

اقال لي: الآن توجه الى مقر وزارة الدفاع، أنا سأقوم بتوصية احد ما لأجل توصيلك الى غرفتي الخاصة.

لذلك لم أتأخر و انطلقت مباشرة الى وزارة الدفاع، ذهبت الى مسؤول الاستعلامات و عرفت نفسي قائلا له: اتصلت بالسيد اللواء بكر و لدي موعد معه.

وجدت مسؤول الاستعلامات يلاحظ ملامحي و هو في حالة استغراب كبير، ثم سألني: ألم تكون انت الذي راجعت الاستعلامات بملابس عسكرية؟!

قلت له: نعم، أنا

هَز رأسه و لم يقل شيئا، فجأة جاء ضابط برتبة نقيب و التفت لي سائلا: انت الذي اتصلت قبل فترة وجيزة بحضرة اللواء بكر؟

قلت: نعم

قال: تفضل تعال معي، حضرة اللواء بانتظارك في غرفته.

عندما وصلت الى غرفته، نهض السيد اللواء من مكانه و احتضنني بحرارة و تبادلنا قبلات المحبة و الاخلاص و أجلسني على الكرسي بكل احترام و تقدير مع توصية بجلب الشاي.

ثم سألني: ما الذي جعلك أن تتوجه الى بغداد؟

قلت له: أنا الآن جندي في مركز تدريب كركوك العسكري، لجأت الى حضرتكم لكي تساعدني في هذه المجال.

عندما قلت هذه العبارة، صمت اللواء قليلا، ثم قال لي: انت تعلم جيدا بأنني احبك و اقدرك مثل ابنائي؟

قلت له: أنا لا أشك ابدا بهذه المسألة، لهذا أنا لجأت اليك لكي اطلب منك مثل هذا الطلب الصعب و المحرج.

و نحن كنا مشغولين بهذا الحديث، دخل مسؤول مكتبه و قال: رئيس جامعة ابكر للعلوم العسكرية يريد أن يلتقي بحضرتك؟

قال: ليتفضل و يدخل

دخل رجل طويل القامة و بملابس مدنية و أدي التحية بضرب قدمه بقوة على الأرض وعرف نفسه و قال: لقد استلموا مني سيارة المارسيسدس بأمر من جنابكم، انت تعرف جيدا بأنني أعاني من آلام فقرات ظهري و تعودت على هذه السيارة بالذات، انها تلائم وضعي الصحي، لهذا أطلب من حضرتكم الموافقة الغاء هذا الأمر و اعادة السيارة لي.

جناب اللواء بكر وافق و اصدر أمراً باعادة السيارة له.

بعد ذلك بقينا نحن الاثنين فقط في الغرفة و قال لي: السيد الوزير موجود في الغرفة التي تقابل غرفتي، فاذا طلبت منه أن يتم تسريحك من الجيش، من المؤكد سيوافق على طلبي بسهولة، لكن انت تعرف بأن مثل هذا الطلب بالنسبة لي و لموقعي و منصبي العسكري، تعتبر من الامور الصعبة جدا، لا بل انه سيمثل بمثابة الموت،انت تعرف لماذا؟

سألته: لماذا؟

قال: انه من المعروف عن هذا المسؤول الكبير، بانه لم يصل مثلي الى هذا المنصب الكبير عن طريق بذل الجهود الحثيثة مع قضاء سنوات طويلة في الخدمة، كذلك، فلو دخلت عليه يجب تأدية التحية و ضرب قدمي بقوة على الارض، ثم اطلب منه هذا الطلب غير القانوني في ظل احراج و خجل كبير.

فقلت له: أنا أعتذر كثيرا من جنابك، لأنني لم اعرف بان المسألة هكذا بالنسبة الى موقفك، لذلك كان يجب من المفروض أن أفكر في المسألة و عدم احراجك في مثل هذا الطلب الذي اصبح مصدر قلق، لذلك أنا الآن يكفيني هذا الاحترام و التقدير، ارجو من حضرتكم أن تنسى المسألة و سأعود فورا الى مركز تدريب كركوك و تحمل الصعوبات.

عندما قلت هذه العبارة، وجدته ينظر الى رتبته العسكرية الكبيرة و قال: سأبصق على عليها و لعنة الله عليها، هل هذا هي الحياة الطبيعة التي نعيشها الآن؟

فقلت له: سيدي، لماذا تقول مثل الكلام؟

قال: ألا ترى حياتنا اليومية هذه التي تتعقد يوما بعد يوم، يجب أن تعرف جيدا بان حياة عامل نظافة افضل من حياتنا نحن اهل الرتبة و المنصب العالي، انت ستخدم في الخدمة العسكرية و يأتي اليوم الذي سيتم تسريحك من الجيش، بالتالي العودة الى حياتك الطبيعية التي ستعتبر مثل الجنة بالمقارنة مع حياتي أنا، حيث لا نجد أملا قريبا إلا بعد دخولنا مرحلة الشيخوخة المتأخرة أو الموت المفاجيء، هكذا هو حالنا نحن العسكر من ذوي الرتب العالية.

مع الانتهاء من هذه العبارة التفت الى شاي الحامض الذي كان أمامي، فوجده كما هو و لم أشربه، قال: قال لي: اشرب الشاي قبل أن يبرد، لا تقلق، لأنه يجب أن افعل لك شيئا، لن اتركك أن تعود في حالة الاحباط و فاقد الامل، انشغلت بشرب الشاي، وضع اللواء بكر غطاء الرأس على رأسه و خرج من خلف الميز الذي كان امامه و قال: سنذهب الى المدير العام للتجنيد العسكري، فنحن الاثنين خريج دورة واحدة في الكلية العسكرية، كذلك تمكنا نحن الاثنين وصلنا الى هذه المرتبة و المنصب بجهدنا و حقنا، سأطلب منه أن يساعدنا، أنا أرى من الافضل التنازل لصديقي القديم هذا بدلا من الوزير الذي استطاع الوصول الى هذا المنصب الكبير عن طريق الجهات العليا في الدولة !

بهذا توجهنا أنا و جناب اللواء بواسطة سيارة المارسيدس السوداء و خرجنا من البوابة الرئيسية للوزارة، في هذه اللحظات ارتسمت على شفايفي و قلت مع نفسي: (انها عالم غريب، قبل عدة ايام من الآن تعرضت للعقوبة (زحفا على بطني) و ذلك في مركز تدريب كركوك، في حين تجدني الآن اخرج من الباب الرئيسي لوزارة الدفاع في ظل التحية العسكرية !)

بعد مرور عدة دقائق وصلنا الى المديرية العامة للتجنيد العسكري التي كانت في باب المعظم و بالقرب من المعهد الفني في الرصافة، مدير عام التجنيد العامة كان برتبة لواء ركن، عندما شاهد اللواء بكر نهض من مكانه و احتضنه بحرارة و قال له: منذ مدة طويلة لم نلتقي معا، كيف تذكرتني الآن؟

اللواء بكر قال له: بسبب انشغالي ببعض الاعمال العسكرية الذي جعلني أن أنساك و لم أتمكن من اللقاء بك، بعد أن جلسنا، سأل المدير العام للتجنيد: مَنْ يكون هذا الشاب؟

اجاب: انه مسؤول دور السياحة في مصيف صلاح الدين في الشمال، قبل فترة من الآن اخذت اجازة لمدة اسبوعين و توجهت الى مصيف صلاح الدين لقضاء الاجازة هناك و تمكن هذا الشاب من ابداء المساعدة لي طيلة اقامتي

هناك، استمر في الحديث قائلا: انت تعلم جيدا بان سفرة شخصيات بارزة من امثالنا الى هذه المنطقة لا تعتبر من الامور السهلة، باعتبارها منطقة خطرة بسبب الوضع غير الطبيعي في الشمال، قبل التوجه الى هناك أكدوا على ان اكون حذرا و عدم التحرك بحرية، أي تخويفي من مخاطر حقيقية، باعتبار أن المنطقة تشهد حربا و تصادمات يومية، و قالوا لا ننصحك من أن تتوجه الى هذه المنطقة حرصا على سلامتك، لكني لم اهتم بهذه الاحاديث و توجهت بهوية اخرى الى مصيف صلاح الدين، مع هذا، استطاع هذا الشاب أن يتعرف على هويتي الحقيقية و مسؤوليتي الكبيرة، لقد تم تخصيص دارا اعتياديا لي مع ضمان السلامة و الحماية، لهذا قضيت اجازتي في ظل اجواء هادئة، لكن تم دعوة هذا الشاب للخدمة العسكرية و طلب مني أن افعل له شيئا و مساعدته.

التفت المدير العام للتجنيد نحوي و قال: هل تحمل الآن دفتر خدمتك العسكرية الآن؟

قلت له: كلا، و نسكن مدينة اربيل.

قال لي: ليست مشكلة، ارجع اليوم الى اربيل و اجلب لي دفتر الخدمة غدا، سأقوم بتسريحك من الخدمة العسكرية. بعد احتساء الشاي سرد الاثنين بعضا من ذكرياتهم، نهضنا و رافقت اللواء بكر حتى الباب، ثم ركب سيارته المارسيدس عائدا الى وزارة الدفاع، بينما أنا رجعت الى الفندق بواسطة التكسي، مع انني كنت مترددا، لكن كنت اتحدث مع نفسي قائلا: (ان رجوعي الى اربيل ثم العودة مرة اخرى الى بغداد سيستغرق وقتا طويلا و يتم ادخالي حالة الهروب بسبب غياباتي) لهذا قررت العودة اولا الى مركز التدريب اولا، ثم يوم الخميس و بعد الانتهاء من التدريب اليومي، سأعود الى اربيل لكي احمل دفتر خدمتي و تسليمه الى المدير العام للتجنيد العامة في بغداد.

اخيرا رجعت الى مدينة كركوك، عندما شاهدني رئيس عرفاء شيركو من بعيد، قال لي بصوت كبير و قال: آهٍ منك يا ابو شوارب، قل لي ماذا افعل بك الآن، لا

اعرف متى ستتعلم تطبيق النظام ثم التخلص من مخالفاتك، يبدو أن رئيس عرفاء شيركو لم ينشر و يسجل غيابي، لهذا تراه يوجه اللوم و يصرخ بوجهي فقط و لم اجده لديه رود فعل جدي، بحيث ان يكون هناك عقوبات.

بقيت في مركز التدريب حتى يوم الخميس، بعد انتهاء الدوام رجعت الى بيتنا في مدينة اربيل، عندما شاهدني والدي تغير ملامح وجهه كالعادة و ظهر الغضب عليه بصورة واضحة، وبخني و زجرني بقوة و قال: أنا لم أرى عسكريا مثلك، يحاول التملص و التهرب من الخدمة العسكرية الى حد انني أشك بانك مستمر في الخدمة؟!

أنا حلفت له بالله و قلت له: انني لم اهرب من الخدمة العسكرية، الآن عدت من مركز التدريب و قمت بواسطة كبيرة لكي يتم تسريحي من العسكرية.

عندما سمع مني هذه العبارة الغريبة، هنا وجدته اكثر غضبا و استفزازا قائلا لي: هل أنا غشيم الى هذا الحد لكي تعبر عَلَيَ مثل هذا الكلام الساذج، ثم قل لي على ماذا تستند لكي يتم تسريحك؟ طيب هل انت فقدت جزء اساسيا من جسدك أو مكفوف أو عاجز تماما عن الحركة؟ أم وظيفتك الحالية هامة و حساسة جدا لكي تتفرغ للعمل هناك؟ أم انك تعتبر الخدمة العسكرية لعبة اطفال بسيطة، لكي تتم القفز على نظامها و قوانينها بهذه السهولة؟

لكني قمت بسرد قصة سفري الى بغداد و قلت له انني راجع الى بغداد غدا صباحا لأجل توصيل دفتر خدمتي الى المدير العام للتجنيد العامة، بالتالي تسريحي من الخدمة العسكرية.

في ذلك اليوم كنت فيه سعيدا جدا، قمت بالتجول داخل السوق و حول القلعة ثم توجهت الى شيخ الله و جسر سيداوة ثم أخذت طريقي رويدا رويدا الى البيت، بالقرب من بيتنا رأيت خدر و عبو، سلمت عليهما و احتضنا بعضنا البعض، سألت عن احوال زياد حيران، خدر تدخل قائلا: ألم تعرفوا بأنه تم سوقه ايضا الى الخدمة العسكرية و ارسلوهُ الى معسكر رشيد في بغداد؟

قلت: سأتوجه غدا صباحا الى بغداد و سأحاول زيارته في المعسكر.

سألني قائلا: لماذا تذهب الى بغداد، يا ترى هل تم نقلك الى هناك؟

قلت: كلا، انني سأذهب الى بغداد لأجل تكملة معاملة تسريحي من الخدمة العسكرية.

وجدت عبو الخباز يسخر مما قلته الآن من خلال صوت قبيح غير تربوي من فمه، قائلا: يجب أن تعلم جيدا انك التحقت بالخدمة العسكرية قبل اشهر قليلة، لذا يجب عليك انهاء خدمتك القانونية و المتمثلة بثلاث سنوات، عليك أن لا تكون انسانا ساذجا الى هذا الحد ! !

على اية حال، قضيتُ هذا النهار و الليلة مع عائلتي بعد زيارة اصدقائي، نهضت من النوم مبكرا فبل شروق الشمس، توجهت الى كراج بغداد و ركبت الباص متوجها الى بغداد، فعندما وصلت الى هناك، قمت بتأجير تكسي الذي أوصلني الى المديرية العامة للتجنيد، ذهبت مباشرة الى الاستعلامات و طابت مقابلة المدير العام.

مسؤول الاستعلامات سألني: هل تعرفه؟

قلت: نعم، لقد جئت الى هنا بناء على طلبه الشخصي، اخبره بأنني جئت لزيارته برفقة صديقه اللواء بكر، انني اريد مقابلته.

رفع مسؤول الاستعلامات الهاتف و تحدث مع المدير العام للتجنيد، ثم وضع الهاتف و سلمني باج خاص للمراجعة و قال لي: هل تعرف كيف تصل الى غرفته؟

قلت له: نعم، لأنني قمت بزيارته سابقا.

قال: اذن لا يستوجب ان يرافقك احد.

اخيرا وصلت الى مدير مكتب المدير العام للتجنيد العامة و طلبت منه لقاء السيد االلواء، رفع الهاتف و اتصل به قائلا: (هناك شخص يريد لقائك و يقول بأنه قد قام بزيارتك برفقة اللواء بكر و يعرفك جيدا).

لقد ظهر بان السيد اللواء كان غير واثقا من أنه لا يعرفني ابدا و لم يلتقي بي شخصيا، لكن مع هذا سمح لي بلقائه، عندما دخلت غرفته وجدت ضابطا طويل القامة مع ملامح بيضاء مع حُمرَة جاذبة للنظر، أي لم يكن نفس الضابط الذي قابلته مع اللواء بكر، سلمت عليه، رد على سلامي و قال لي: عرف تفسك، لأنه أشك بأننا قد التقينا سابقا قي أي مكان؟

لقد وقعت في حالة حيرة و اندهاش و احباط، عندما طلب مني تقديم نفسي له، بحيث لم استطيع عن التحدث و قفت صامتا و مذهولا في مكاني، احس مدير عام التجنيد بتغيير ملامح وجهي و الارتباك الواضح عَلَيَ، لهذا وجدته ينهض من مكانه و خرج من وراء ميزه الخاص، فوضع يده على كتفي و قال لي: ابني أنا اعرف بانك جئت لمقابلة المدير العام السابق، لذا اندهشت عندما رأيتك لأول مرة؟!

قلت: صحيح، عندما جئت في الاسبوع الماضي مع اللواء بكر لزيارة المدير العام السابق، و كان هناك شخص آخر جالس على هذا المقعد الذي تجلس عليه، لهذا أنا اعتذر كثيرا منك سيدي، فأنا ليس لي علم بما حصل هنا.

قال لي: ابني قل لي ما هو طلبك لأجل تنفيذه لك؟

فقلت له: ليس لدي أي مطلب، فقط كنت اريد زيارته، لهذا هل استطيع أن أسأل اين هو الآن؟

قال: لقد تم احالته على التقاعد بقرار من مجلس قيادة الثورة.

عندما سمعت هذه العبارة المؤثرة، وقعت في حزن كبير، بحيث كان بمثابة ضربة قوية بالنسبة لي، لأنه كان بمثابة الأمل الكبير بالنسبة لي، بالذات مسألة تسريحي من الجيش!!

في ظل هذا الوضع النفسي السيء و المحبط، رجعت الى الكراج، لأجل العودة الى مدينة كركوك و مركز التدريب و الى توبيخات رئيس عرفاء شيركو،

بعد وصولي الى هناك، بدأت بالتوسل منه بكل الوسائل، لكي يسامحني على غيابي لمدة يوم واحد فقط.

لكن ماذا افعل مع سوء الحظ الذي ظهر من خلال ابعاد و تقاعد المدير العام للتجنيد في بغداد، بحيث فقدت الفرصة الذهبية التي كانت امامي و قلت مع نفسي: (من المستحيل أن أجد مثل الفرصة الحقيقية أو تكرارها في المستقبل القريب) على اية حال قررت السيطرة على نفسي و الألتزام بالدوام و التدريب، كذلك محاولة تحسين علاقتي مع رئيس عرفاء شيركو.

تم توزيع اغلبية العسكريين على الوحدات و لم يبقى سوى عدد قليل من الجنود، اخيرا وجت رئيس عرفاء شيركو قد اصبح صديقا لي و لم يحاول أن يتعبنا كثيرا و كنا نقضي اغلبية الاوقات في سرد بعض الاحداث الطريفة.

لم يمر سوى فترة قصيرة، في احد الايام و عندما كنت واقفا في ساحة العرضات، جاء

نائب ضابط القلم و اقترب مني و قال لي: ابو خليل هذا أمر نقلك الى مستشفى السليمانية العسكري في السليمانية، الآن اذهب لكي تقوم بتهيئة أغراضك و التحق مباشرة بهذا المكان، عندما استلمت كتاب نقلي الى مثل هذا المكان القريب من مدينتي، احسست بفرح كبير، لأنه تم نقلي الى احدى المدن الكردستانية، لا بل انني كنت ارغب بالعمل في المستشفيات العسكرية.

لهذا توجهت بسرعة الى قاعة المنام وبدأت بتجميع اغراضي و وضعتها داخل حقيبتي و ذهبت الى باب النظام و قمت بتأجير تكسي، جاء احد السواق و قال لي: ابو خليل اذا كنت تريد الذهاب الى الكراج تعال معي، لأنه جاء دوري الآن، وضعت حقيبتي داخل صندوق السيارة و جلست في المقعد الامامي و توجهنا الى كراج السليمانية، عندما وصلت الى السليمانية مع وقت الظهيرة و كنت احس بجوع كبير، لذلك ذهبت الى المطعم و طلبت وجبة من التمن و المرق، بعد ذلك توجهت الى المستشفى العسكري بواسطة تكسي،

سلمت الكتاب الى قلم المستشفى، بعد فترة قصيرة من الانتظار، جاء انضباطي و قال لي: تعال ابو خليل الآمر يطلب حضورك الآن، عندما دخلت عليه أديت التحية العسكرية المعتادة له و قلت: سيدي ، أنا جاهز لتنفيذ الآوامر؟

سألني: ابني، انت من اهالي أية منطقة؟

قلت له: أنا من مدينة اربيل.

قال لي: لدينا وحدة عسكرية على طريق (دوكان) في قرية (قليسان) أنا سأرسل الى هناك، انه مكان جيد بالنسبة لك و ستقترب من مدينة اربيل، انها منطقة جميلة و سكانها ناس طيبون، هناك سترتاح كثيرا، ثم سلمني كتاب نقلي الى الوحدة الطبية في (قليسان) بهذا خرجت و توجهت الى الكراج، صعدت احدى السيارات التي اخذت طريق (كويسنجق – اربيل) علما أن قرية (قليسان) لم تكن بعيدة عن مدينة السليمانية، عندما وصلنا الى هناك، وقفت السيارة و قام السائق بالاشارة بيده الى قرية صغيرة التي كانت تبتعد مسافة كيلو متر واحد فقط عن الطريق العام و قال لي: هل ترى هذه القرية، انها قرية (قليسان) و ستجد هناك الوحدة الطبية.

لقد كنا في فصل الشتاء و شديدة البرودة في نهايات سنة ١٩٧٨، و بدأ هطول الامطار التي صادفت مع جمود مياه سواقي و جداول المياه و هبوب رياح باردة، بدأت السير مع الساقية متوجها نحو مقر الوحدة الميدانية، عندما وصلت هناك، جاء عدد من الجنود العرب لأجل استقبالي و قالوا: يبدو انك منقول الى هنا؟

قلت لهم: نعم

قالوا: انه مكان جميل جدا و لا تحس بأي انزعاج و تضايق، خصوصا و نحن سنقوم بالتدريبات لمدة ساعتين يوميا و سنقضي باقي الاوقات بتنفيذ بعض الاعمال، حسب الاختصاصات و المهنة، مع وصولنا الى عريف قلم الوحدة و قالوا

له: لقد تم نقل هذا الجندي الى وحدتنا، استلم مني الكتاب و ذهب الى آمر الوحدة، عاد بعد لحظات و قال: خذوهُ الى المخزن من اجل استلام البطانية و الوسادة و المستلزمات الاخرى، ثم خذوه الى عريف الفصيل لأجل تسجيل اسمه.

قرية (قليسان) كانت منطقة حلوة جدا و تتمتع باجواء و طقس لطيف و معتدل في فصل الصيف، كنا نسمع صوت طير (القبج) مع بدايات الصباح و خرير الماء الجاري التي كانت تختلط مع هبوب الهواء اللطيف، مع أن اغلبية العسكريين في هذه الوحدة كانوا من القومية العربية الذين يتصفون بالطيبة و المحبة و يرتبطون بعلاقة جيدة مع اهالي المنطقة، بقيت هناك لفترة و لم أحس بأي غربة و انزعاج، لقد كانوا يقومون بتدريبنا يوميا لمدة ساعتين، ثم نتفرق و نتوجه الى اعمالنا، المتعلمون كانوا يذهبون الى قلم الوحدة و الطباخون الى المطعم و بعض الآخر الى المخزن، بينما نجد المعاون الطبي و المضمد يتجه الى أماكن معالجة المرضى و الصيدلية، اما الباقي يتجهون نحو حراسة السجن و اطراف الوحدة.

لم ابقى في هذه الوحدة كثيرا و تم نقلي الى وحدة طبية اخرى في منطقة (كاريزه وشكه) التي كانت تقع خارج مدينة السليمانية، لكنها لم تكن بعيدة عن هذه المدينة، لهذا يتم السماح للعسكريين الذين كانوا من سكان المدينة أو لديهم اقارب فيها بالنزول بعد الانتهاء من الدوام الرسمي الى عوائلهم، أنا انتهزت هذه الفرصة و قلت لهم بان بيت عمي موجود في هذه المدينة، طلبوا مني تأييد من مختار محلتهم.

في ذلك اليوم اعطاني آمر الوحدة ورقة عدم التعرض و قال لي: يمكنك النزول بعد الانتهاء من الدوام الرسمي، لكن يجب عليك جلب تأييد المختار غدا و إلا لن نسمح لك للنزول الى المدينة.

بعد تناول وجبة الغداء مع العسكريين، توجهت الى الطريق العام و تمكنت من ركوب باص يعمل على خط (كاريزه وشكه – السليمانية) عندمل وصلت ذهبت الى مسجد (كاك احمد الشيخ) نزعت ملابسي العسكرية و ارتديت ملابسي المدنية.

كان هناك خادم كبير في السن يقوم بخدمة المسجد و يظهر بأن فقير، لذا اخرجت من حقيبتي القليل من التمر و الاغذية المعلبة و اعطيتهُ، حيث عبر عن شكره و قال: ابني، ما دمت أنا موجود هنا، لا تخجل و تعال لكي تستبدل ملابسك، أنا خدمت في الخدمة العسكرية مثلك و افهم المسألة، انت تستبدل ملابسك خوفا من الانضباط العسكري.

عبرت عن شكري الجزيل له، بعد استبدال ملابسي توجهت الى اماكن مكاتب المختارين، عندما وصلت الى مكتب مختار محلة (بختياري) بعد السلام قلت للمختار: أنا من سكان مدينة اربيل و عسكري في (كاريزه وشكه) بيت عمي موجود في محلة بختياري، جئت لأجل منحي تأييد للسيد آمر الوحدة، لكي أتمكن من النزول يوميا.

سألني المختار قائلا: هل تعرف رقم الدار؟

قلت: كلا

قال لي: تعال معي و سنذهب بالتكسي الى هناك، بعد التأكد من بيتهم سأعطيك التأييد.

لذا ذهبنا معا بالتكسي الى محلة بختياري، في الطريق فكرت في ايجاد فكرة لكي اخدع مختار و احصل على التأييد.

عندما وصلنا الى محلة بختياري، توجهنا الى بيت (خاله عبده) الذي كان جيراننا في مدينة (دربنديخان) و متزوج من أمرأتين، زوجته الكبيرة اسمها (آمه خان) بيتها كان يقع في حي (قرجاوه) في مدينة السليمانية أما الزوجة الثانية اسمها (شمسه خان) التي كانت تسكن معه في مدينة (دربنديخان) لكن

و بعد وفاة خاله عبده عادت (شمسه خان) مع اطفالها الى مدينة السليمانية و سكنوا حي بختياري.

عندما وصلنا الى بيت (شمسه خان) قلت للسائق قف هنا، لكي اجلب رقم بيت عمي للمختار، عندما قلت هذه العبارة، تفاجئت بالمختار و هو يقول لي: هذه لا تكفي و يجب أن أتأكد بنفسي من هذه المسألة ايضا، ثم أمنحك التأييد المطلوب.

قلت له: انه من حقك باعتبارها مسؤولية كبيرة، لأن تأييد عسكري في مثل اليوم لا تعتبر مسألة سهلة كما يعتقد البعض، لكن انتظرني في التكسي الى أن أذهب لأجل اعلامهم بوصولك و التأكد من وجودهم في البيت.

قال لي المختار: طيب يا ابني، لكن ارجو أن لا تتأخر كثيرا.

كتبت رقم الدار على الورقة ثم وضعت اصبعي على الجرس، خرجت (كوليزار) ابنة (شمسه خان) عندما شاهدتني استقلبتني بحرارة و قالت: كيف فكرت بزيارتنا، الآن ستأتي أمي التي ستفرح كثيرا.

قلت لها: انني الآن عسكري في (كاريزه وشكه) و جئت مع مختار محلتكم الذي يريد أن يطمئن على انني أعرفكم، لأنني قلت انه بيت عمي، لكي يعطيني تأييد النزول يوميا الى وحدتي العسكرية، لأجل السماح لي بالنزول بعد انتهاء الدوام الرسمي.

سألتني: ففي حال النزول، اين ستنام؟

قلت: أجرت غرفة في الفندق.

قالت: لماذا لا تأتي الى بيتنا؟

قلت لها: هذا الفندق يقع في قلب السوق و باصات خط (كاريزه وشكه) قريبة منه و تقف امام مسجد كاك احمد الشيخ، حيث سأستطيع الوصول مبكرا الى وحدتنا و بدون أي تأخير.

عندما شاهدنا المختار بهذه الحالة، ناداني و قال: الآن تأكدت من بيت عمك و عنوانهم، اجلب لي رقم الدار و لا يحتاج النزول من التكسي.

اخرجت من جيبي ورقة و سلمته للمختار و قلت له: انه رقم الدار

استلمها مني و قال لي: لنعود الى المكتب لكي اعطيك التأييد.

بعد عودتي مع المختار الى مكتبه، نظم لي التأييد مع توثيقه بختمه الرسمي ثم سلمه لي قائلا: ابني العزيز انني اعتذر كثيرا عن التعب بسبب التحري عن بيت عمك، فأنت تعرف جيدا مدى المسؤولية الكبيرة في مثل هذه المسائل و تبعدنا عن المخالفات القانونية التي قد تحدث بعض المرات، استلمت التأييد و وضعته في جيبي، ثم توجهت الى فندق دلشاد و أستأجرت غرفة من سرير واحد بايجار شهري قدره ثلاثة دنانير، في هذه اللحظات شعرت بفرح كبير و قلت مع نفسي: (من الآن فصاعدا سأذهب الى مصيف سرجنار بعد الانتهاء من الدوام بسبب اجواءها الجميلة و قد ألتقي ببعض الاشخاص هناك).

بعد نهوضي من النوم مبكرا، تناولت الفطور في احدى المقاهي ثم صعدت احدى باصات التي تتوجه الى (كاريزه وشكه) بعدها الى وحدتي، قبل الذهاب الى ساحة العرضات سلمت التأييد المطلوب الى قلم الوحدة.

بعد الساعة العاشرة صباحا رجعنا من التدريب الى القاعة لأجل اخذ قسط من الراحة، بعد ذلك ذهب كل واحد منا الى اعماله و المكان المخصص له، في ذلك اليوم قالوا لي يجب الحضور امام الآمر الذي قال لي: ابني مادمت قد اكملت دراسة المتوسطة، قررت أن أضعك في قلم الوحدة و شاهدت التأييد الذي جلبته هذا الصباح الى القلم، وافقت على نزولك يوميا باستثناء الايام التي ستكون فيها خفرا في الوحدة.

آمر وحدتي كان من سكان مدينة الموصل الذي كان انسانا بسيطا و من السهولة التعامل معه، حيث كان يزورنا بين فترة و اخرى و يمزح معنا و لديه

هواية تربية الطيور، أنا حاولت استغلال هذه الفرصة و قلت لأصدقائي لدي رغبة تربية الطيور، امتلك البعض من الطيور الجميلة في بيتنا.

لم يمضي سوى بعض الايام و وصل حديثي هذا الى السيد آمر الوحدة الذي ارسل احد الجنود لأجل الحضور امامه و سألني: سمعت انت مثلي ترغب بتربية الطيور؟

قلت: نعم سيدي، منذ مرحلة الطفولة ارغب بتربية الطيور.

سألني: هل لديك (قبج) جيد و نادر؟

قلت: كلا، لكن اذا كان لديك رغبة في ذلك سأستطيع جلب ما تريده مني.

قال لي: أنا لا اريد أن تشتريه لي، لأن الذين يبيعون في الاسواق غير موثوق بهم.

قلت: اعرف، اذا اعطيتنا اجازة لعدة ايام، سأذهب بنفسي الى جبل قرجوغ المعروف بوجود نوع جيد من القبج، هناك سأستطيع صيد زوج من هذا النوع النادر.

عندما قلت هذه العبارة: وجدت آمر الوحدة سعيدا جدا و سحب جرار ميزه و اخرج نموذج اجازة، كتب لي خمسة عشر يوما اجازة و سلمني قائلا: اعتقد أن مدة خمسة عشر يوما تعتبر جيدا، لكي تتمكن من خلاله أن تقوم بصيد زوج من القبج الجميل؟

قلت له: ان صيد القبج يعتمد على الصدفة، بعض الاحيان سيكون االصيد سريعا و احيان اخرى سنجد تطول الفترة بين هذه الجبال، لا بل قد نعود بدون أي صيد.

وضعت الاجازة في جيبي و توجهت الى مكاني في وحدتي، هناك شاهدني عدد من منتسبي وحدتنا و قالوا لي: قبل ايام رجعت من الاجازة، الى اين تذهب؟

قلت لهم: سأذهب الى مدينة اربيل من اجل صيد نوع من القبج النادر، من اجل السيد آمر الوحدة.

عندما وصلت الى البيت، صادفت وجود والدي في باب البيت، صاح بصوت عال قائلا: اعتقد انك كالعادة قد تركت وحدتك بدون اجازة؟

قلت له: السيد آمر وحدتي منحني اجازة لمدة خمسة عشر يوما، لكي أقوم بصيد زوج من القبج له.

عندما سمع والدي هذه العبارة، صعد حالة الغضب الشديد لدى والدي، بحيث تقدم بسرعة نحوي و ضربني صفعة قوية، ثم قال لي: لماذا تكذب؟! انت متى اصبحت صيادا للطيور، يبدو انك قد تعلمت الطرق الملتوية و تريد أن يعبر عَلَيَ ايضا؟

قلت له: والله أنا أقول الحقيقة و لا اكذب عليك ابدا.

اخرجت الاجازة من جيبي سلمته لوالدي.

عندما شاهد والدي الاجازة، صمت في مكانه و دخل مرحلة الهدوء قليلا ثم قال لي و هو يضحك: الآن أثق بكلام و تم منحك اجازة طويلة، لكن تعال قل لي متى تعلمت الصيد؟

قلت له: انه عبارة عن كلام عابر فقط لا اكثر، في الصباح سأذهب الى سوق القيصري و مقهى هواة تربية القبج، سأشتري زوج من القبج بدينارين، عندما اعود الى الوحدة، سأقول لآمر الوحدة تم صيدهما في جبل قرجوغ.

والدي هَزَ رأسه و قال لي: أنا لم افهم السيناريوهات التي تقوم بها، على صعيد كل الاتجاهات (ان كان على صعيد الخدمة العسكرية أو في حياتك الخاصة) قبل فترة من الآن وجدتك تتحرك لأجل التسريح من الخدمة العسكرية و قلت لي بانك قمت بواسطة كبيرة في وزارة الدفاع، لكن اخيرا ثبت العكس و فشلت في محاولتك!!

قلت له: لقد كنت سيء الحظ، لأنني عندما رجعت الى المديرية العامة للتجنيد، وجدت المدير العام السابق قد تم احالته الى التقاعد و االعودة الى نقطة الصفر، رغم ذلك وجدت والدي غير مقتنع بحديثي و هَزَ رأسه كالعادة لكن بدون أية ردد فعل.

وضعت حقيبتي في غرفتي و ذهبت الى الحمام، اخذت حماما دافئا ثم غيرت ملابسي و توجهت الى سوق القيصري، لقد كان هناك مقهى خاص لهواة تربية القبج، فمن عادات هؤلاء الهواة ألمرور بهذه المقهى يوميا و تجد فيها عراك بين هذه الطيور، لأجل تحديد الفائز الذي سيرتفع سعره كثيرا و يصل الى ألف دينار، في حين تجد القبج الخاسر في سوق المزاد بسعر دينار واحد فقط ! !

انها تمثل مشاهد عجيبة و غريبة، سألت صاحب المقهى: لماذا يتم بيع هذه الطيور الغالية بعد خسارتها بدينار واحد فقط؟

قال: لأنه لا يفيد أن يدخل ساحة المنافسة و العراك مرة اخرى، لا يستطيع الوقوف امام باقي الطيور، بالذات بعد أن تعرض الى هزيمة قاسية، لهذا لم يبقى امام صاحبه سوى التخلص من هذا الطير المسكين و المغلوب على أمره !

بعد احتسيت شاياً حلواً، دخلت الى ما بين الذين يتابعون عراك القبج، حيث كان هناك زوج من القبج في حالة العراك و المنافسة،. حاولت استغلال وجودي هذا الجمع الكبير من هواة القبج و البحث عن الجيد من بين المتواجدين، اخيرا وجدت الذي اريده و اقتنعت بهم، فوضعت يدي في جيبي و اخرجت خمسة دنانير و اشتريت زوج من القبج، كذلك اشتريت قفصين و وضعت القبجين فيه ثم قررت العودة الى البيت، وضعتهما في ركن من الغرفة، عندما عاد والدي و شاهد القفصين، قال و هو في حالة الذهول: يبدو انك قد فعلتها واصبحت المسألة حقيقة؟

قلت له: أنا قلت لك الحقيقة و الصدق، بأن آمر الوحدة قد منحني اجازة طويلة لكي اجلب له زوج من القبج.

والدي سألني: لماذا لا نسمع صوت القبجين؟

قلت له: ان القبجين تعرضا الى الهزيمة اثناء العراك و تعرضا الى الخوف، لهذا لا يمكننا سماع صوتهما لفترة معينة، أي حتى نسيان هذه الخسارة و الخوف، قضيت اسبوعين من الاجازة بين عائلتي، بحيث انني لم اعرف كيف

مضى الوقت، ثم قررت العودة و الالتحاق بوحدتي برفقة قفصين و قبجين، بعد عودتي الى الوحدة مباشرة وضعتهما امام السيد الآمر و قلت له: سيدي، لقد حالفنا الحظ و استطعت من صيد زوجين من القبج قبل انتهاء اجازتي بيومين فقط، مع انني غير مقتنع بهما، لأنهما لا يمثلان النوع الذي كنت البحث عنه، حيث كنت اتمنى العودة و أنا احمل معي نوعا نادرا من هذا الطير الجميل الى السيد الآمر الذي يحب تربية الطيور.

مع ذلك وجدت السيد الآمر سعيدا جدا بهما و أوصى الجندي المراسل الذي كان يقوم بخدمته و قال له: ضع هذان القبجان في غرفتي الخاصة و اعتني بهما و تابع وضعهما بدقة، لكي لا يتعرضا الى أي مرض خطير و إلا ستتعرض للعقوبة الشديدة.

ثم التفت لي و قال: انت قدم النصيحة لهذا الجندي الذي لا يعرف شيئا عن تربية هذا الطير.

قلت: سأبذل جهدي لأجل تزويده بهذه المعلومات الهامة، لكن هناك شيء أرغب بتوضيحه لكم.

سألني: ما هو هذا الشيء؟

قلت: بما أن القبجين تم صيدهما حديثا، لهذا أخاف من أن لا نسمع صوتهما المميز و المثير، لحين نسيان الخوف الذي اصابهما بسبب الصيد، لهذا من الافضل أن تفتح ابواب القفصين لفترة محددة و متابعتهما، لكي لا نفقدهما و هما في حالة الطيران.

عندما قلت هذه العبارة الاخيرة، وجدت السيد آمر الوحدة يلتفت الى الجندي الذي كلفه بمتابعة الطيرين و قال له: هل سمعت ما قاله؟ ففي حال هرب الطيرين سأضعك في السجن.

بعد مرور عدة ايام رأيت عريف الفصيل الذي قال لي: ماذا فعلت؟ لقد تحولت الحسنة التي فعلتها للسيد الآمر الى فوضى و مصيبة ! !

سألته قائلا: لماذا؟ و هل حدث شيء مكروه ؟

قال: هل تعلم بأن القبجين قد طارا من يد الجندي المكلف بخدمتهما و متابعتهما، لذلك قام الآمر بسجن الجندي المسكين؟

فقلت له: هذا المسكين ليس له ذنب في مسألة هروب القبجين، لأنه ليس له علم بكيفية تربية الطيرين؟!

قال: تم سجنه بسبب كلامك و تعليماتك بشأن تربيتهما، بالذات ما يتعلق بانطلاق صوت القبج المميز و التي تستوجب فتح باب القفص، يبدو، عندما سمع الجندي صوت القبج، وقف في مكانه صامتا و هو حالة ذهول مما يسمعه و يراهُ، لكنهما انتهزا فتح الباب و انطلقا الى السماء و هما يطيران بحرية؟!

قلت له: ماداما عادا الى طبيعتهما و تم سماع صوتهما المميز، لذلك انا مندهش و لا اعرف كيف طارا؟

قال: يبدو لي بان هذا الجندي قد سمع صوت قبج الراديو الكردي الذي اعتقد بانه صوت قبج السيد الآمر، بذلك وقع هذا المسكين في الخطأ الكبير و فتح باب القفص، لذلك انتهزا الفرصة و انطلقا الى الفضاء المفتوح و الحرية ! !

عندما سمعت بفقدان و طيران القبجين الذي كان له التأثير الكبير على نفسي، خصوصا سجن الجندي المسكين الذي كان مكلفا بمراعاة و متابعة الطيرين، لذلك قررت زيارته في السجن، حيث كان معه اثنين من الجنود المسجونين بسبب الغياب، عندما وقع عينه عَلَيَ بدأ بتوجيه الشتائم و وجه لي تهمة انني خلقت له الكثير من المشاكل و فقد استقراره و مكانته لدى السيد الآمر و قال لي: انت سبب كل هذه المشاكل التي كانت من اجل مصالحك الشخصية و الحصول على الاجازة الطويلة فقط لا اكثر! !

قلت له و أنا ابتسم: أنا ماذا فعلت، انت لا تفهم شيئا، و كيف لا تستطيع التمييز بين صوت قبج راديو الكردي و الصوت الحقيقي لهذا الطير.

قال: ان سوء حظي الذي صادف مع صوت بداية بث الراديو؟!

حاولت التخفيف من حزنه و صدمته، قلت له: لا تحزن، أنا الآن سأذهب الى الآمر و سأتعهد بجلب و صيد زوج من هذا الطير لـه ثـم سـأطلب منـه أن يعفو عنك و يطلق سراحك.

أجابني قائلا: أنا لا احتاج هذه الحسنة منك بالذات، من الافضل لي البقاء في السجن بدلا من الخروج و القيام بمراعاة زوج آخر، ثم التـورط بهروبهمـا مـن يدي كالعادة، هذه المرة لو حدث أي مكروه، سيكون مصيري الموت! !

قلت لـه: لا تخـاف أنـا سـاجلب لـه هـذه المـرة، زوج مـن القـبج البـيتي و المُدجن، بحيث لو تم فتح باب القفص لن يطيرا ابدا.

اخيرا توجهت الى السيد الآمر و قلت له: سـيدي تأكـد بـان هـذا الجنـدي لا يتحمل ذنب ضياع القبجين، لأنه اختلط لديه صوت قبج الاذاعة الكردية و وقع في فخ سوء التقدير، لهذا اطلب من حضرتكم أن تعفو عنه هذه المرة بالمقابل أنا سأتعهد لك بأنني سأجلب لك زوج آخر عند عودتي الى اربيل، لا بل افضـل من السابق، عندما سمع الآمر هذا الكلام مني، وجدتـه سـعيدا و فرحـا، لـذلك أوصى الانضباط الموجود امام البـاب قـائلا لـه: اذهـب علـى الفـور الى سـجن الوحدة لأجل اطلاق سراح الجندي المراسل لدي.

لذلك و منذ ذلك اليوم بدأ الجنود في وحدتنا يسمونني (ابو القبج)؟!

عندما شاهدني الجندي المسجون، قال: ارجوك منك في أن تجلب أي شيء كهدية للسيد الآمر باسـتثناء (القـبج) لـذلك انصـحك في عـدم جلـب هـذا الطـير المشؤوم بالنسبة لي، خصوصا و أنه قد اطلق سراحي بناء على طلبـك، لكـن تأكـد في المـرة القادمـة سـيكون مصـيرك معـي في السـجن، أي لـن يعفـو عنـك ابدا! !

أصبحت خطاط و رسام وحدتنا

بعد مرور فترة قصيرة، سمعت من البعض بأن ضابط التوجيه السياسي في وحدتنا، يحب الفن و علق عدد من لوحات الفنانين العالميين في غرفته، وجدت هذه المسألة فرصة ذهبية و يجب استغلالها بسرعة، خصوصا و انني فنان تشكيلي، كذلك كنت سابقا طالبا في المرحلة االاولى معهد الفنون الجميلة، القسم المسائي في مدينة بغداد، لذلك وضحت للعسكريين في الوحدة باننني فنان و كنت طالبا في معهد الفنون الجميلة، قسم الرسم، لا بل شاركت في بعض المعارض الفنية و حصلت على الجوائز التقديرية.

بعد انتشار هذه المسألة بين افراد وحدتنا و وصل اخيرا الى هذا الضابط، ففي ظهيرة احد الايام، أوصى الملازم غني عبدالنبي كاظم الذي كان ضابطا للتوجيه السياسي في وحدتنا، بحضوري امامه لكي يطلب مني أن أرسم له عدة لوحات تشكيلية، لذلك طلبت منه أن يسمح لي لكي اذهب الى السليمانية لأجل شراء بعض الاصباغ و المستلزمات الضرورية للرسم، اعطاني ورقة عدم نعرض و قال لي: الآن انزل و اشتري لي المستلزمات المطلوبة، سأقوم بتخصيص مكان خاص للرسم، من الآن فصاعدا ستقوم برسم اللوحات لي فقط.

في ذلك اليوم نزلت مبكرا و قبل انتهاء الدوام الرسمي، و تمكنت من شراء كافة المستلزمات و العودة الى الفندق، اخذت دوشا ثم وقعت في النوم حتى المساء.

عندما نهضت من النوم، ذهبت الى مقهى الشعب و تناولت وجبة العشاء المكون من (القيمر) اللذيذ مع الشاي، بعد ذلك توجهت الى سينما دلشاد لمتابعة فلم (شامي كابور في باريس) عندما عدت من السينما الى الفندق لم يبقى امامي سوى النوم حتى الصباح.

لقد استفدت كثيرا من تجربة ممارسة هواية الرسم في الوحدة، فوصل الأمر الى أن اللواء قائد الفرقة طلب مني أن ارسم له لوحات و تزيين و تجميل جدران وحدتنا، بذلك انتشر اسمي كفنان تشكيلي و خطاط الوحدة، لا بل وصل الى كافة الوحدات التي كانت منتشرة حول منطقتنا.

منذ ذلك اليوم تغيير اسلوب و تعامل الضباط معي و كان لي مكانة خاصة لديهم، لا بل حتى انهم لم يكونوا يسألوا عن دوامي و غيابي، لقد كنت استطيع النزول في أي وقت اريده أنا، زادت سفراتي و اجازاتي لزيارة عائلتي الى مدينة اربيل.

ان مبادراتي في رسم اللوحات الجميلة لكافة الضباط و آمري الوحدات التي تتم وضعها في غرفهم، بذلك توطدت كثيرا علاقاتي مع كافة الضباط و المراتب، لا بل حتى الأمر الى أن بعض الجنود كانوا يطلبون مني التوسط لهم لدى الضباط!

في قلم وحدتنا، يوجد نائب ضابط متزمت و عصبي المزاج، كان من اهالي الناصرية و اسمه مطشر ذياب صالح، كان الجميع في حالة النفور منه و يرفض العمل معه، لا بل عندما علم بان جميع ضباط الوحدة يحترمونني كثيرا و ينفذون طلباتي بدون أي تردد و رفض، لذلك وقع في حالة عداء معي، من خلال ممارسة الحرب النفسية و وضع العراقيل امامي.

ففي بعض الحالات و عندما كنت اجلس بدون أي عمل، كان يقول لي (تعال شيل الطابعة) ثم يعود و يقول لي، عليك باعادتها الى مكانها السابق؟! كان يمارس هذه الاساليب الخبيثة، لذلك كنت احاول السيطرة على نفسي و عدم استفزازه و تنفيذ ما يطلبه مني، لذلك لم أتأخر و حملت الطابعة و توصيله الى

المكان الذي يحدده لي، بعد مرور فترة قصيرة و عندما كان يعرف بأنني مشغوال بخيالي، يأتي كالعادة و يقول لي: (تعال رجع الطابعة الى مكانها السابق) و ذلك في اطار ممارسة الحرب النفسية معي بالذات، لذلك كان يحاول تكرار مثل هذه الممارسات الشيطانية عسى أن يستفزني و اقول شيئا و لو بسيطا لكي يجعله حجة، بالتالي تقديمي كمذنب و ارفض تنفيذ الآوامر العسكرية.

في احد الايام، وجدت جنود القلم يقولون لي: (جميعنا سنذهب الى الآمر لكي نطلب منه أن ينقل نائب ضابط مطشر الى مكان آخر و التخلص منه.

لقد وجدت الفكرة جيدة و معقولة، لذلك رافقتهم و ذهبت معهم لى آمر الوحدة، في البداية التفت العريف صالح الى الآمر، قائلا له: سيدي، ان النائب ضابط مطشر يستفزنا كثيرا بدون أي مبرر و يتعامل بقسوة مع الجميع، لذلك نطلب منكم نقله الى مكان آخر!

وجدنا الآمر غاضبا جدا، بحيث قذف العصا التي كانت بيده نحو العريف صالح و وجه له الكثير من الشتائم المخجلة و قال له: انت تكذب و جلبت هؤلاء الجنود معك قسرا، لأنني متأكد انهم لا يشتكون منه؟!

ثم طرده و التفت نحو جندي آخر و قال له: انت ماذا تقول؟

اجاب الجندي قائلا: سيدي، ان كلام العريف صالح صحيح و دقيق جدا و نحن جميعا غير راضون عنه، لقد حضرنا الى هنا لأجل أن نطلب من حضرتكم نقله الى مكان آخر.

زاد حالة الغضب لدى الآمر و خرج من خلف ميزه الشخصي و بدأ بضرب هذا الجندي موجها له عدة لكمات قوية ، قائلا له: يا كلب ابن الكلب أنت بمثابة ذيل للعريف صالح، ثم قال: انكم تكذبون و تتقصدون بابعاد هذا النائب ضابط المسكين و الملتزم، ثم سأل الجندي قائلا: لماذا لم يكن لديك أي لوم و عتب ضده، باستثناء هذه المرة التي ترافق فيها العريف صالح باعتبارك ذيلا له؟!

ثم التفت لي قائلا: انت ماذا تقول يا ابو شوارب؟

في هذه الحظات المحرجة، وقعت في التفكير صامتا و قلت مع نفسي: اذا كررت نفس كلام باقي زملائي العسكر، من الممكن أن أتعرض أنا ايضا الى الضرب بركلات و تخريب العلاقات بيننا، لهذا قررت تغيير كلامي و قلت له: (انت تقول الحقيقة سيدي، أنا ليس لدي شكوى و لوم للنائب ضابط مطشر، فالعريف صالح لم يقول لي باننا سنذهب لأجل تقديم الشكوى و إلا لم أكون أرافقه الى هنا؟!

عندما سمع الآمر هذا الكلام مني، فرح كثيرا و وضع يده على كتفي و قال لي: بارك الله بك.

عند العودة الى القلم، وجدت العريف صالح و هو يعبر عن استياءه و اشمئزازه، يتحدث مع نفسه و يوجه الشتائم الى السيد الآمر؟!

وقعت في الضحك،لذلك زاد حالة الغضب لدى العريف الذي قال: يبدو ان علاقاتك جيدة مع السيد الآمر و الضباط، لا بل ينفذون لك كل ما تطلبه منهم، لذلك لا يهم لديك بقاء و عدم بقاء النائب ضابط مطشر الذي يعتير كلب ابن كلب؟!

فقلت له: أنا اعرف جيدا بان النائب ضابط انسان سيء و خبيث و لا يمكن التعامل معه بسهولة، يجب أن تعلم جيدا بأنه كان يمارس معي الحرب النفسية و يحاول التأثير على معنوياتي و اثارة حالة الاحباط لدي، تصور كان يأمرني بان احمل الطابعة عدة مرات في اليوم الواحد.

لكني لا اعتبر هذه المسألة التي نحن بصددها مشكلة كبيرة، لأننا تعودنا على هذه الممارسات الخبيثة و الاستفزازية، خصوصا و أن الآمر يفضله على الجميع و يستمع اليه دائما و مهما كانت كان سيئا معنا، انه يدافع عنه و يسانده عند الباطل و الحق، لهذا لا يستوجب أن ننشغل بما يفعله و يمارسه معنا، فهو معروف لدى الكثيرين بأنه رجل انتهازي و فاسد و يتعامل على اساس ما ستقدمه له من هدايا و المبالغ النقدية، أنا مثلا و عندما أنزل في اجازة، كان يطلب مني أن أجلب له كمية من الحلويات و الجرزات، ثم يقول لي انك لست مثلنا و تعيش في بيت عمك و تنزل الى السليمانية، أي تم توفير

الكثير من الوسائل الراحة لك، بينما نحن هنا في المعسكر نعاني كثيرا و من النادر جدا أن تجدنا نتناول الحلويات و الفاكهة الطازجة.

بعض الاحيان كنت اقول له: تجد في حانوت وحدتنا الكثير من الحلويات المتنوعة، لماذا لا تشتري من هناك؟!

لقد كان يحاول ايجاد الكثير من الحجج الواهية و يقول لي: ان الحلويات الموجودة في الحانوت تفتقد الى اللذة و الطعم و ليست طازجة، أي تختلف عما هو موجود في السوق.

علما انني كنت اشتري الحلويات من السوق، لكن عند تقديمها كنت اقول له: عمي يشتريها من السوق لأجل تقديمها لك كهدية، فالمهم لدى (مطشر) ان نجلب له الحلويات ولا يهم مصدره، فوصل الأمر الى انني انزعجت من طلبياته الكثيرة التي كانت كثيرة، فقررت اخيرا البقاء و عدم النزول و المبيت في الوحدة؟١ لأن راتبي لا يتحمل مثل هذه المصاريف التي كانت تتكرر كثيرا في الشهر الواحد، هذا بالاضافة الى اجرة المبيت في الفندق،

اقتربنا من نصف السنة و موعد امتحانات معهد الفنون الجميلة، راجعت الملازم (غني) فقلت له: سيدي، ارجو منحي اجازة لأجل الذهاب الى بغداد و المشاركة في اداء امتحانات نصف السنة.

عندما سمع مني هذا الكلام، وجدته فرحا و مسرورا و قال لي: سنذهب سويا الى مخازن (ابو غريب) لكي نستلم حصتنا من العتاد و السلاح المخصص لوحدتنا، فبدلا من الاجازة سأعتبرك في حالة (المأمورية) لكني سأطلب منك شيئا؟

فقلت له: أمرك سيدي، اطلب ما تريد؟

قال لي: خذني معك الى المعهد، لكي ألتقي مع الفتيات و الطالبات الجميلات هناك و التعرف معهن من خلال تقديمك لي.

قلت له: طيب سيدي، سنذهب معا الى المعهد و سأقدمك للطالبات و الطلاب، ساقول لهم انك ضابط في وحدتنا الميدانية الطبية، اخيرا اتفقنا على أن يذهب كل واحد منا لوحده الى بغداد و سنلتقي هناك في اليوم التالي في الساعة العاشرة صباحا، سيكون موعد لقاءنا امام المحطة، و من هناك سنذهب في البداية الى (ابو غريب) لأجل استلام حصتنا من السلاح و العتاد.

اما بالنسبة الى تنفيذ واجبنا وخطة سفرتنا، قال لي: أنا احتاجك في اليوم الاول و الاخير فقط.

سألته قائلا: كيف سيدي؟ وضح لي المسألة

في اليوم الاول سنذهب سويا الى (ابو غريب) و نقوم بتسليم كتابنا، ثم نستلم كتاب استلام الاسلحة و العتاد، بعد ذلك توجه انت الى اداء امتحاناتك في المعهد، أنا سأذهب الى البيت لكي التقي بأهلي و قضاء اوقات جميلة معهم، ثم و بعد الانتهاء من اعمالنا ساتصل بك تلفونيا، لأجل تحديد موعد اللقاء امام محطة القطار، لكي نذهب الى (ابو غريب) و استلام الاسلحة و العتاد.

اخيرا، قررت الانطلاق الى بغداد بملابسي العسكرية، وصلت الى هناك بعد ظهيرة ذلك اليوم، نزلت في فندق (احمد) في الميدان، في صباح اليوم التالي تناولت فطوري في مطعم الجمهوري الذي كان يتكون من صحن عدس لذيذ مع كوب شاي، ثم توجهت الى ساحة وقوف الباصات في ساحة الميدان، لكي اذهب الى العلاوي و محطة القطار، لأجل اللقاء مع الملازم (غني).

عندما وصلت الى ساحة الميدان، وجدت انضباطا عسكريا ينادي من بعيد ثم وضعني مباشرة في السيارة العسكرية المخصصة للموقوفين، ففي البداية كنت اعتقد بانهم سيقومون بتوصيلي الى المكان الذي نريده، لكنني وجدتهم يجلبون المزيد من العسكريين، بحيث ان الشاحنة العسكرية قد امتلئت تماما، و بينما كان الوقت قد تجاوز بدايات الدوام الرسمي المحدد لنا

في الوحدات العسكرية، اردت النزول، لكن احدهم واجهني بغضب و شتمني، التفت الى احد العسكريين الموقوفين و قلت له: أنا جئت في مأمورية الى بغداد و لدي موعد مع الضابط المكلف بهذا الواجب، أنا مستغرب لماذا لا يسمحون لي في أن أذهب الى هناك لكي لا أتأخر عن موعدي؟

وقع الجندي في الضحك و قال لي بسخرية: أنت ماذا تقول؟ و هل من المعقول أن يقوم هؤلاء بتوصيلنا الى الاماكن الذي نريده ؟!

استغربت كثيرا من كلام هذا العسكري، لذا التفت الى عسكري آخر و قلت له: ارجو أن توضح لي لماذا وضعونا في هذه السيارة العسكرية؟

اجابني قائلا: يبدو أنهم رصدوا مخالفة و ملاحظة عليك، لهذا تم القاء القبض عليك، بعد قليل و عندما تمتلىء السيارة سيأخذوننا الى آمرية انضباطية الحارثية و سنتعرض الى العقوبة الشديدة و السجن.

بقينا هناك حتى وقت الظهيرة و نحن محجوزين داخل السيارة العسكرية حتى لحظة التي أمتلأت فيها السيارة، صعد الضابط في صدر السيارة و توجه الباقي من الانضباط الى مؤخرة السيارة، لكي يكونوا معنا، اخيرا تحركت السيارة الى انضباطية الحارثية.

هناك وقفنا في صف واحد و على الاستعداد العسكري، جاء احد الضباط لكي يلاحظنا و يعرف مخالفات كل واحد منا و تأشيرها بشكل منفصل، بعد ذلك جاء ضابط آخر و سألنا: مَنْ منكم يحمل نموذج اجازة أو كتاب مأمورية رسمية، ليخرج و يقف على جانب، أما الباقي ليقفوا في مكانهم.

أنا و بعض الجنود الآخرين كنا نحمل نماذج اجازات و كتاب المأمورية الرسمية، خرجنا و وقفنا في جهة اخرى.

الضابط قال: خذوا الذين لا يحملون أي شيء الى السجن حتى الانتهاء من فترة العقوبة ، ثم جاء احدهم و استلم منا نماذج الاجازات و كتاب المأموريات و سجل عنوان وحداتنا داخل السجل الرسمي و قال لنا: لقد

اطلقنا سراحكم و بأمكانكم الذهاب فورا، سنقوم باعلام وحداتكم بكتاب رسمي حول مخالفاتكم لهذا اليوم، لكي يتم معاقبتكم في وحداتكم، بهذا انقطعت عن الملازم (غني) و لم استطيع أن ألتقي به في الوقت المحدد، توجهت الى الفندق و قمت بتغيير ملابسي العسكرية و ارتداء الملابس المدنية، بعد تناول وجبة الغداء، توجهت الى المعهد و اشتركت في اداء امتحانات نصف السنة.

بقيت اسبوعين في مدينة بغداد حتى الانتهاء من الامتحانات، بعد ذلك ذهبت الى معسكر رشيد و التقيت زياد حيران ثم قمنا بزيارة صابر رشيد و عبالباسط فرهادي و ازاد خوشناو الذين قاموا بتأجير غرفة ضمن مسكن قديم، حيث كانت تقع بالقرب من تمثال معروف الرصافي، قضينا معا وقتا ممتعا، ثم قمنا أنا و زياد بتوديع الموجودين، توجه زياد الى وحدته و أنا عدت الى الفندق.

بعد الانتهاء من الامتحانات توجهت الى مدينة السليمانية و التحقت بوحدتي العسكرية، عندما شاهدني الملازم غني ناداني و قال لي: أنت قمت بخيانتي و بمخالفة الموعد المحدد بيننا، لذا شكلنا لجنة للتحقيق معك.

قلت له: سيدي، أنا لم لم أخالف الموعد المحدد بينا عن قصد، أرجو أن تستمع لي و تعرف سبب عدم مجيئي و تخلفي عن الموعد.

قال لي: يا ترى هل قمت باعلام المسلحين الموجودين في الجبل عن واجباتنا، لكي يقوموا بقطع الطريق علينا و يأخذوا منا ما نحمله من اسلحة و عتاد؟!

لكني كنت مجبرا على سرد قصة القاء القبض عَلَيَ من قبل الانضباط العسكري و لا اعرف عنوان بيتكم في بغداد لكي أتوجه الى بيتكم و اعلامكم باسباب تخلفي عن الموعد المحدد بيننا، و يمكنك أن تتأكد من كلامي بعد وصول كتاب رسمي من آمرية الانضباط العسكري في الحارثية الذي يؤكد القاء القبض علي في ساحة الميدان و ستتأكد بنفسك من حقائق و اسباب تأخري و تخلفي عن الموعد.

عندما انتهيت من حديثي، وجدته يقع في الضحك و قال لي: لا تخاف، أنا كنت أمازحك، لأنني أثق بك.

بعد مرور عدة ايام وصل كتاب آمرية الانضباط العسكري في الحارثية الذي كان يتضمن عقوبة سجن لمدة شهر واحد.

نائب ضابط مطشر أخرج الكتاب و هو يضحك و قال لي: انظر هذا هو الكتاب، ماذا تقول يا (ابو القبج) ففي هذه الحالة لا يفيدك (القبج) و لا (اللوحات التشكيلية) عندما وصول هذا الكتاب الى السيد الآمر، لا يستطيع أن يفعل لك أي شيء و سيضعك في السجن لمدة شهر كامل ! !

لكن وجدت العريف صالح منزعج و قال لي: لا تقلق، اذهب الى الآمر قبل أن يقوم بتنفيذ أمر السجن حسب كتاب الحارثية، اطلب منه العفو، لأنه يستطيع أن ينشر أمر العقوبة لكن بدون أن يسجنك.

أخذت بنصيحة العريف صالح و ذهبت الى السيد الآمر و سردت له قصة القاء القبض عَلَيَ في ساحة الميدان، ثم طلبت منه أن يعفو عني.

الآمر كان يحبني كثيرا، لهذا قال: اذا وصل الكتاب، سأقوم بنشر العقوبة لكن بدون أن تدخل السجن، بهذا تخلصت من هذا القلق الذي اثقل كاهلي كثيرا، لقد كنت اعاني كثيرا من مصاعب الحياة العسكرية، فعندما كنت افكر بكيفية انهاء ثلاث سنوات خدمة، كنت اقول مع نفسي انه من الصعب و المستحيلات أن استمر في الخدمة، لهذا فكرت بحل آخر، بحيث استطيع انقاذ نفسي.

كنت في الصف الرابع الاعدادي عندما بدأ القتال بين الحركة الكردية بقيادة الملا مصطفى بارزاني و الحكومة المركزية، بسبب عدم التوصل الى الاتفاق النهائي، قررت ترك الدراسة و التحقت بالثورة و توجهنا الى الجبل، بقيت هناك لعدة اشهر، حاولت استغلال هذه الحادثة، من خلال التحدث عن هذه القصة بين جنود وحدتنا و كنت احاول أن ابالغ في القصة و اضيف اليها بعض

الاحادث و المفارقات غير الواقعية اليه، حيث كان هدفي منها أن تصل الى اسماع الضباط و الآمر و التوجيه السياسي في وحدتنا، لكي يعتبروونني من (العائدون) و اخيرا يتم تسريحي من الخدمة العسكرية.

في احد الايام و عندما كنت حرس في الباب النظامي، أي اثناء فترة حراستي، وجدت آمر اللواء قد دخل وحدتنا بواسطة جيب قيادة، لقد كنت لا اعرف تنفيذ تأدية (تنكب سلاح و جنبك سلاح و التحية العسكرية النظامية) بحسب الاصول، فخلال فترة وجودي و تدريبي في مركز تدريب العسكري في كركوك لم استطيع أن اتعلم هذه التحية الاساسية، لهذا رفعت يدي الأيمن له فقط و قمت بتأدية التحية الاعتيادية، لم يمضي سوى فترة وجيزة حتى وجدت آمر وحدتنا يرسل احد عناصر الانضباط الذي قام برفع (غطاء الرأس العسكري) من رأسي و اخذني معه باعتباري احد المذنبين و المخالفين للنظام العسكري و قدمني للسيد آمر الوحدة، آمر وحدتنا و آمر اللواء كانا جالسين على الاريكة الطويلة في الغرفة، وقبل أن يتحدث معي آمر الوحدة معي، وجدت آمر الواء يلتفت نحوي و قال ليى و هو غاضب جدا: انت هل تعتبر نفسك عسكريا نظاميا؟ يبدو انك لا تستطيع التمييز بين الشخص المدني و العسكري، طيب هل تعرف مَن أنا؟

قلت له: انت آمر اللواء

قال لي: اذن لماذا لم تقوم بتأدية التحية العسكرية الخاصة؟ انت لم تكن عسكريا نظاميا، أي لم أجد الاحترام الحقيقي منك، لذلك يجب أن تعاقب بسب هذه المخالفة العسكرية.

قلت له: سيدي لم أكون أريد الاساءة لك أو عدم احترامك، أنا لم أتعلم التحية العسكرية الحقيقية اثناء التدريب العسكري، و قبل أن التحق بالخدمة العسكرية، كنت قد ألتحقت بالثورة الكردية، أي اننا تعودنا على تأدية هذه

التحية الاعتيادية عندما كنا نرى (ملا مصطفى بارزاني) لهذا وجدتني اقوم بتأدية نفس التحية التي تعودت عليها هناك و لم اتعرض للعقوبة بسبب هذه التحية، آمر اللواء تغيرت ملامحه و ظهر عليه الغضب الشديد

عندما ذكرت هذا الكلام، وجدته ينفجر مثل الطلقة النارية و التفت الى آمر وحدتنا و قال له و هو في حالة غضب: هل يمكن أن نعتبر أنفسنا قادة و ضباط عسكريين حقيقيين، بالذات في ظل احتضان عناصر مخربة و متمردة في وحدتنا و يجلس بيننا بأمان، ألم تخافوا من أن يكون لهذا الجندي على علاقة بالعناصر المسلحة المتمردة؟ لا بل أن يقوم بتزويدهم بمعلومات عسكرية هامة و خطرة، بالتالي التعرض الى ضرر كبير؟!

الآمر قال: نحن لم نعرف شيئا عن هذه المعلومات و لم يتحدث عن هذه المسألة عندنا، لكن مع هذا أنا لي ثقة كبيرة به، انه لا يعتبر شخصا مسيئا لكي أشك بسلوكياته.

التفت آمر اللواء نحوي و قال لي و هو في حالة غضب: انت لا تتحمل مسؤولية هذا الخطأ الكبير، ان المذنب الحقيقي يتمثل بالذي قام بتجنيدك و جعلك عسكريا ثم وضعوك في هذه الوحدة الحساسة.

اخيرا، تمكنت من خلال هذه الحكاية المحبوكة انقاذ نفسي من العقوبة الشديدة، وضعت الغطاء العسكري على رأسي و عدت الى باب النظام لأجل اكمال حراستي و واجبي.

بعد مغادرة آمر اللواء، آمر الوحدة وجه بحضوري امامه و قال لي: ابني لماذا لم تتحدث سابقا عن هذه المسألة الخطيرة و بأنك قد التحقت سابقا بالمخربين؟

قلت له: سيدي،، أنا كنت اعتقد بأنكم تعرفون كل شيء عني و لديكم كافة المعلومات عن هذه المسألة، لهذا لم اتحدث عنها.

قال: اذا منحتك اجازة لمدة اسبوع هل تستطيع أن تجلب لنا كتاب رسمي من المكان الذي سلمت فيه نفسك و يؤكد بأنك قد التحقت بالمخربين؟

أجبته قائلا: نعم استطيع، باعتبار أن الحكومة قي اصدرت عفوا عاما لجميع الذين التحقوا بهذه الحركة، أنا سلمت نفسي بمديرية الامن في اربيل و شملني هذا العفو، ثم عدت الى اكمال دراستي في اعدادية كردستان.

اخرج الآمر نموذج الاجازة و ثبت فيه المعلومات و ختمها، ثم قال لي: اذهب في الحال الى مدينة امن اربيل و يجب عليك عدم العودة الى هنا بدون جلب كتاب رسمي يؤكد التحاقك بالمتمردين، كذلك لا تنسى جلب دفتر الخدمة العسكرية، مع أن الآمر لم يوضح لي ما هو هدفه، لكني علمت بأنه يريد تسريحي باسم الاكراد العائدين، لهذا غمرني فرح كبير و توجهت الى مدينة السليمانية و الفندق الذي كنت اقيم فيه، نزعت ملابسي العسكرية و ارتديت الملابس المدنية، بعد ذلك توجهت الى الكراج و ركبت سيارة اجرة و اخذننا طريق (كويسنجق) متوجهين الى مدينة اربيل، عندما وصلت الى البيت، وجدت والدي كالعادة منزعجا و مشمئزا بعودتي السريعة و وجه لي الكثير من الشتائم و قال لي: انت لن تصبح رجلا حقيقيا ابدا و تتحمل المسؤولية، أنا لم أرى في حياتي عسكري مخربط و فوضوي مثلك ابدا، طيب قل لي كيف يتقبل هؤلاء الضباط بسلوكيات و لا يزجوك في السجن، بالتالي نتخلص من مشاكلك التي لا تنتهي.

أجبتهُ و الابتسامة ترتسم على وجهي، قائلا: في هذه المرة سيتم تسريحي و سأعود بصورة نهائية.

عندما ذكرت هذه العبارة وجدت والدي لا يثق بما قلته له و سخر مني قائلا: انت تعتبرنا سذج و لا نعرف شيئا عن الانظمة و القوانين العسكرية الصارمة، خصوصا و انت لم تخدم سوى عدة اشهر في الخدمة العسكرية، طيب، وضح لي كيف يتم تسريحك؟

قلت له: هل تتذكر عندما التحقت بالثورة الكردية عام ١٩٧٤، حينها عبرت عن رفضك و انزعاجك، فعندما عدت لزيارتكم من اخلال منحي اجازة، وجدتك

تسلمني الى مديرية الامن، لكي لا تتعرض الى الاعتقال و التحقيقات، شملني العفو العام الذي صدر في حينه ثم العودة الى المدرسة.

قال: اتذكر جيدا، حتى أن الاستاذ مدحت محمد صفوت كان مسرورا بهذه الخطوة و منع أن تفوت عليك السنة الدراسية، من خلال تأدية امتحانات الدور الثاني و ساعدك على تحقيق النجاح، لكن قل لي ما هي علاقة هذه المسألة مع مسألة تسريحك من الجيش؟

قلت له: في تلك الفترة قامت الحكومة بتسريح جميع الذين كان لهم علاقة بالثورة الكردية و الآن آمر وحدتنا يريد تسريحي من الخدمة العسكرية استنادا على نفس القرار.

مع هذا وجدت والدي غير مقتنع بما قلته حتى الآن، لأنه هَزَ رأسه و قال مع نفسه بصوت منخفض: لا حول و لا قوة الا بالله؟! اكتفى بهذه العبارة و لم يقل شيئا آخر.

في اليوم التالي ذهبت الى محافظة اربيل و راجعت مدير الشؤون الداخلية و سلمته كتاب الوحدة و آمر وحدتي، بعد الاطلاع عليه قال لي: حدد لي اليوم و التاريخ الذي التحقت فيه بالحركة و كذلك يوم عودتك، لكي نستطيع العثور على فايلك الشخصي بسرعة ثم تزويدك بالرد و توجيه كتاب خاص الى وحدتك.

قلت لـه: بتـاريخ ١٩٧٤/٣/١٥ التحقـت بالحركـة و بتـاريخ ١٩٧٤/٨/٢١ عـدت بزيارة و اجازة الى البيت، لكن والدي منعني مـن العـودة و سـلمني الى مديريـة امـن اربيل عن طريق حسين آغا السورجي و شملني العفو العام و العودة الى المدرسة.

مدير الشؤون الداخلية في المحافظة سجل الملاحظـات علـى ورقـة و ربطهـا مـع كتاب الوحدة و قال: راجعـني بعـد ثلاثـة ايـام و سـتجد الجـواب مـن مديريـة امـن اربيل.

قمت بزيارة دائرتي الرسمية و قلت لهم: خلال هذه الايـام سـيتم تسـريحي من الجبش، لكني وجدت الموظفين حالهم حال والدي، أي لم يثقوا و ضحكوا بما قلته لحد الآن، قالوا: نرجو أن تقول شـيئا واقعيـا، بحيـث يتقبلـه العقـل، خصوصـا و أنـه لم يمـر سـوى أقـل مـن سـنة واحـدة علـى التحاقـك بالخدمـة العسكرية، طيب قل لنا كيف سيتم تسريحك من الجيش؟

بعد مرور ثلاثة ايام، راجعت مرة اخرى ديوان المحافظة و ذهبت الى غرفة مـدير الشؤون الداخلية، عندما شاهدني قال لي: قمنا بالاجابة على كتاب وحدتك، لكنـه كتاب سري، لكن ولكي لا تتأخراكثر، سنقوم بتسليمه لك مباشرة.

قلت له: كلامك صحيح، آمر وحدتنا اكد علـى أن اجلـب مـع الجـواب دفـتر الخدمة العسكرية، لأنه اعتقد بأنه سيقوم بتسريحي من الخدمة العسكرية.

قال: هذا صحيح، خصوصا مع وصـول كتـاب مـن مـن وزارة الـدفاع الـذي يؤكد على تسريح العسكريين الذين التحقوا بحرة الملا مصطفى بارزاني،

عندما سمعت هذه العبارة من مدير الشؤون الداخلية في المحافظة، اصبحت متأكدا تماما و غمرني الفرح الكبير.

لذلك عدتُ نفس اليوم الى مدينة السليمانية، وصلت الى هناك قبل غروب الشـمس و ركبت باص خط (كاريزه وشـكه) لكـي اذهـب الى الوحـدة و تسـليم الكتـاب الـذي جلبته معي الى قلم الوحدة و العريف صالح الذي فتحه و اخرج الكتاب و اطلـع عليـه

مباشرة، بعد الانتهاء من القراءة التفت نحوي و قال لي: يبدو من هذا الكتاب بأنك كنت احد عناصر المخربين و رغم ذلك كان الآمر يثق بك كثيرا؟

قلت له: هل كل مَنْ التحق بالحركة يعتبر من المخربين؟

اجابني قائلا: أنا لا اقول بل الكتاب الذي جلبته يؤكد ذلك.

لكن العريف عندما احس بانني زعلان على ما قاله لي، قال لي: أنا أمزح معك، لأنني لم أرى منك أي سلوك شائن و سلبي طيلة الفترة التي بقيت فيها معنا، أنا لا علاقتي لي بهذه المسألة الحساسة، فالمهم انك لم تحاول الاساءة الى أي فرد هنا و كنت انسان مسالم.

قلت له: هل ستقوم بتنظيم معاملة تسريحي الآن؟

قال لي: لقد نزل الآمر منذ فترة الظهيرة، عند عودته سأقوم بتقديم البريد له، عندما يقوم بالتأشير على الكتاب، عندها سأقوم بتنفيذ الآوامر.

لقد كنت مسرورا جدا في ذلك اليوم و لم استطيع النوم تلك الليلة، نهضت من النوم و توجهت الى العريف صالح و قلت له: هل يستوجب الذهاب الى التدريب اليومي؟

قال: لا، ليس ضروريا، في الساعة الثامنة سيجلس الآمر في مكتبه، عندها سأقدم له الكتاب، انت ابقى قريبا مني حتى الانتهاء من التدريب، لكي أرسلك الى المخزن و المشجب و تسليم المستلزمات العسكرية اليهم و اجلب براءة ذمة منهم، انشغل بتنفيذ هذه المسألة و أنا سأقوم باملاء دفتر الخدمة العسكرية.

انشغل العريف صالح بكتابي و وضعها امام آمر الوحدة، بعد مرور فترة وجيزة ارسل الآمر مراسله الخاص لأجل الحضور أمامه، و عندما وصلت الى غرفته قال لي: أنا حزين لأنك ستتركنا، مع ذلك ان الحياة المدنية افضل من الحياة العسكرية، لذلك اقدم التهاني لك و اتمنى لك حياة افضل.

انتظرت حتى انتهاء التدريبات العسكرية اليومية المعتادة و عودة العسكريين و معاملة تسريحي لأجل توديعهم، لكني وجدت اصدقائي لا

يملكون اية معلومات حول مسألة تسريحي، لذلك كانوا في حالة اندهاش و استغراب عندما شاهدوني بملابسي المدنية و قالوا لي: لقد انتهت اجازتك و هل من الممكن تجديد الاجازة مرة اخرى؟

قلت لهم و أنا اضحك: أنا سأودعكم هذه المرة و لن أعود مرة اخرى و سيتم تسريحي من الخدمة العسكرية، ثم ودعتهم في ظل تبادل القبلات الاخوية، اخيرا توجهت نحو باب النظام و الشارع الرئيسي، ثم الى مدينة السليمانية بواسطة باصات خط (كاريزه وشكه) و تمكنت من العودة الى مدينة اربيل في نفس اليوم.

حياة جديدة

بعد تسريحي من الجيش، عُدتُ الى الدوام في دائرتي الرسمية و باشرت بالعمل، الموظفون استقبلوني بحرارة و سألوني في حالة اندهاش كبير: يبدو انك تلعب و تتعامل بذكاء كبير، نحن مثلا في فترة من الفترات عندما تم استدعونا و تم سوقنا الى الخدمة العسكرية، خدمنا اكثر من سنة ثم تم تسريحنا، أما بالنسبة لك تم سوقك الى الخدمة لمدة ثلاث سنوات، لكن و مع هذا تم تسريحك رغم أن خدمتك اقل من سنة؟!

مدير الدائرة استدعاني للحضور امامه و طلب مني العودة الى مصيف صلاح الدين، لأجل الاشراف على الدور السياحية و المسبح، و بهذه المناسبة سلمني دار سياحي مفروش و فيه جميع المواد و المستلزمات مجانا، قال لي: منذ سنة و نحن نبحث عن موظف كفوء مثلك لكن دون جدوى، لهذا واجهنا الكثير من المشاكل مع السواح و القادمين الى الدور السياحية، لذلك نتمنى أن تقوم بتنفيذ اعمالك بنجاح كما كنت تفعل سابقا.

لقد كنت مسؤولا و مشرفا على هذه الدور و المسبح خلال ثلاث سنوات، ففي هذه الفترة تزوجت و سكنا في هذا المكان السياحي الجميل و كان حياتا مستقرا و ممتعا، خصوصا و كان هناك عدد كبير من السواح يأتون من جميع انحاء العراق و حتى الدول العربية و الخليجية، بالذات في ظل جمال طبيعة المناطق السياحية في كردستان و منها منتجع مصيف صلاح الدين، أنا كنت المسؤول

الاول و لدي صلاحيات كبيرة، لقد منحني سيروان جاف امين عام البلديات و السياحة الصلاحيات الكاملة، لهذا كنت اتصرف و اتعامل على هذا الاساس.

في احدى المرات جاء الحاج خيرالله الطلفاح الى مصيف صلاح الدين و أقام لمدة اسبوعين، لقد ظهر لنا بأنه كان انسانا اجتماعيا و بسيطا و يرغب بالاختلاط مع الناس، ففي الامسيات كان يستقبل الكثير من المسؤولين الكبار، هذا بالاضافة الى زيارة العشرات من المواطنين العاديين و البسطاء، حيث كان يجلس معهم داخل حديقة كبيرة و أنا من ناحيتي كنت احاول استغلال هذه الفرصة و اطلب منه مساعدة البعض من الاصدقاء و المعارف و تلبية مطالبهم، علما انه كان كان يرغب في استلام الهدايا رغم انه خال الرئيس السابق صدام حسين، ففي احد المرات وجه حديثه الى قائمقام (سميل) بحضور الضيوف، قائلا له: اين الخروف الذي وعدتني به سابقا؟

أجابه قائلا: كنت اعتقد بأنك تمزح معي، لهذا لم اتعامل بجدية مع هذا الطلب.

قال له الحاج خيرالله: اذا لم تنفذ طلبي خلال هذا اليوم، سوف اقول لصدام حسين أن يقوم بالغاء أمر تعينيك و اعادتك الى مكانك السابق؟

أجابه القائمقام: أتعهد لك و قبل العودة الى مدينة دهوك سأقوم بتلبية طلبك.

الحاج خيرالله كان عبارة عن شخصية عشائرية، لذلك كان يجمع حوله و في مجلسه الكثير من الناس و من جميع الطبقات و الشرائح مع محاولة حل مشاكلهم و مطالبهم و رفعها للمسؤولين الكبار.

خلال احدى الأمسيات كنت جالسا مع الحاج خيرالله طلفاح زاره محافظ اربيل بهاءالدين محمد و قال له: سيد الرئيس اصدر أمرا بتبادل المنصب بيني و بين محافظ دهوك يحى الجاف، أنا سأذهب الى دهوك و يحى الجاف سيأتي الى اربيل، و بهذه المناسبة سيقوم اصداقائنا في المجلس التنفيذي مأدبة غداء في فندق (هورامان) و ذلك بحضورنا و ضيوف اخرين بما فيهم رئيس المجلس التنفيذي و التشريعي و جميع الأمناء العامين، لذلك لدي رغبة بدعوتكم و تشاركنا هذه

المأدبة، و كما قلت سابقا ان الحاج خيرالله لن يرد ابدا الدعوات و الهدايا و يحب حضور مثل هذه الجلسات و التجمعات، لذلك وافق على حضورها فورا، ثم التفت نحوي و قال لي: انت ايضا ستحضر بناء على دعوتي أنا و سنذهب معا الى فندق (هورامان) بينما أنا كنت مسرورا و قلت مع نفسي: (هذه فرصة ذهبية لكي أتناول وجبة دسمة و لذيذة و التعرف على بعض المسؤولين الكبار و منهم الامين العام للسياحة و هو المسؤول المباشر لدائرتنا، فمثلا لو شاهدنا بمرافقة الحاج خيرالله بالتأكيد سيحترمني اكثر و يضع لي مكانا خاصا لديه، في اليوم التالي رافقت الحاج خيرالله الطلفاح و ذهبنا معا الى فندق (هورامان) وجدنا هناك مأدبة غداء كبيرة و بحضور اغلبية المسؤولين الكبار في كردستان، فعندما شاهدنا الامين العام لمؤسستنا بمرافقة الحاج خيرالله اندهش كثيرا و بدأ بالحديث مع نائبه، لكني لم اعرف عن ماذا تحدثوا و كنت متأكدا بأن هذا الحديث يشملني أنا، فالمهم عندي خلال هذا اليوم النادر بأنه لأول مرة في حياتي أتناول مثل هذه الوجبة الدسمة و بحضور مجموعة كبيرة من المسؤولين الكبار، لقد كنت أرى هؤلاء المسؤولين مذلولين و مكسوري الجناح أمام الحاج خيرالله و كانوا يتملقون له و يحاولون التقرب و التحدث معه بكل السبل و لو على حساب كرامتهم، بحيث يعتبرون انفسهم بمثابة مستخدمين و أقزام لديه و لم يضعوا أية اعتبار لشخصياتهم و مكانتهم كمسؤولين كبار.

كما كنت أتوقع، ارسل الامين العام أمرا للحضور أمامه و قال لي: من الآن فصاعدا اذا كنت بحاجة الى اية مساعدة، تعال مباشرة لمراجعتي و لا يحتاج توصية أحد و سأقوم بتلبية ما تريده، لكن انت ايضا لا تنساني و قل للحاج خيرالله بأن يدعمني عند سيد الرئيس صدام حسين و منحي منصب افضل، مع هَزْ رأسي قلت له: تأكد بأنني تحدثت عنك عندهُ و قلت له بأنك تعتبر امين عام مخلص للشعب و السيد الرئيس حفظه الله؟!

كان هناك في مصيف صلاح الدين (سوبر ماركت) حيث قامت الحكومة بافتتاحها لأجل السواح و يتم الاهتمام به كثيرا من خلال وجود الكثير من السلع و المستلزمات و المواد الجميلة و الجاذبة لنظر القادمين الى المصيف، لقد كنت أقوم بزيارته بين فترة و اخرى لأجل شراء بعض الحاجات الضرورية، وفي احد الايام و عندما كنت متواجدا هناك و فجأة وجدت بعض التجمهر و الضجة و الاصوات، عندما ركزت نظري تفاجئت بظهور ساجدة خيرالله الطلفاح زوجة رئيس الجمهورية و هي تصطحب معها الاطفال، وجدتها و هي تدقق السلع و المواد و كأنها لم ترى سابقا مثل هذه السلع، خصوصا و انها كانت تردد قائلة (المواد الموجودة هنا تعتبر من المواد المثيرة) و عندما كانت ترى أي حاجة يعجبها تقول (احجزوا لي واحدة منها) لقد جذب نظري هذه المناظر النادرة و كيف أن زوجة رئيس الجمهورية و كأنها لم ترى مثل هذه المواد، بحيث احسست بانها محرومة من بعض المواد و قلت مع نفسي: (يبدو انها لم تسافر الى الخارج و بقيت في اطار الدولة العراقية، فالذي اثار نظرنا بانها كانت ترى كل شيء في هذا السوق الصغيرا جميلا؟!).

لكن هذه الايام لم تستمر في هذا المصيف، وذلك بسبب اندلاع الحرب الايرانية العراقية، بحيث بدأت الحكومة مرة اخرى بدعوة المواليد الى الخدمة العسكرية، خصوصا و أننا قد رزقنا بمولودة جديدة و جميلة، لذلك وجدنا هذا الحرب الضروس قد خرب كل شيء في العراق عموما و تم تحويل حياتنا الى جحيم حقيقي، اخيرا تم سوق مواليدي الى الخدمة العسكرية، بحيث كنت مضطرا الى الالتحاق و ترك ابنتي المولودة مع زوجتي.

اصبحت عسكريا مرة اخرى

لم نتمتع بطفلتنا و حياتنا المستقرة التي لم تطول كثيرا، ففي يوم ٩/٤/ ١٩٨٠ و عندما كنت جالسا مع زوجتي في حديقة بيتنا، حيث كنا نتناول الجرزات و الشاي معا و كنت واضعا راديو صغير بالقرب مني و استمع الى اغنية ام كلثوم (فكروني) بصوتها المؤثر و الجذاب.

قبل أن تنتهي هذه الاغنية، فجأة انقطع البث الاعتيادي و سمعت صوت المذيع المعروف (رشدي عبدالصاحب) و بصوته المميز قال: (اليكم هذا الخبر المهم، بعد قليل سيقدم السيد الرئيس صدام حسين كلمة تاريخية) و بعد بث عدة اناشيد و اغاني وطنية، بدأ عزف السلام الجمهوري، ثم كلمة رئيس الجمهورية الذي اكد بأن ايران بادرت بالحرب على العراق من خلال قصف المناطق الحدودية في المناطق الجنوبية و الوسطى، بهذا تم فتح باب الجهنم امامهم و رغم انهم كانوا متأكدين بأن العراق لن يرضخ و يبادر الى شن الحرب، أي لن يقبل العدوان من أية جهة، كذلك طلب ضمن هذه الكلمة من كافة القوات المسلحة و بكل صنوفها (الجوية و البحرية و المشاة) أن يعطوا الايعاز للتحرك و يجابهوا بقوة القوات المعتدية.

بعد الانتهاء من تقدم هذه الكلمة، استمرت اذاعة بغداد في بث الاناشيد الوطنية و قراءة القصائد الوطنية، و قدم الفنان دواد القيسي مجموعة من الاغاني الحماسية الجديدة.

بهذه الاخبار المفجعة، تحولت جلستنا العائلية الى اجواء كئيبة و حزينة، فأنا مثلا شاهدت و عايشت سابقا الحياة العسكرية و اعرف كيف اقوم بتمسشية أموري و تمرير الكلاوات لكي نستطيع المعايشة مع النظام العسكري الصارم و بالذات في ظل الحرب، لكني كنت مهموما و مشغولا على مصير زوجتي و طفلتي الوحيدة التي جاءت الى الدنيا حديثا و قبل عدة اشهر، حيث كنت اقول مع نفسي: (فاذا تركتهم و التحقت بالخدمة العسكرية يا ترى مَنْ سيتحمل مسؤولية ادارة امورهم الحياتية؟!).

بتاريخ ١٧/٩/ ١٩٨٠ و من خلال قرار من مجلس قيادة الثورة تم الغاء اتفاقية سنة ١٩٧٥ مع ايران و اصبح كامل ماء شط العرب جزءً من المياه الاقليمية العراقية، علما ان هذه الاتفاقية تعتبر من الاتفاقيات المشؤومة لدى الشعب الكردي التي تم توقيعها بوساطة الرئيس الجزائري (هواري بومدين) بين شاه ايران و صدام حسين، وذلك بهدف القضاء على الثورة الكردية و تعريضها الى نكسة كبيرة.

لقد كانت الحرب الايرانية العراقية تستعر يوما بعد آخر و استطاعت القوات العراقية أن تدخل الاراضي الايرانية و سيطرت على بعض المناطق، ففي احد الايام ذهبت الى دائراتنا الرسمية و مارست وظيفتي في ذلك اليوم، اتصل بي مسؤول الشؤون الداخلية و قال لي: يجب عليك الانفكاك عن الدوام و مراجعة التجنيد و لن يصرفوا راتبي الشهري بدون أن اجلب لهم كتاب تأييد رسمي من وحدتي.

بذلك كنت مضطرا لكي أعود الى البيت، وضعت بعض الملابس و منشفة الحمام و مستلزمات الحلاقة في حقيبتي الشخصية، ثم ودعت عائلتي و قلت: يجب أن التحق اليوم بالتجنيد و من الممكن أن يتم سوقنا و ارسالنا الى مركز التدريب،

لا تقلقوا اذا تأخرت عن العودة و تأكدوا بأنني لن اتركم حتى و لو ذهبت الى أبعد مناطق العالم، واذا كنتم بحاجة للمساعدة، اتصلوا بأهلك أو بوالدي أنا.

وجدت زوجتي على وشك البكاء و امتلأت عينيها بالدمع و لم تتمكن من الحديث، بينما كنت واقعا تحت ضغوطات العائلة من جهة و ضرورة التوجه الى التجنيد من جهة اخرى، بحيث وجدت البكاء محصورا في بلعومي، اخيرا رفعت الحقيبة و توجهت الى التجنيد، فوجدت هناك الكثير ممن تجمهر امام باب التجنيد و هم يحملون دفتر الخدمة العسكرية، ينتظرون كاتب التجنيد لكي يستلم منهم و املائه.

هناك صادفت طاهر مولود و عزيز سور و عبدالخالق رحمان و رسول كاكي و آخرين، عندما رأيت هؤلاء احسست ببعض الراحة و نسيت هموم السوق و العسكرية، ذهبت اليهم و سلمت عليهم، أنا و طاهر كنا نسكن في نفس المنطقة سابقا و دخلنا مدرسة سوران الابتدائية معا و التي كانت تقع في حي (سيطاقان) و مقابل بيت (فتاح آغا الهركي) لكنه و بسب معاناته مع الفقر و العوز ترك المدرسة مبكرا و اصبح يبيع شربت عصير الزبيب على العربانة ، لقد كان يتصف ببساطة الشخصية المرحة، لهذا كانت علاقاتنا متينة و لم تنقطع ابدا.

بعد انتظار طويل تم قراءة اسمي و تسلمت دفتر الخدمة العسكرية و تم سوقنا و نقلنا الى معسكر التحرير في مدينة بغداد و قالوا لنا بأنهم سيرسلون اسماءنا ضمن قائمة واحدة الى هناك، لكن عليكم التوجه اليوم و الالتحاق صباحا بهذا المعسكر، فالذي يتأخر عن الالتحاق سوف يعتبر غائبا عن الحضور و يسجل اسمه ضمن قائمة الهاربين عن الخدمة العسكرية و يتعرض الى العقوبة الشديدة، توجهنا (أنا و طاهر و شيروان) معا الى الكراج و ركبنا الباص و انطلقنا الى مدينة بغداد، علما أن كراج اربيل كان ممتلئا بالشباب من اعمارنا و الاغلبية منهم كان يتوجه الى مدينة بغداد، لهذا وجدنا السواق يطلبون اكثر من أجرتهم المعتادة، لكن اخيرا كنا مضطرين لكي نذهب معهم لكي لا نتأخر

اكثر، وصلنا الى منطقة (سليمان بيك) توقف السائق امام احد المطاعم و قال لنا: (لدينا نصف ساعة راحة و بامكانكم أن تتناول شيئا هنا و اخذ قسط من الراحة) توجهنا أنا و طاهر و شيروان الى المطعم ، طلبنا (التمن و المرق) تناولنا الوجبة بسرعة ثم طلب شيروان وجبة اضافية اخرى، عندما انتهينا و نهضنا، وجدته يدفع وجبة واحدة فقط، هنا اصيبت باندهاش كبير، باعتباره انسان نزيه و خلوق، أي لم يكن من الذين يأكلون المال الحرام، لهذا قلت له: أنت تناولت وجبتين، لكنك دفعت وجبة واحدة فقط، لماذا تتصرف هكذا؟

اجاب قائلا: و لماذا استلم مني اجرة نفرين؟

قلت له: ماذا تقصد؟

قال: أقصد سائق الباص ! !

وقعنا في الضحك و قلت له: ما هو علاقة هذا السائق بصاحب المطعم؟!

اجاب: كما هو معروف بان سواق هذه الخطوط لديهم علاقات و تنسيق مع المطاعم الموجودة على الطرق الخارجية، لذلك اعتبر تصرفي هذا بمثابة ثأر من السائق من خلال صديقه صاحب المطعم.

عندما وصلنا الى بغداد، توجهنا الى معسكر التحرير بواسطة التكسي و وزعوا علينا الملابس و المستلزمات العسكرية، بعد ذلك اخذونا الى القاعات المخصصة للجنود، أنا و طاهر و شيروان وقعنا في قاعة واحدة و فرشنا في مكان واحد، جنبا االى جنب، وبقينا في هذا المركز لمدة ثلاثة اشهر، كنا نتدرب من الصباح حتى المساء.

في الصباح و قبل أن ننهض أنا و طاهر من االنوم، نجد شيروان يتوجه الى المطعم و يجلب لنا لنا قارورة كبيرة من الحليب (خمسة لترات) مع قدر كبير مليء بالعدس، علما أن الحليب كان يكفي فصيل كامل، لذلك كنا نقول له: لا تجلب هذه الكمية الكبيرة من الحليب، لأنها كثيرة، لكنه كان لا يستمع لنا و يقول لنا: انها فرصة ذهبية و عليكم أن تشربوا، ففي اربيل لا نجد مثل هذا

الحليب اللذيذ و غالية جدا، لقد كان شيروان انسانا طيبا الى حد السذاجة، فمثلا ايام الخميس و الجمعة كنا ننزل و نعود الى اربيل، باستثنائه هو الذي كان يبقى هناك داخل مقر الوحدة، قال لنا: عندما تنزلون، ضابط الاعاشة يقول لي: (كاكه يمكنك أن تأكل اللحم حسب رغبتك و كما تريد، فهذا القدر مفتوح أمامك؟!).

في الكثير من الاحيان كان يقول لي: (لا تنزلوا الى اربيل و سنبقى هنا معا، لأن اللحم كثير و قد يتعرض الى التلف و يمكننا أن نأكله معا؟!).

في أحد الايام و عندما كنا نقف امام حانوت الوحدة و نحتسي الشاي، وجدت عريف فصيل آخر و هو في حالة اندهاش كبير عندما شاهد هذا الساذج شيروان واقفا معي، قال له: انت تعتبر غائبا في فصيلي، لماذا لا تباشر بواجباتك لدينا، يجب أن تعرف بأن غيابك يزداد يوما بعد آخر و من الممكن أن تدخل حالة الهروب؟

التفت صاحبي نحوي و قال لي: أنا لا أفهم ماذا يقول؟

قمت بترجمة ما قاله هذا العريف الى اللغة الكردية.

وجدته يقول و بكل بساطة: أنا ملتزم بالدوام معكم يوميا !!

سألت العريف: ما هو مشكلة هذا العسكري و ارجو أن توضحه لي، هذا الجندي لا يفهم جيدا و لديه ضعف في مقدرة الفهم و استيعاب الأمور.

العريف قال لي: اسم هذا العسكري موجود في سجل فصيلي و دوام عدة ايام لدي، لكنه بعد ذلك اختفى و يعتبر غائب عن الدوام في فصيلي!

التفت الى صاحبي و قلت له: هل صحيح انك التزمت بالدوام لعدة ايام في فصيل هذا العريف؟

اجاب: نعم

قلت له: اذن لماذا نجدك تلتزم الدوام يوميا في فصيلنا و لا تعود الى مكانك و فصيلك الرسمي مع هذا العريف بالذات؟

أجاب بكل بساطة: و هل هناك فرق في هذه المسألة؟ أنا لا اجد الفرق بين الدوام العسكري في هذا الفصيل أو ذلك الفصيل؟! فالمهم أن تكون عسكريا و تتواجد في هذا المعسكر، أي ليس هناك أي فرق ابدا؟!

ترجمت حديث صاحبي الساذج الى هذا العريف.

وجدت هذا العريف يضحك و قال: يبدو ان هذا الجندي مجنون و ساذج جدا، حديثه و تصرفاته و كيفية تفكيره تؤكد ما أقوله.

قلت له: انه انسان أبله و لا يعرف أن يفكر بشكل و اسلوب منطقي، لذلك ارجوك أن تعفو عنه و تأخذه معك و عدم اعتباره غائبا.

عندما انتهيت من حديثي، وجدت العريف يقول: لعنة الله على الذي قام بسوق مثل الشخص المسكين و ناقص العقل و الادراك الى االخدمة العسكرية، سابقا كانوا يقومون باعفاء مثل هذه الحالات عن الخدمة العسكرية.من جانبي قمت بسرد ما حدث في حادثة سليمان بيك، عندما اراد الثأر من سائق الباص من خلال صاحب المطعم، من خلال تناول وجبة اضافية و دفع فاتورة وجبة واحدة فقط؟!

هنا وجدت عريف الفصيل وقع في الضحك ثم وضع يده على كتفه و قال له: تعال معي لأنك عسكري منشور في فصيلي أنا و يجب عدم الاستمرار في هذا الفصيل، لكي لا تدخل حالة الهروب و السجن.

التفت صاحبي نحوي سائلا: أنا لم افهم ما قاله؟

قلت له: انت لم تلتحق بفصيلك الحقيقي الذي تم تثبيت اسمك فيه كعسكري و موجود في فصيل آخر، لذا عليك الدوام و الالتحاق مع هذا العريف.

بهذا تركنا هذا المسكين و تم حرماننا من الذي سيقوم بجلب الحليب و العدس صباحا، لهذا كنا مضطرين على أن نذهب الى المطعم.

استمر فترة التمرين و التدريب في هذا المعسكر لمدة ثلاثة اشهر، من جهة اخرى نجد الحرب الايرانية العراقية تشتد و يزداد ناره و عدد الضحايا،

خصوصا و أن العسكريين الذين تم سوقهم و ارسالهم الى جبهات القتال قد تعرض البعض منهم الى الموت و آخرين الى حالة الأسر و اصبحوا أسرى حرب، كذلك كان من بينهم الجرحى و تعرض الى العوق و العجز.

لقد كان حربا ضروسا و مطحنة حقيقية لأجل طحن و سحق شباب البلدين (العراقي و الايراني) بحيث ركزت اجهزة الاعلام العالمية على جدلية و اسباب استمرار الحرب و الجهات التي تستفيد من ديمومة نار هذا الحرب، من جهة اخرى كان هناك بعض الشخصيات و المبعوثين الدوليين يقومون بمساعي الوساطات بين الامام خميني و صدام حسين لأجل ايقاف الحرب، لكن دون جدوى و استمر معه عدد الضحايا و الموتى و هم على الاغلب ابرياء و ليس لهم أي ذنب.

كان هناك شخصية اصبحت معروفة في مجال الوساطة بين البلدين و يقوم بجولات و سفرات كثيرة و المتمثل بممثل الامين العام للأمم المتحدة (احمد سيكوتوري) و كان هناك تركيز اعلامي على هذه الجولات، هذا بالاضافة الى التصريحات الى الاجهزة و الوسائل الاعلامية العالمية التي كانت تأمل بايقاف الحرب بين البلدين، لكن اخيرا انتشر بيننا حالة التشاؤوم و فقدان الامل بايقاف الحرب على المدى القريب على الاقل، خصوصا و أن قادة البلدين لم يكن لديهم أأي مرونة أو التنازل لبعض الشروط التي كانت تعتبر اهانة.

لذلك اصبحت أفكر بالهروب من الخدمة العسكرية، لكن كان لدي حالة الخوف من الالقاء القبض و التعرض الى العقوبة الشديدة، لذلك كنت حائرا الى اين اذهب؟ و ماذا افعل؟ و اين اخفي نفسي؟ بالاخص في ظل قيام الحكومة بتشديد العقوبات على الهاربين من الخدمة العسكرية، هذا بالاضافة الى قيام الاجهزة الامنية و مختاري الاحياء بالسيطرة تماما على كافة المدن و منع اللذين لديهم نوايا الهرب و الاختفاء التي اصبحت من الامور الصعبة و المعقدةكثيرا.

كنا نقترب يوميا من انهاء فترة التدريب العسكري و قاموا بتوزيعنا على ثلاثة افواج، ثم قالوا لنا بأنهم سيقومون بنقلنا الى جبهات الحرب بعد اسبوع؟

لقد كان هذا الاسبوع من الاسابيع الصعبة و المحزنة جد، باعتبار سيتم نقلنا قسرا الى جبهات النار و الحرب، بالذات مع رؤيتنا لجثمان موتى ضحايا الجبهات الملفوفة بالعلم العراقي التي جعلتنا أن نحس بالاحباط و قرب نهاية حياتنا و ضياع عوائلنا و اطفالنا رغم كل الجهود الدولية لوضع نهاية أو هدنة مؤقتة لهذا الحرب الضروس، عليه لم يبقى أمامي أي حل سوى الهرب و الاختفاء؟

ففي احد الايام و بعد الانتهاء من بالتدريبات الصباحية المعتادة، اي اثناء الاستراحة القصيرة و عندما كنا منتشرين تحت الظل، فجأة وجدت منظر غريبا يجذب نظري، و تتمثل بمجموعة العشب البارز و الخارج من بين شقوق الارض الاسمنتية التي كنا جالسين عليها اثناء استراحتنا، حيث كانت تبدو مكسورة، هذا المنظر الغريب اثر كثيرا على اعماقي و معنوياتي و قلت مع نفسي: (خرجت هذه المجموعة من الاعشاب من شقوق الاسمنتية لكي تتمتع بالتعرض الى اشعة الشمس، استطاعت أن تتحدى عن طريق مدى رقتها و جمال طبيعتها أن تسيطر على قوة و متانة هذه القطعة الاسمنتة و تكسرها، بالتالي الخروج منها، من جهة اخرى نجد أنفسنا قد فقدنا ارادتنا الحرة و سقطنا امام الخوف من الالقاء القبض و الملاحقات المرعبة و نسلم انفسنا بكل سهولة لهذا القدر المحتوم).

هذا المصير الواضح و المكشوف الذي يتمثل بسوقنا و ارسالنا الى جبهات الحرب، ليكون مصيرنا محصورا بين الموت و الوقوع في الأسر و نكون أسرى الحرب أو التعرض الى الاصابات الخطيرة و العوق، هذا اذا حالفنا الحظ و نعود معوقين و عاجزين، على كل حال اخيرا قررت الهروب من الخدمة العسكرية و عدم الاذعان لنتائجها و افرازاتها و خطورة عقوبة هذه الحالة ضمن العقوبات العسكري في ظل الحرب.

قبل اطلاق صافرة الثانية و العودة الى ساحة العرضات، قمت بتوديع اصدقائي و تنفيذ الهروب، ثم توجهت الى السياج السلكي و عبرته مباشرة وقعت وسط اشجار و نباتات الحديقة التي كانت تقع بجانب معسكرنا و بدأت بالركض حتى

الوصول الى الشارع العام، بعدها توجهت الى كراج النهضة بواسطة التكسي و صعدت احدى باصات خط اربيل بغداد متوجها نحو مدينة اربيل.

عند الوصول الى سيطرة كركوك طلبوا مني نموذج الاجازة، فقلت لهم ان عريف فصيلي ساعدني، لأنهم سينقلوننا الى الجبهة بعد اسبوع، سأقوم بزيارة عائلتي و توديعهم، وجدت الجندي الموجود في السيطرة طيبا و يقدر مثل هذه المواقف الانسانية، لذلك سمح لي بالذهاب و عدم انزالي من الباص.

الهروب من الخدمة العسكرية

عندما وصلت الى البيت، احتضنتني زوجتي و أمتلأت عيناها بالدموع، فعندما رأيتها بهذا الوضع المريب، وقعت في الشك و قلت لها: هل حدث شيء مكروه لا سامح الله؟!

اجابت: كلا، ففي الفترة الماضية كنت احس بوحدة و عزلة و كأنني مقطوعة من الشجرة، لذلك عندما رأيتك احسست بفرح غامر و لم اصدق بانك موجود امامي، بحيث من فرحي حاصرني البكاء.

قلت لها: لا تعتبري نفسك بدون اهل و مقطوعة من شجرة، بالذات مع وجودك بين اهلي في نفس زقاقنا و ليسوا بعيدين جدا، لماذا لم تذهبي اليهم؟

عندما قلت هذه العبارة، وجدت عيونها مليئة بالدموع و قالت لي: كنت اتمنى لو لم يكونوا بالقرب منا؟!

فقلت لها: لماذا تقولين مثل هذا الكلام المقلق؟

قالت: فبدلا من أن يمنحونني الأمل و التفاؤل و الشعور بالامان، كانوا يقولون لي: (أنت لست الوحيدة التي زوجها عسكري، طيب ماذا لو وصلت جثته و هو مقتول في جبهة الحرب؟!)

فقلت لها: ماذا كان جوابك؟

أنا وقعت في البكاء بمرارة، لأنني اصبحت اعتقد بأنه سيحدث ما كانوا يعتقدون من حدث مكروه و سنتعرض الى حادثة مأساوية، لهذا لم اعرف كيف انني قضيت الفترة الماضية مع غيابك عني.

بدأت بمسح دموعها و قلت لها: صدقيني، لقد كان قلبي معكم و أفكر بوضعكم في ظل غيابي ، لكني كنت احاول السيطرة على نفسي و تحمل الحياة العسكرية الصعبة و مرارة الابتعاد عنكم، لقد اكملت التدريب العسكرى، لكنهم ارادوا الى جبهات الحرب خلال اسبوع واحد، لذلك قررت الهروب من الجيش و رجعت بصورة نهائية، لقد كانوا يريدون ارسالنا الى المجهول و نصبح حطبا اضاقيا لنار الحرب المستعرة اصلا، لا بل كان من الممكن التعرض الى اصابة قاتلة أو الوقوع في الأسر على الاقل.

عندما ذكرت هذه العبارة وجدت زوجتي مسرورة و تشكر الله، لأنني عدت سالما و سنعيش معا في الحلوة و المُرة، انها كانت تفضل هذه الحالة الصعبة من الحياة بدلا من التوجه الى جبهات الموت و العيش لوحدها، قالت: فلو حصل شيء مكروه لزوجي، انني لن اتحمل و سيتحول حياتي الى جهنم حقيقي.

سألتها: اين هي ابنتنا العزيزة؟

انها نائمة في الغرفة الاخرى، سأحاول ايقاضها من النوم و جلبها لك

فقلت لها: اتركيها نائمة و تنهض لوحدها، فقلت لها: اسمعي جيدا ما سأقوله لك.

قالت: ماذا تريد أن تقول؟

قلت لها: يجب المحافظة على سرية موضوع هروبي من الجيش و محصورة بيني و بينك، عليك عدم افشاء هذا السر الخطير حتى على بيت اهلي! !

سألت: لماذا؟

قلت لها: لقد قررت الحكومة اعدام الذين يهربون من الجبش، لهذا سأقول للناس بأني غير مشمول بالخدمة العسكرية و تم تسريحي.

سألتني: يا ترى هل الناس سيصدقون ما تقوله في ظل هذه الظروف الصعبة؟

قلت لها: تأكدي أنا سأستطيع تدبير هذه المسألة حسب معرفتي

ذهبت الى الحمام و اخذت دوشا دافئا ثم توجهت الى بيت والدي و العائلة.

عندما شاهدني والدي و قال لي و هو غاضب جدا: اعتقد انك هربت من الخدمة العسكرية؟

قلت له: كلا، لم أهرب من الجبش، لقد تم تسريحي بقرار خاص و عدت بشكل نهائي.

وجدت والدي مندهشا و كأنه لم يصدق ما قلته له ثم هَزَ رأسه و قال لي: أنا لم افهم ابدا ما تقوله لي في ظل الحرب، لذلك لن اقتنع هذه المرة بالذات، لأنه كيف يتم التسريح رغم تصاعد وتيرة الحرب يوميا و ليس هناك امل بتغيير الوضع، لذلك كيف ستقوم الحكومة بتسريح امثالك؟

أجبته قائلا: هل تتذكر عندما تم تسريحي بسبب التحاقي بالحركة الكردية، بعد التحاقي هذه المرة، فتحوا مرة اخرى كونيتي العسكرية السابقة، لذلك قرروا اخيرا تسريحي بنفس السبب؟!

قال لي: طيب قل لي لماذا نرى ابن جيراننا الذي هو بنفس حالتك و كان قد التحق ايضا بهذه الحركة، لا بل بقي هناك حتى لحظة انهيار الثورة و توقيع اتفاقية الجزائر، لكن لم تسريحه مثلك و مستمر في الخدمة العسكرية لحد الآن؟

قلت له: ان هذه المسألة تتغير و تختلف حسب المكان و الوحدة العسكرية، فأنا مثلا عملت في الاعلام و الاذاعة الكردية، لذلك ان قرار التسريح يشمل فقط الذين عملوا في هذه الاماكن الحساسة.

عندما ذكرت العبارة الاخيرة، وجدت والدي قد دخل وضع الصمت و اصبح لديه بعض القناعة بما سمعه مني، لذلك لم يحاول توجيه أي سؤال اخر.

شقيقي الذي كان مهندسا ضمن الدوائر الحكومية، احتضنني و تبادلنا القبلات الاخوية الحارة، ثم وضع رأسه تحت اذني و قال لي بصوت منخفض: هل صحيح تم تسريحك من الجيش؟ أم انك تخفي عنا الحقيقة؟

قلت له: كلا أنا لن اخفي عنكم أي شيء، لقد تم تسريحي فعليا و لم اهرب من الجيش، لكن انت تعلم جيدا بان والدي يعتبر شخصا نظاميا صارما جدا و لا يرغب الاساليب غير القانونية، أي من الصعوبة اقناعه بسهولة.

طيب هل تتذكر كيف قام بتسليمي الى الحكومة في تلك الفترة، وذلك بعد عودتي بزيارة من الجبل، لذلك لا استبعد ابدا أن يقوم بتسليمي الى الانضباط العسكري باعتباري هارب من الخدمة العسكرية؟!

قال لي: انت ألا تخاف من أن يطلبوا منك دفتر الخدمة العسكرية و تتعرض الى مواقف غير قانونية استثنائية صارمة في ظل الحرب و الذي يتضمن عقوبات شديدة ثم تخلق مشكلة لنا و لعائلتك المسكينة؟

اجبته قائلا: أعطني دفتر خدمتك العسكرية، باعتبار أن صورتك فيها شبه كبير معي، أي من الصعوبة جدا أن تحس مفرزة الانضباط العسكري الاحساس بانها ليست لي، عندما يدققون دفتر الخدمية سيجدون فيها بانني مهندس و تم تأجيل سوقي الى الخدمة العسكرية.

قال لي: طيب لا مانع لدي، لكن يجب أن تكون حذرا جدا و يبقى سرا بيننا نحن الاثنين و عدم افشاءه عند احد، لكي لا تخلق لنا مشاكل نحن في غنى عنها.

قلت له: لا تقلق ابدا، لا بل انني سأخفي هذا السر على زوجتي ايضا.

بقيت على هذه الحالة لفترة زمنية محددة، لأنني كنت احمل معي دفتر الخدمة، عند خروجي من البيت و اتجول بدون خوف و توجس، هذا بالاضافة الى زيارة اصدقائي و معارفي.

خلال احدى الأمسيات زارنا ابن عمي (الملا محمد) و قال لي: تم استدعاء ابني فؤاد الى الخدمة العسكرية و اصبح حاله مثل حالك، انه الآن موجود في مكان خطير جدا و يقول بان القوات الايرانية تهاجمنا ليليا، لذلك لا ننام حتى الصباح، ثم قال لي: ان عمي اكد لي بأنه تم تسريحك من الجيش بقرار خاص، لذلك ارجو اعطائي رقم و تاريخ هذا القرار، خصوصا و انني اعرف

بعض منتسبي تجنيد اربيل و سأطلب منهم مساعدتي في مسألة تسريح ابني فؤاد، لذلك كنت مضطرا بتزويده بقرار وهمي و كتبته على ورقة، لذلك لم يحتسي الشاي من شدة فرحه و عاد الى بيته في قرية (دارتو) لكنه و بعد يومين عاد مرة اخرى الى بيتنا و هو يضحك، و قال لي: لماذا جعلتني أن أتعب و تحرجني و لم تقول لي الحقيقة التي تؤكد بأنك هربت من الجيش مثل ابني (فؤاد)؟!

سألته قائلا: كيف عرفت انني هارب من الجيش؟

اجاب: لدي صديق في تجنيد اربيل و تحدثت معه حول مسألة تسريحك، وجدته مندهشا و محتارا جدا، لقد حلف بمقدسلته بأنه لا يوجد أي قرار خاص للتسريح في الوقت الحالي، لكن عندما ذكرت له اسمك، ظهر لي بأنه يعرفك جيدا و انكما من سكان حي و زقاق واحد؟! لذلك وجدته الابتسامة قد ارتسمت على وجهه؟!

قلت له: هل كان النائب ضابط امجد؟

قال: نعم انه نفسه الذي اخرج صفحة تسجيلك ايضا و رأيته بنفسي، ثم قال لي: (انظر و تأكد بأنه مازال عسكريا و لم يتم تسريحه ابدا؟!

فقلت له: أنا لم اعلم بانك ستقوم بالتحري و المتابعة بهذه الجدية و ستكشف حقيقة هذه المسألة سريعا، لكني كنت خائفا من ان ينكشف وضعي الحقيقي امام والدي الذي سوف لن يرحمني ابدا؟!

لذلك و مع تلك اللحظة، فقدت الاستقرار و الهدوء و اصبحت اخاف من أن يقوم رجال الشرطة و الامن باقتحام بيتي و يلقون القبض عَلَيَ بسهولة، ثم يأخذونني الى آمرية الانضباط العسكري، و بسبب هذا القلق فقدت طعم النوم الحقيقي و تجدني أنهض و اقف على قدمي عند سماع أي صوت، فاصبح بيتنا امام عيني و كأنه كهف و جحر للجرذان و الفئران، هذا بالاضافة الى انني لم اعثر على أي مكان، بحيث ساستطيع أن اخفي نفسي فيه و لو مؤقتا؟!

ففي بعض الاحيان كنت احس ببعض الندم و الاسف من قرار الهرب الذي جعل من حياتي جحيما حقيقيا و كنت اقول مع نفسي: (الانسان يموت لمرة واحدة خلال حياته، لكني الآن احس بانني اموت في كل لحظة من لحظات حياتي الحالية في ظل الرعب الذي احس به، فاصبحت محاصرا و مطوقا بالخوف من القاء القبض عَلَيَ في اية لحظة؟!).

الندم لا يسعف احدا، بحيث لا يمكن التفكير بايجاد الحلول في مثل هذه اللحظات الحرجة جدا، لأنني اصلا اصبحت مرتبكا و فقدت السيطرة على تصرفاتي و بما سأفكربه، أي في حال تسليم نفسي نادما لا يفيدني كثيرا، لأنه يجب أن أتعرض الى العقوبة، وذلك بسبب دخولي جريمة الهروب، لكني مع هذا استطعت اخيرا السيطرة على نفسي رغم حالة الخوف و الرعب الذي كان موجودا في قلبي و اعماقي و عدم اظهار حالة انهياري و خوفي الشديد عند اصدقائي، لكن اخيرا كنت احس بأنه حتى جيراني في المنطقة كانوا يشكون بوضعي، بالذات عند تكرار ظهوري و الاصرار على السيطرة على نفسي رغم شكوكهم التي كانت تزداد يوما بعد آخر، بحيث كانوا يتحدثون عني فيما بينهم بشكل علني، لهذا وصل حالي الى انني اصبحت اشعر باشمئزاز و الانزعاج و الملل، كذلك كنت اخاف من أن يقوم احد من هؤلاء الذين يكرهونني، من أن يقوم بالاخبار عني و القاء القبض عَلَيَ، لهذا ليس غريبا أن يمر بخيالي الكثير من الافكار و التوقعات الغريبة و العجيبة، بالاخص من اجل التخلص من هذا الوضع المزعج؟!

خلال احدى الأمسيات جاء مختارمحلتنا (مام فتحي) لأجل زيارتي و قال لي: جاء احد من جيرانكم و قال لي: بأنك عسكري هارب من الخدمة، لكني لا اعرف مدى مصداقية كلام هذا الشخص و يا ترى هل هوصادق ام لا؟ لكني احب أن تكون مطمئنا حتى و لو كان صحيحا، تأكد بأنني لن احاول توجيه الأذى

لك، فاذا كنت هاربا من الجيش، من الافضل أن تذهب الى خارج المدينة، لأنه سيأتي اليوم الذي ستنكشف فيه و نحن سنكون عاجزين عن فعل أي شيء؟

لقد كانت بادرة انسانية من قبل المختار مام فتحي الذي قدم لي النصيحة و كيفية معالجة وضعي، لذا فكرت في تلك الليلة بتجميع بعضا من المستلزمات و الحاجيات التي احتاجها و وضعتها داخل الحقيبة و قلت لزوجتي: قبل القاء القبض عَلَيَ يجب أن أبادر و اذهب مع الصباح الى ناحية خليفان و بيت خالي، باعتبار انها منطقة عشائرية و الحكومة لا تستطيع التحرش بهم و استفزازهم، زوجني استحسنت الفكرة و اعتبرتها فكرة جيدة و قالت: أنا أجد من الافضل الابتعاد من هنا لفترة وجيزة، خصوصا و أنه هناك ممن لديهم حالة الحسد و الكراهية الشخصية، لأنهم يسألونني يوميا عن كيف تم تسريحك من الجيش، أنا من جانبي كنت مضطرة الى خلق بعض الحجج و الاكاذيب البيضاء- بالذات مع تكرار ما كنت أقوله يوميا، بالاخص مسألة أنك كنت في يوم من الايام (بيشمركة) الذي اصبح سببا في قرار تسريحك من الجيش.

ذهابي الى بيت خالي في خليفان

اخيرا كنت مضطرا الى السفر و اللجوء الى بيت خالي في منطقة (خليفان) جدتي كانت مازالت على قيد الحياة، فعندما شاهدتني قامت باحتضاني في ظل عاطفة جياشة و قالت لي: كنت في شوق كبير لرؤيتك، بالاخص بعد التحاقك بالخدمة العسكرية، حيث كنت خائفة على مصيرك و تتعرض الى شيء مكروه، لكن وجدتك الآن بخير و اشكرالله على عودتك الينا بسلامة.

قلت لها: في هذه الفترة كانوا يقومون بتدريبنا و انتهينا قبل اسبوع، لقد كانوا يريدون ارسالنا الى جبهات الحرب في جنوب العراق.

عندما ذكرت العبارة الاخيرة وقعت في البكاء و قالت لي: يا ترى هل هناك ممن سيمد لك يد المساعدة لكي لا تذهب جبهة الحرب أو ان تحمي نفسك من خلال الاختفاء، لذلك ابقى عندنا هنا يا ولدي العزيز و يجب ابعاد نفسك عن التعرض الى شيء مكروه، خصوصا و أن والدتك لا تتحمل الاحزان.

فقلت لها: أنا قادم الى هنا لهذا الغرض و اريد البقاء هنا.

عندما انتهيت من حديثي و جدتها تمسح الدمعات عينها التي كانت تنزل مدرارا و قالت لي: أنا لن اسمح لك أن تعود الى العسكرية و خطورتها، لدينا مكان واسع و اتمنى ان تبقى و تنسجم معنا و سأضعك في اعماق قلبي.

و نحن كنا منشغلين بهذا الحديث، وجدت خالي (قادر) و ابن خالتي (عبدالله) قد دخلا الى الغرفة، احتضنني خالي مباشرة و قال لي: صباح هذا اليوم أوصلت راكبين الى (باتاس) بعد عودتي من هناك رأيت (حمده) في السوق التي قالت لي بأنك موجود في خليفان، لهذا لم أتأخر و عدت بسرعة الى البيت.

قلت له: عندما نزلت من الباص رأتني (حمده) و طلبت مني مرافقتها الى البيت، لكني قلت لها: (أنا قادم الى هنا لأجل البقاء و لن اعود بسرعة الى مدينة اربيل، ساذهب الى بيت جدتي ثم سنلتقي في وقت آخر).

قال لي خالي: انه قرار صائب عندما فكرت بالمجيء الى هنا، خصوصا و أن سكان هذه المنطقة لن يخدموا في الجيش، جميع الذين تم استدعاءهم الى الخدمة العسكرية لم يلتحقوا و هم يتجولون و يتحركون بدون أي خوف في السوق، لا بل لا نجد احدا يسأل عنهم أو ملاحقتهم كما يجري في مدينة اربيل.

لقد احسست براحة و أمان كبير عندما سمعت حديث خالي و نسيت حزن و قلق الايام الماضية، كنا نجتمع ليلبا في بيوت الاقارب و المعارف و نقضي اوقاتنا في الاحاديث الطريفة و المزاح و سرد بعض الاحداث اليومية، كنت أقضي اغلب الليالي في بيت خالي و البعض الاخر في بيت خالاتي و ابناءهم الذين كانوا يذهبون الى الى اعمالهم مع الصباح، بينما أنا كنت أبقى عند جدتي التي كانت تسرد لي حكايات و الاحداث القديمة، في ايام الجمعة كنت اذهب مع ابن خالتي الى مصيف (كلي علي بيك) و نقضي الاوقات مع اجواءها الجميلة و الممتعة هناك، بالذات مع رؤية منظر شلالها المثير، بعد احتساء الشاي كنا نعود عائدين سيرا على الاقدام الى خليفان.

علما بأن خالي و ابناء خالاتي كانوا ينشغلون ببعض الاعمال اليومية في النهار، لهذا كنت احس بالوحدة و من الصعوبة قضاء الوقت في مدينة صغيرى مثل مدينة خليفان، بسبب هذا الملل المزعج فكرت بايجاد عمل لكي انشغل به.

علما ان الرئيس العراقي صدام قد زار هذه المنطقة قبل عدة اشهر و قرروا تخصيص ميزانية خاصة لأجل اعمار وصيانة دور مدينة خليفان و اعادة بناءها على اساس خريطة حديثة، ابن خالتي (مصطفى) الذي كان يعتبر النجار الوحيد في هذه المنطقة، لهذا كان مشغولا باعماله الكثيرة و يقوم بنصب خشب لسقوف لبيوت لأجل صبها بالاسمنت و يساعده في هذا العمل شقيقه الصغير (عبدالله).

في يوم من الايام رافقت ابن خالتي (مصطفى) لأجل تناول وجبة الغداء لديه، اثناء تناولنا الوجبة خطر ببالي فكرة ما و قلت له: أنت تقوم بالكثير من اعمال الصب و تثبيت الخشب و شيش الصب و تعتمد على شقيقك عبدالله لكي يساعدك ببعض الاعمال و بدونه هل هناك ممن سيستطيع مساعدك.

قال: صحيح، ان ادارة اعمالي اليومية لا يتوقف على مساعدته، أي ساستطيع العمل بدونه، لكني فهمت ماذا تقصد؟

قلت له: أنا عندما ابقى في بيت جدتي لساعات طويلة سأحس بالملل و الانزعاج، جميعكم تذهبون الى العمل من الصباح الى المساء، لذلك اطلب منك أن تسمح لعبدالله لكس يساعدني في مجال وضع خشب الصب و سأستطيع من خلال هذا العمل اشغال نفسي.

مصطفى استحسن هذه الفكرة و قال له: عندما تشترى الخشب و مستلزمات العمل خبرني بانك جاهز للعمل، عند ذاك سأرسل عبدالله لكي يساعدك في عمل ربط و وضع خشب الصب.

عدت في نفس اليوم الى مدينة اربيل و توجهت الى البيت، عندما رأتني زوجتي من بعيد بدأت مباشرة بالبكاء و قالت: انني اعاني كثيرا من وحدتي و العيش لوحدي في البيت، اصبحت لا اتحمل البعد عنك، لا بل لا اعرف كيف انني اقضي يومي.

ثم قامت بملاحظة الشارع و قالت: يا ترى هل شاهدك عند عودتك؟

قلت لها: لماذا و هل هناك أمر ما؟

قالت: منذ ذلك اليوم الذي سافرت فيه الى خليفان، انتشر في زقاقنا خبر هروبك من الجيش، لذلك والدك اصبح يخاف من أن تقوم الحكومة بالقاء القبض علينا.

قلت لها: يجب علينا عدم الاهتمام بما يقوله الناس، انهم لن يتركوا هذه العادة الخبيثة من خلال ممارسة مراقبة كل صغيرة و كبيرة في زقاقنا.

لقد كنت جائعا جدا و أشم رائحة (الدولمة) اللذيذة، توجهت نحو المطبخ ورأيت قدرا من (الدولمة) على النار، عندما رفعت الغطاء و جدت امامي منظره المثير الذي يجذب كل جائع، لكن كانت قد بقيت كما هي و بدون أن يمسها أحد؟!

سألت زوجتي: لماذا لم تأكلي شيئا منها؟

عندما سمعت هذه العبارة، وجدتها تبكي بمرارة؟

قلت لها: يبدو أن هناك حدث ما؟

قالت: قبل ساعة من الآن جاء اخي قاسم من (كويسنجق) و كان في اليوم الاخير من اجازته و عاد الى وحدته في جبهة (البستين) حاولت اقناعه بأن يتأخر قليلا و يتناول معنا وجبة الغداء، لكنه كان لا يريد أن يتأخر و يعود بسرعة، قال (لا استطيع التأخر اكثر و يجب أن التحق).

استرسلت في حديثها قائلة: لقد حزنت عليه كثيرا، لأنه كما يبدو، كان يرغب كثيرا أن يتناول (الدولة) لكنها كانت تحتاج بعض الوقت لكي تنضج و تصبح جاهزة للأكل، ضغطت عليه لكي يتأخر قليلا، لكنه اخيرا و لكي لا احزن رفع الغطاء و اخذ قطعة منها ثم ودعني و توجه نحو الكراج.

قلت لها: لماذا لم تحاولي منعه من الذهاب الى جبهة النار و الموت؟

قالت: لقد حاولت معه كثيرا و قلت له: (لا تذهب و سأرسلك الى زوجي في خليفان، باعتباري أن سكان هذه المنطقة من العشائر و الحكومة لا تريد الاحتكاك بهم).

سألتها: ماذا قال؟

قال لي: (مكاننا الآن مازال آمنا و جيدا و ليس عليه خوف من الهجوم الايراني، اتعهد لك في حال رجوعي في المرة القادمة سوف اهرب و لن التحق و سأذهب الى صهرنا العزيز زوجك)

على اية حال قلت لزوجتي لا تقلقي و اطمئني، سيعود سالما و سنمنعه من الالتحاق، جلسنا و تناولنا وجبة الغداء.

بعد الانتهاء من الوجبة قالت لي: لولا دوام المدرسة لوجدتني التحق بك و سافرنا معا الى خليفان و تتخلص من تكرار السفر بين اربيل و خليفان و مخاطرها.

قلت لها: انت تقولين الصواب، أنا ايضا استحسن هذه الفكرة، سأذهب مع الصباح الى سوق بيع الخشب و لدي هناك صديق اسمه (عباس) حيث كان صديق الدراسة و المدرسة، لكنه يمارس هذا العمل و المهنة، سأطلب منه تحضير شاحنة من خشب الصب و مستلزماته.

وجدت زوجني مندهشة مما تسمعه مني من كلام فيه بعض الغرابة و قالت لي: انك انسان غريب و من الصعوبة تقبل افكارك و مقترحاتك، طيب قل لي: هل يا ترى انت عسكري هارب ام نجار؟!

قلت لها: أنا مجبر على أن اعمل، خصوصا و أن سكان منطقة خليفان ينشغلون بالعمل طيلة ساعات النهار، بينما انا كنت احس بالملل و الوحدة القاتلة، حيث كنت اجلس في زاوية من الغرفة لوحدي حتى المساء.

قالت: ماذا تفعل بهذه الكمية من الخشب؟

قلت لها: أنا لا اريد الجلوس في مكاني بدون عمل انشغل به، أي انني سانشغل بهذا العمل.

قالت: ارجو أن تكون حذرا و حاول اخفاء نفسك عن عيون الجيران، لكي لا يخبروا الجهات المختصة بوجودك هنا و القاء القبض عليك.

قلت لها: لا تقلقي، لأنني سأذهب صباحا الى صديقي، لأجل انهاء عملية الشراء منه و تأمين الخشب و مستلزماته للعمل، و من هناك سأعود مع الشاحنة الى خليفان.

نهضت مبكرا من النوم و ذهبت مباشرة الى صاحبي في المحل، عندما لاحظ ملامحي و وضعي أحس بانني هارب من الخدمة العسكرية و اريد الانشغال بهذا العمل، لكنه لم يسألني و قال: مع ان هذه الكمية من الخشب تعتبر كمية كبيرة، لكني سأحاول تأمينه لك.

اخيرا تمكنت من شراءه بمبلغ ثلاثمئة دينار و معه مستلزمات العمل، ثم توجهت نحو مدينة خليفان.

عندما وصلت الى هناك، شاهدت ابن خالتي (مصطفى) مندهشا مما يراه امامه و قال: لم اعتقد بانك ستستطيع شراء هذه الكمية الكبيرة من الخشب و المستلزمات، خصوصا و ان الحكومة العراقية و مع اندلاع الحرب لم تتمكن من استيراد الخشب و توقفت عملية استيراده.

فقلت له: ان ما تقوله صحيح، لكن و بسبب صاحبي محمد عباس الذي ساعدني كثيرا و استطاع تأمين هذه الكمية، بالاخص بعد أن احس بانني هارب و اريد اشغال نفسي بهذا العمل.

ابن خالتي (مصطفى) استدعى شقيقه (عبدالله) و قال له: اذهب معه مع صباح اليوم التالي لكي ترافقه و تساعده في العمل، أنا سأستطيع جلب شخصا آخر، ثم التفت نحوي و قال لي: بناء على أمر من صدام حسين سيتم بناء و تعمير جميع دور منطقة خليفان و ستتحمل وزارة الاسكان المصاريف و ستدفع للعاملين اجرة و تكاليف العمل، لذا لا تقلق بشأن تأمين العمل، ستجد الكثير من الاعمال.

مع تقديم الشكر و العرفان، قلت له: ان هدفي من هذا العمل، ليس تجميع الاموال و لا اريد منافستك، يجب ان تعرف بانني اصبحت اشعر بالملل الكبير مع الاحباط و الوحدة المزعجة، أي انني اريد قضاء الوقت فقط.

التفت الى عبدالله و قلت له: اذا كان لديك رغبة في ان تكون شريكا لي، تستطيع اعتبارا من الآن ان تعمل معي و تسديد ما مطلوب منك في هذه الكمية من الخشب و المستلزمات، أنا لا اريد منك الآن أي مبلغ، أي بامكانك ان تعمل لكي تصبح شريكا لي و تمتلك نصف الخشب.

عندما ذكرت العبارة الاخيرة، شعر بفرح كبير و قال: انا اعتبرك افضل من شقيقي مصطفى بالنسبة لي، فأنا اعمل معه منذ سنوات و اكملنا الكثير من البيوت، لكني لم اسمعه منه في يوم من الايام أن يقول لي و لو على سبيل مزحة فقط انت تعتبر شريكي؟!

فقلت له: لكن يجب ان تعلم جيدا بأنه لولا شقيقك مصطفى لما تمكنت من تعلم هذه المهنة و العمل الجيد.

عندما قلت هذه العبارة، التفت مصطفي نحوي و قال لي: لا تشغل نفسك بمثل هذه الاحاديث، يجب ان تعرف بانه شاب و لديه طموح كبير في أن يصبح مثلي في ليلة و ضحاها.

و نحن كنا منشغلين بهذا الحديث، وجدت (نجم) زوج ابنة خالتي قد دخل الغرفة، بعد توجيه السلام قال لي: سمعت بانك اشتريت كمية من الخشب و مستلزمات العمل لكي تعمل في مجال الصب؟

فقلت لها: صحيح

قال: اربطوا لي خشب صب بيتي و سأعطيكم حقكم بالكامل.

مصطفى التفت نحوي و قال لي: لقد قلت لك ان الاعمال كثيرة، يجب ان تعلم بان ربط سقف الدار الاول صعب و ستأخذون منها الخبرة و الممارسة، بعد ذلك سيتعرف عليكم الناس.

قلت له: طيب قل لنا ما هو مبلغ ربط كل دار و كيفية احتسابه؟

قال لي: خريطة جميع الدور موحدة و لا تختلف، لهذا خذوا مئة و خمسون دينارا عن كل دار، فاذا تم الطلب منكم زيادة المساح، مثلا اضافة غرفة صغيرة اخرى، عند ذاك اطلبوا منه اكثر.

عندما قال العبارة الاخيرة، بادر (نجم) و ادخل يده في جيبه و اخرج مبلغ مئة و خمسون دينارا سلمه لي قائلا: انا سأدفع مقدما و لن اشغل نفسي به.

استلمت منه المبلغ و التفت الى عبدالله و قلت له: انك على علم بانني قد دفعت مبلغ ثلاثمئة دينار لكي اشتري هذه الكمية من الاخشاب، لذلك لن اعطيك نصيبك من نصب دار (نجم) و سيكون بدلا عن دينك ثم و عند ربط الدار الثاني ستكون شريكي.

عندما انتهيت من حديثي، التفت مصطفى الى عبدالله قائلا له: يبدو ان الحظ يقف معك و اصبحت صاحب اخشاب الصب و اسطة حقيقي؟

عبدالله قال: لا بل من حسن حظي بانه قد قرر الهرب من الخدمة العسكرية و يأتي الى هنا و الا لوجدتموني مازلت اعمل كعامل بسيط و كنت ابقى احلم باليوم الذي ساصبح اسطة؟

بقيت اعمل في هذا المجال لفترة زمنية و حصلت على مبلغ جيد، اخيرا اصبح لدي خبرة جيدة في مجال ربط خشب الصب، لكني اخيرا كنت مجبرا على تركهم و الذهاب الى بيت خالتي في قرية (مالمن) التي كانت تقع على الزاب الكبير و قرب قرية (شاندر).

في احدى الامسيات تفاجئت بوصول زوجتي الى خليفان، عندما رأتني بدأت بالبكاء مباشرة و قالت: دائرة الامن وجهت الانذار الى والدك في حال عدم تسليم نفسك سيأخذون والدك الى السجن.

والدك قال لي: اذا لم يقم بتسليم نفسه للحكومة، سأكون مجبرا عن الاخبار عن مكان اختبائه و القاء القبض عليه، فبدلا من احتجازنا و زجنا في السجن، يجب عليكِ السفر و ممارسة الضغط عليه، لأجل تسليم نفسه نادما للحكومة؟!

قلت لها: يبدو انك قد وقعت تحت تأثير ضغوطات حديثه و اقتنعتي بكلامه؟

لكنها و هي تبكي قالت: لكي يضغطوا عَلَيَّ و يزيدوا حالة القلق و الحزن كنت لدي، كنت أجد والدك و والدتك يمارسان معي شتى انواع الاساليب و الضغوطات، لهذا قررت اخيرا، بانني لن اعود قبل ان تتتعهد لي، بانك ستترك هذا المكان و ستتوجه الى بيت خالتك في قرية (مالمن) باعتبارها منطقة منزوية و بعيدة تماما عن سلطات الحكومة.

قضيت تلك الليلة مع زوجتي، في الصباح عادت الى اربيل و انا حملت حقيبتي و توجهت الى قرية (مالمن) التي كانت تقع على الزاب الكبير االذي اخذ اسمه من بحيرة بادينان، حيث كان يعيش فيها خمسة عوائل فقط و احدى هذه العوائل كان بيت خالتي التي وقعت في هذه المنطقة مع يوم زواجها، لقد كانت عند الحكومة من المناطق المحرمة و الممنوعة، خصوصا و انها قد سحبت وحداتها الادارية و الحكومية من بعض المناطق في كردستان تحت تأثيرات الثورات الكردية الثلاثة و سماها المناطق الممنوعة و المحرمة، لهذا كان من الصعوبة جدا السكن و الاستقرار في مثل هذه المناطق الخطيرة، لكن مع هذا استطاعت عائلة خالتي مع باقي العوائل الاصرار على البقاء في ظل وجود بساتين التي كانت تشتهر بمختلف انواع الفواكه و الخضروات، هذا بالاضافة الى بعض الحيوانات المنتجة لبعض مشتقات الالبان، كذلك زراعة الرقي و البطيخ.

مع انها كانت منطقة متخلفة من جميع النواحي، لكن سكانها كانوا يتصفون بالبساطة و المحبة و العاطفة الانسانية الحقيقية، لقد كانوا يحترمونني كثيرا و يقومون بدعوتي الى مشاركتهم في الوجبات، زوج خالتي

كان حارسا في احدى الدوائر الحكومية في خليفان، حيث كان يعود الى عائلته مرة واحدة في الشهر، اما في باقي الاوقات و الايام كان ابنه الاكبر يأخذ مكانه.

كنت اخاف من الماء و السباحة، لهذا لم احاول أن اقوم بالسباحة و ابتعد عنها، مع هذا كنت ارغب دخول المناطق المائية الخفيفة بعد أن اخلع قميصي و بنطالي فقط و البقاء بالشورت و الفانيلة الداخلية و التمتع فيه، في احدى الايام و عندما كنت امارس هذه الهواية في الماء شاهدت كمية من الاسماك الكبيرة و هي تطفو على الماء و ظاهرة للعيان بشكل واضح، حركة موجة الماء دفعتها نحوي، لذلك اقتربت منها و سحبت منها ثلاثة اسماك كبيرة، خصوصا و انني لم أتناول اللحم منذ فترة طويلة و كنت ارغب لحم السمك بالذات.

عندما عدت و أنا احمل هذه الكمية من الاسماك و شاهدتني خالتي قالت لي: هل تعرف السباحة؟

قلت لها: كلا لا اعرف السباحة و اخاف منها.

ثم سألتني قائلة: اذن كيف تمكنت من الحصول على هذه الاسماك؟

قلت لها: انها لا تمثل شجاعتي و معرفتي بالصيد، لكني وجدت مجموعة من الاسماك و هي تطفو على الماء و اقتربت مني نتيجة ضغوطات موجات الماء، لذلك انتهزت هذه الفرصة و حصلت على هذه الكمية.

خالتي قالت: قمت بطبخ قدر من (الدولمة) التي تحبها كثيرا و سنأكلها مع وجبة الغداء، و في المساء سأشوي لك السمك على نار الخشب.

قامت خالتي بدعوة صالح و علي و سميع و هم من سكان القرية لكي يشاركوننا في تناول السمك المشوي، عندما شاهدوا السمك اندهشوا و سألوني: كيف تمكنت من صيدها؟

قبل الاجابة على هذا السؤال بادرت خالتي بسرد كيفية الحصول عليها و هي تضحك، قبل الانتهاء من الوجبة تفاجئنا بدخول ثلاثة من عناصر البيشمركة و سلموا علينا، خالتي قامت بدعوتهم لمشاركتنا الوجبة و قالت لهم: ان ابن اختي

هذا الذي كان موجودا بالقرب من البحيرة، لقد صادف و قامت موجات الماء القوية بدفع هذه الكمية الى ضفة الماء، ثم قام بسحبها و جلبها معه.

وقع الضيوف الثلاثة في الضحك، احدهم قال: يجب ان تعلموا باننا قمنا بقذف متفجرات في البحيرة و حصلنا كمية من الاسماك، بينما قامت الامواج بدفع الباقي الى اماكن متفرقة، لذلك نحن تناولنا كثيرا اثناء الظهيرة بحيث لا نستطيع مشاركتكم و نقول لكم شكرا على دعوتكم.

في تلك اللحظات اخترق خيالي فكرة الذهاب الى الخارج و التفت الى الضيوف الثلاثة و قلت لهم: يا ترى انتم من اين منطقة قادمون و الى أي مكان ستتجهون؟

احدهم اجابني قائلا: نحن جئنا من داخل الاراضي الايرانية و جئنا الى هنا في واجب تم تكليفنا به، سنعود بعد الانتهاء منه.

قلت لهم: هل بامكاني أن اطلب منكم شيئا؟

اجابني احدهم: اذا كان في حدود امكانياتنا ليس لدينا مانع؟

قلت لهم: انا اريد مرافقتكم للذهاب الى ايران و من هناك سأتجه نحو خارج البلاد.

قال لي: عند عودتنا سنمر بالاراضي التركية ثم العبور الى ايران.

قلت لهم: انا ارغب بمرافقتكم حتى الاراضي التركية

قال: يبدو انك قد هربت من الخدمة العسكرية

قلت لهم: صحيح، لقد تم نقل وحدتنا العسكرية الى جبهات الحرب في جنوب العراق، لهذا كنت مجبرا على الهروب.

احد افراد البيشمركة التفت الى خالتي و قال لها: ما هي صلة قرابتك بهذا الشاب؟

اجابت خالتي قائلة: انه ابن اختي و يسكن مدينة اربيل

بعد ذلك التفت لي و قال : استعد للسفر معنا، اننا سنعود بعد اسبوع الى هنا و سنأخذك معنا، بعد احتساء الشاي قاموا و ودعونا.

كتبت رسالة الى زوجتي و سلمتها الى خالتي، قلت لها: ارسلي هذه الرسالة الى زوجتي، حيث سأطلب فيها أن تأتي و تلتحق بي الى هنا، لأنني قررت أن اترك العراق بصورة نهائية و سنذهب الى الخارج.

عندما انتهيت من حديثي وجدت خالتي قد وقعت في البكاء و هي ترجو مني أن اترك هذه الفكرة و البقاء معهم هنا.

بعد مرور عدة ايام جاءت زوجتي و هي تحمل ابنتي الرضيعة (زالة) احتضنا بعضنا البعض بقوة و تبادلنا القبلات.

وجدت زوجتي لا تستحسن فكرة السفر الى الخارج، لكنها كانت مجبرة على قبولها و قالت: مع انني لم اقتنع بفكرة السفر، لأنني اخاف من الطريق و مجهولية مصيرنا في هذا الطريق الصعب، لكنني لا اريد كسر كلامك و سارافقك نحو هذا المجهول، لأنني اصبحت احس بملل و انزعاج كبير من الوحدة و الابتعاد عنك، تصور مع يوم ابتعادك، والدتك تحاول ان تخلق لي الكثير من المشاكل.

سألتها: انني اسمع كلام غريب و محير، و لماذا تتصرف والدتي بهذا الشكل؟

قالت: خلال الايام الماضية جاء اخوتي سيروان و روند من كويسنجق لاجل زيارتي، وجدت كوليزار زوجة (زرار) و هي واقفة امام الباب، عندما شاهدت الضيوف في بيتي لم تنتظر لكي تتأكد منهم، اتجهت الى والدتك و سردت لها ما شاهدته؟!

لذلك فجأة وجدت والدتك و اخواتك في حالة غضب و هيجان و بدأت الشتائم و توجيه شتى انواع التُهمْ الباطلة، بحيث تم تشويه سمعتي امام الجيران، والدتك قالت لي: (رغم ان ابني هارب من الخدمة العسكرية و هو الآن مختفي في منطقة بعيدة، لكننا نجدك لا تخجلين من نفسك و تجتمعين مع اشخاص غرباء في البيت؟!).

قلت لها: انني اسمع كلاما غريبا و عجيبا و لم لم انتظر منكم مثل هذا السلوك و التصرف الشاذ؟!

سألتها: ماذا قلت لهما و كيف تصرفتي؟

قالت: لقد احسست برأفة و شفقة كبيرة على وضعي، قلت لأخواني: اسمعوا حماتي و والدة زوجي الغائب لظروف صعبة، ماذا تقول لي و ماذا تريد منكم؟

عندما شاهدت والدتك شقيقي، اصيبت بذهول كبير و صمتت في مكانها و هي لا تصدق ما تشاهده امامها من حقائق، بحيث لم تستطيع أن تقول شيئا و رجعت الى بيتها في ظل خيبة و فشل كبير؟

قلت لها: ألم تقولي شيئا لكي تدافعي عن نفسك؟

قالت ، عندما شاهدت والدتك اخواني، التفتت مباشرة الى (كوليزار) و بصقت بوجهها امام الجيران و قالت لها: تعرضنا الى فضيحة الصاق التهمة الباطلة بزوجة ابني، هذا بالاضافة الى خجل كبير بسبب موقفي و ردة فعلي المتسرع؟!

عندما سردت لي زوجتي هذه الحادثة المؤلمة شعرت بقلق و حزن كبير، حاولت اعادة الطمأنينة الى قلبها و قلت لها: عليك من الآن فصاعدا أن لا تقلقي و سأتعهد لك بأنني سوف لن اتركك مرة اخرى، أي سترافقيني خطوة اثر خطوة، أي ستكونين معي مهما كانت الصعوبات و العراقيل.

بقيت زوجتي معي لحين عودتي البيشمركة الذين وعدوني بمرافقتهم، انتهزت فرصة وجودها معي و كنا نذهب يوميا الى بستان بيت خالتي التي كانت بالقرب من البحيرة الجميلة، حيث كانوا يزرعون فيها بعض الخضروات مثل (الباذنجان و البامية و الطماطم و البصل الاخضر) كذلك كان هناك عيون ماء رقراق بالقرب من البستان و يتم استعمالها لأجل الأرواء و الشرب، كنا نسرد احداث و مجريات حياتنا الصعبة، بالذات بعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية و كيف تم استدعائي للخدمة العسكرية و اخيرا هروبي و غيابي عنهم، طرحنا الكثير من الحلول المعقدة لوضعنا الحالي، لكن دون جدوى و كانت

تعترضها الكثير من الصعوبات و يا ترى هل السفر الى الخارج هو الحل الجذري؟ و هل يا ترى انها عملية سهلة و كما كنا نتصورها؟

زوجتي مع انها امرأة مدنية و لم تعيش حياة الريف و القرية ، لكنها استطاعت ان تنسجم بسهولة مع الحياة هنا، لا بل كانت سعيدة جدا.

كانت تقول بانه لولا وظيفتها لكانت تحاول البقاء هنا و عدم العودة الى المدينة.

على اية حال، بعد مرور الاسبوع وجدت البيشمركة عائدين الى القرية و بيت خالتي بالذات، لكن و قبل أن اتحدث معهم، بادرت خالتي و قالت لهم أنا اريدكم في حديث فيما بيننا و اخذتهم الى مكان منزوي و تحدثت معهم في صمت و بصوت منخفض، بينما أنا كنت اراقبهم من خلف النافذة لكني لم اعرف عن ماذا كانوا يتحدثون؟ يا ترى هل الحديث يخص وضعي و مصيري في حال مرافقتي لهم؟

بعد الانتهاء من حديثهم عادوا الى الغرفة و تحدث معي مسؤولهم قائلا: خالتك اخبرتني بانك ستجلب معك زوجتك و ابنتك الرضيعة، هل هذا الكلام صحيح؟

قلت له: نعم صحيح، زوجتي ترغب بمرافقتي و عدم تركها لوحدها، لهذا انها لا تريد أن اتوجه لوحدي الى الخارج.

قال لي: نحن اتفقنا على أن ترافقنا لوحدك فقط في هذه المسيرة الطويلة؟

قلت له: هل هناك فرق؟ في حال اذا كنت لوحدي أو كنت برفقة عائلتي؟

اجابني: الطريق الذي سنتخذه مخيف و معقد جدا، هذا بالاضافة الى صوت بكاء هذا الطفل الرضيع الذي سيثير اسمع ما حولنا و لا يمكن اسكاته بسهولة في حال البكاء، و قد يسبب في ايقاظ عناصر جندرمة الحدود و اثارة اسماعهم، عند ذاك سنقع في يد هؤلاء الاوباش!

قلت له: هل يجوز أن نأتي أنا و زوجتي فقط و نترك الطفل الرضيع هنا؟

احد هؤلاء البيشمركة قال لي: نحن في سفرتنا هذه سنرافق معنا بعض الادلاء و (القجقجية) هؤلاء يعرفون خفايا و طرق هذه المنطقة بين ثنايا هذه الجبال و الوديان، لذلك لا يرغبون بوجود نساء و الاطفال معهم، خصوصا و

انه من الصعوبة السيطرة على الطفل و صوت البكاء المميز ، هذا بالاضافة خطورة الطريق في المسير بين خطين و نقطتين عسكرية عراقية، ففي بعض الاحيان و عندما يبكي الطفل سنضطر الى خنق الطفل؟!

عندما ذكر هذه العبارة المخيفة، وجدت زوجتي تحتضن طفلتنا (زاله) بقوة و قالت بغضب: هذه الطفلة العزيزة تمثل حياتي و لا اقبل ابدا أن اضع حياتها في خطر أو بين ايدي هؤلاء الذئاب!

التفتت لي و قالت: اذا كنت ترغب بالسفر، يمكنك ان تسافر لوحدك معهم و ساعود انا لوحدي الى اربيل، ثم ادعوا والدي و الدتي لكي يضعوا لي بعض الحلول.

قلت لها: انا لا استطيع تركك هنا لوحدكم ، خصوصا و ان هذا الطريق سيستغرق عدة ايام، لذلك ليس من السهولة أن أقرر السفر في مثل هذا الطريق المليء بالمخاطر و حياتي مرتبط بكم مباشرة.

التفت الى هؤلاء البيشمركة و قلت لهم: على اية حال أنا اشكركم و لا استطيع السفر بدون زوجتي و طفلتي.

مسؤول هؤلاء البيشمركة قال لي: انه قرار صحيح، أي ان البقاء هنا مع عائلتك افضل من اختيار هذا الطريق الخطير.

كنا في فصل الصيف و مازال هناك الكثير لكي تفتح ابواب المدارس، لهذا باستطاعة زوجتي البقاء معي، لذلك قضينا فصلا و وقتا جميلا معا، بعد تناول وجبة الفطور كنا نخرج معا و نحمل معنا دورقا من الشاي الحار متوجهين نحو ضفاف البحيرة، نبقى هناك حتى وقت الظهيرة ثم نعود الى القرية.

بسبب هذا الوقت الممتع جدا، وجدت الوقت يمضي سريعا، بحيث نسيت بانني هارب من الجيش، لا بل حتى انني نسيت بسهولة انني من سكان المدينة اصلا، لكن و مع بدء دوام المدارس، وجدت زوجتي تفكر بكيفية العودة الى اربيل و المباشرة بعملها في المدرسة أو تترك الدوام و البقاء معي في القرية؟!

انشغلت طيلة ساعات الليل يا ترى أي قرار نختار؟ بحيث لم اذوق طعم النوم في تلك الليلة، لا بل حتى زوجتي كانت مثلي كانت قلقة و محتارة في كيفية اتخاذ

القرار، باعتباره قرارا مصيريا صعبا و قلت مع نفسي: (طيب ما هو ذنب زوجتي لكي تحترق بنار مشكلتي و تضحي بتعب دراستها و تذهب هباء؟!).

لهذا مع الصباح قلت لزوجتي: أنا اخذت قراري؟

سألتني: ما هو قرارك يا ترى؟

أنا سأعود معكم ايضا،لأنني لا استطيع الصمود امام البعد عنكم و اعيش لوحدي فقط.

قالت لي: يبدو انك قد نسيت لماذا تركتنا و توجهت الى حياة الغربة و القرية؟!

قلت لها: اعرف بانك تقولين لي بانه في حال العودة الى مدينة اربيل سأتعرض مرة اخرى الى التوجس و الخوف من الأمن ورجال الحكومة المختصين في مجال المتابعة و المراقبة؟

قالت لي: يبدو انك تستوعب المخاطر السابقة، اذن لماذا تتخذ مثل هذا القرار الخطير و الصعب؟

قلت لها: أنا لا استطيع العيش في مثل هذه الظروف و انا بعيد عنكم، لذلك لم يبقى امامي سوى العودة معكم و تسليم نفسي الى الحكومة و العودة نادما الى العسكرية و التوجه نحو جبهة الحرب و الموت! !

قالت لي: انا لا استطيع أن اقول أي شيء في هذا الشأن، باعتباره قرارا خطيرا و يجب أن تأخذه بنفسك، لكني اطلب منك أن تفكر جيدا و بعمق ثم قرر بصورة نهائية، لأنه من الممكن أن يكون القرار سيئا و محبطا جدا و تندم على اتخاذه بسرعة؟!

قلت لها: أنا انشغلت بالتفكير طيلة ساعات الليل ثم اتخذت قراري النهائي و لن أندم ابدا، الانسان يموت لمرة واحدة فقط، يبدو ان هذا الحرب العبثي سيطول اكثر من اللازم، لذلك ليس لدي أي امل في أن يتوقف قريبا، أي ان حياتي لا يفرق عن حياة اصدقائي، عليه قررت العودة الى وحدتي العسكرية و تسليم نفسي، سأسلم مصيري الى القدر المحتوم، و لا اعرف الى اين سيصل يا ترى؟!

الذهاب الى جبهات الحرب

ودعت خالتي و قلت لها: قررت العودة مع زوجتي الى اربيل، ثم تسليم نفسي و العودة الى الحياة العسكرية.

عندما انتهيت من حديثي، وجدت خالتي (عائشة) و ابنتها (ليلى) في حزن كبير و طلبوا مني عدم العودة و الذهاب الى جبهة الموت.

لكن (ليلى) توسلت و دموع عينيها بدأت تسيل على خديها التي كانت تعتقد بان كل مَنْ يذهب الى الحرب سيكون مصيره الموت المحتم و لن يعود سالما و قالت لي: لقد تعودنا على وجودكم معنا، بحيث اصبح من الصعوبة الاستغناء عنكم، ثم تدخلت خالتي مرة اخرى، و قالت لي: على الاقل ابقى لدينا اسبوعا آخر لكي تفكر بالموضوع بعمق ثم قرر؟

قلت لهم: انني احبكم كثيرا و انسجمت مع الحياة هنا، لا بل حتى مع اجواءها و اشجارها و ماءها و حيواناتها، لكني لا استطيع الصمود اكثر و الابتعاد عن زوجتي و ابنتي الرضيعة التي احبها كثيرا و لا استطيع الاستغناء عنها.

عندما علمت ابنة خالتي بانه لدي اصرار على العودة، سحبت من جيب ثوبها الطويل قطعة قماش خضراء و سلمته لي قائلة: اربط هذه القطعة المباركة في معصمك، لأنها ستحافظ على حياتك و يبعد عنك الوحوش

الضـارية، لقـد جلبتهـا مـن مرقـد (صـوفي خـدر) لقـد اسـتطاعت هـذه القطعـة المحافظة علـى حيـاتي طيلـة الفـترة الماضـية، فلـو احتفظـت بهـا، بالـذات في معصمك ستجد الصوفي (خدر) معك دائما و ستكون في أمانة الله تعالى.

مع انني لم يكن لدي ايمان بهذه المسائل، لكـن اردت التعـاطي مـع طلـب ابنـة خالتي العطوفة و استلمت منها هذه القطعـة و وضـعتها في جـيبي و قلـت لهـا: انـا متأكد بانـك تتعـاطفين معـي و تطلـبين السـلامة لـي و لعـائلتي، لكـن ارجـو أن لا تحزني و امسحي الدمعات التي تسيل من اجلنا و سأتعهد لـك و لخـالتي اذا انتهـت الحـرب و تم تسـريحي مـن العسـكرية سـتجديني مـع عـائلتي سـنقوم بزيـارتكم و سأجلب لك هدية جميلة.

بهذا تركت القرية و عدت مع زوجتي الى مدينة اربيل، في ذلك اليوم صادفت (زياد حيران) و قلت له: اريد اخذ طريق الندامة و تسليم نفسـي لأجـل العـودة الى العسكرية، انا اريد أن أسألك ماذا تفعل الحكومة بالذين سيسلمون انفسـهم نادمين بعد فترة من الهروب؟

قال: قبل ايام قام احد معارفنا بتسليم نفسه نادما بعد هروبـه مـن العسـكرية، حيث سلم نفسه الى منظمة حزب البعث و تم اعادته الى وحدته في جبهات الحرب.

سألته: يا ترى هل تعرف ما هو اخباره؟

قـال: رأيـت والـده الـذي قـال لـي: (حصـلنا علـى اخبـاره و اكـد بأنـه لم يتعرض الى العقوبة العسكرية و ينفذ واجباته العسكرية المعتادة).

قلت له: انني اخاف من القرار الـذي اصـدره الحكومـة بشـأن اعـدام الـذين يهربون من الخدمة العسكرية، لهذا كنت مترددا في مسألة تسليم نفسي.

لهذا قررت اخيرا الذهاب بنفسي الى مقر حزب البعث و طلبـت مقابلـة أمـين سر فرع اربيل لحزب البعث، مسـؤول الاسـتعلامات سـألني قـائلا: لمـاذا تريـد مقابلة امين السر؟

قلت له: شقيقي هارب من الخدمة العسكرية و اريد تسليمه نادما عن طريقكم.

عندما قلت العبارة الاخيرة، وجدت هذا المسؤول يعبر عن تقديره الكبير لي و قال لي: انتم الكورد مع انكم تكرهون االالتزام بالقانون و النظام، لكن عندما يتعرض الوطن الى خطر الاعداء، لا تستطيعون الوقوف و الانتظار و تقررون الدفاع عن الشعب و الوطن! !

مع انني كنت استهزأ بحديث هذا الابله، لأنني لم اعتبر نفسي عراقيا طيلة حياتي ابدا، لكي اقوم بالدفاع عن هذا الوطن.

بعد الاتصال تلفونيا مع امين سر الفرع، ادخلوني الى غرفته و وجدت أمراة هناك و هي تضع ساق على ساق عند جلوسها، بذلك ظهر الجزء من وركها الناصع البياض، سلمت عليه و رد على سلامي، جلست على الكرسي المقابل له ثم سألني: تفضل، لماذا تريد مقابلتي؟

قلت له: منذ فترة و شقيقي هارب من العسكرية، لقد سمعت بان الحكومة قد اصدرت عفوا سريا عن طريق منظمات حزب البعث عن الهاربين من الخدمة العسكرية، لقد جئت الى هنا لكي أتأكد من هذا القرار ثم تسليمه اليكم نادما؟

عندما سمع هذه العبارات مني، عبر عن تقديره و قال لي: اشكركم لهذا الموقف الوطني، خصوصا و أن الوطن يتعرض الى هجوم الاعداء، لذلك نجد الوطن يحتاج الى دعمكم و الوقوف معه.

ثم قال لسكرتيره الخاص: اجلب لي نسخة من قرار العفو و سلمهُ لهذا الرجل، لكي يتأكد من صدور هذا القرار.

خلال فترة انتظار وصول نسخة القرار وجدت المرأة الجالسة هناك التفتت لي و قالت: ان القرار الذي اتخذته بشأن تسليم شقيقك يعتبر قرارا صحيحا، أنا كنت مثلك و قمت بتسليم زوجي الى منظمة الحزب، لذلك نحن الآن نحس بامان و استقرار، لقد كنا نخاف مع كل طرق للباب و نعتبره اخبارا عن زوجي و القاء القبض عليه؟!

احسست من خلال عيون و حركات هذه المرأة بانها سيئة السمعة في ظل ارتداءها تنورة قصيرة جدا و جلستها التي كانت تثير الريبة و الشك، من الناحية الاخلاقية، بحيث أن ملابسها الداخلية كانت ظاهرة و فخذها تبدو و كأنها جبنة بيضاء و طرية، قلت مع نفسي: (انها تجلس اليوم مع هذا الرجل المسؤول بامان تام في ظل غياب زوجها الذي تم تسليمه و ارساله الى الجبهة، فلو كان موجودا هنا، كنا نجدها لم تتمكن من القيام بهذه الزيارة المريبة).

على اية حال عاد السكرتير و هو يحمل معه نسخة من قرار العفو و قال لي: هذا هو القرار، يا ترى هل اطمئنتم؟

قلت له: نعم اطمئنت

خرجت من المقر و عدت بتكسي الى البيت، عندما شاهدتني زوجتي من بعيد استقلتني و قالت: اذا كنت قد عدت الى اربيل من اجل اجراء اللقاءات مع اصداقائك و كأننا نعيش في بيئة مستقرة و آمنة، انصحك بالعودة الى القرية لكي لا تتعرض الى مشكلة القاء القبض عليك و يحكم عليك؟!

قلت لها: لا تقلقي، سأعود الى وحدتي العسكرية، لهذا كنت في زيارة الى مقر حزب البعث في اربيل، لقد اطمئنتُ من وجود عفو سري للهاربين من الخدمة العسكرية و تم اعلام كل فروع الحزب بهذا الشأن.

زوجتي قالت: اذن يبدو انك جدي بالعودة الى الخدمة العسكرية؟

قلت لها: انني احس بملل و عدم استقرار نفسي و اصبحت عبئا كبيرا على اقاربي و ابتعدت عن عنكم، رغم ان سبب هروبي من الخدمة العسكرية كان بسببكم، لكني احسست بانني محروم من عدم الاستقرار و الامان في ظل ظروفي الحالية، لذلك وجدت من الافضل تسليم نفسي و العودة الى وحدتي العسكرية.

قالت لي: انت ستتحمل مسؤولية هذا القرار، لذلك لن اعطي رأيي في هذا الشأن الخطير، مع هذا اقول لك: حاول ان تتمهل قليلا في هذا القرار و تعمق في التفكير، لكي لا تندم اخيرا.

قلت لها: أنا فكرت في هذا الأمر كثيرا و لم أجد حلا مناسبة سوى تسليم نفسي.

أخذونا الى سجن الحارثية

بعد وصولنا الى مدينة كركوك بقينا ليلة واحدة في سجن الانضباط، اخذونا في صباح اليوم التالي بمرافقة عدد من عناصر الانضباط العسكري، و ذلك بواسطة باص نحو مدينة بغداد، و من هناك الى تم ارسالنا الى سجن الحارثية الذي كان عبارة عن سجن كبير جدا، يتضمن عدد من القاعات، لأجل سجن و حجز العسكريين المخالفين و الهاربين، لقد تم توزيعنا على عدد من الغرف، و مع دخولي بدأ الضرب بالعصا الغليظة و ركلا و توجيه اللكمات بشكل عشوائي، لقد كانت ممتلئة بالمساجين، لم نجد مكانا للوقوف، بحيث وجدت المساجين الذين كانوا بجانبي يدفعونني و يضربونني بقوة، لذلك كنت مجبرا على أن ارفع ساقاي الى الاعلى، كانوا يقرؤن الاسماء و اخذهم الى خارج الغرفة، كنت اسمع الموجودين في داخل الغرفة يقولون: (اخذوهم لكي يتناولوا وجبتهم المخصصة، انظروا كيف سيعود و هو في حالة شبع و فاقدا للوعي؟!)

لقد كنت اعتقد بانهم سيأخذوننا على شكل مجموعات، لأجل تناول الوجبة المخصصة لنا، أي لم يتجه تفكيري الى شيء يثير الرعب و الخوف؟! لكن اخير ظهر لي بانني كنت خاطئا، بالذات بعد جلب البعض و هم

شبه موتى و فقدوا الوعي، وذلك بسبب شدة التعذيب و الضرب العنيف؟! كنا نرى الدم يسيل من اجسادهم! !

احد المسجونين الذي كان شابا جميلا و خريج كلية الادارة و الاقتصاد، فعندما اخذوه الى الخارج كان يرتدي ملابس مرتبة و نظيفة، لكنهم اعادوه بجسد مخضب بالدماء و كأنه عاد من المجزرة و لم يبقى أي مكان سالما في جسده الرقيق، بحيث تعرض ظهره الى ضربات بشفرة الحلاقة (الموس) ثم رشوا عليه الملح و الفلفل الحار، و من شدة ألمه كنا نسمع منه الآهات و الأنين و التأوه، سألت احد المساجين الذي كان بجانبي قائلا: ماذا فعل هذا الشاب لكي يتعرض الى هذا النوع من الضرب الشديد؟ و يا ترى هل سنتعرض نحن ايضا الى نفس التعذيب و الضرب المبرح؟

قال: هذا الشاب الذي ينتمي الى المذهب الشيعي، كان قد هرب من جبهات الحرب و تم القاء القبض عليه في مناطق الاهوار في الناصرية، لكنه مع هذا، حاول مرة اخرى ان يهرب و هو في الطريق؟! لهذا تعرض الى الضرب و و الى هذا النوع من التعذيب.

بقيت هناك حتى الساعة السابعة مساء و كنت جائعا جدا، لا بل لم يعطونني و لو قطعة من الصمون اليابس، هذا بالاضافة الى العطش الشديد، طلبت من الانضباط الواقف على الباب لكي يعطيني كمية من ماء الشرب، اشار بيده الى زجاجات صلصة الطماطم التي كانت تستعمل للتبول و موجودة على حافة النافذة، قال لي اجلب لي احدى هذه الزجاجات لكي اضع لك كمية من الماء! !

قلت له: هذه الزجاجات ليست نظيفة و لا يمكن استعماله لشرب الماء و فيها بقايا من البول؟!

قال لي: اجلب لي الزجاجة بسرعة لكي لا اتراجع عن تزويدك بالماء و الا ستضطر لشرب البول فقط؟!

التسفير بالقطار الى البصرة!!

في الليل اخذونا بشاحنة عسكرية الى محطة القطار، فوضعونا في قاطرة مخصصة لنا و كنا لوحدنا، ثم بدأ رحلة السفر نحو مدينة البصرة.

الطريق بين البصرة و بغداد كان طريقا طويلا جدا، وصلنا الى هناك بعد اثني عشر ساعة، انشغل تفكيري خلال هذا الطريق مع عائلة خالتي و تلك الايام الحلوة التي قضيتها هناك، بالذات مع سكان تلك القرية الجميلة، بالاخص عندما كنت اجلس في حافة البحيرة و بيدي راديو ترانسستور صغير، كنت استمع من خلاله الى اخبار الحرب الايرانية العراقية و أنا اتمنى أن اسمع خبرا سارا يتعلق بوقف الحرب و انتهاءه، بالتالي تسريحي من العسكرية و العودة الى عائلتي، اتذكر ذلك الرجل السمين الذي كان يقوم بالسباحة ثم خرج و قام بحلاقة رأسه تماما بشفرة الحلاقة، ثم بحلاقة شعر جسده اعتبارا من منطقة (الأبط) و الشعيرات الموجودة حول عضوه الذكري و الخصيتين، اخيرا دخل مرة اخرى الماء لأجل ازالة ما تبقى من الشعيرات؟!

علما انني لم أرى هذا الرجل سابقا في هذه المنطقة، فعندما عدت الى البيت، خالتي قالت لي: (انني لم أطبخ هذا اليوم، لأن (مام صوفي) قد عاد من سفرته و قام بدعوتك لتناول وجبة الظهيرة لديه، ظهر لي بان بيته كان يقع بجوار بيت

خالتي، عندما ذهبت الى هناك وجدت رجال القرية موجودين، بعد السلام عليهم جلست معهم على الوليمة، حيث تم اعداد وجبة لذيذة و دسمة، انتهزت هذه الفرصة و تناولت الى حد التخمة، ثم نهضت و جلست في احدى زوايا الغرفة، التفت مام صوفي نحوي و قال لي: (يقال بانك قد هربت خوفا من قوات صدام حسين، ألا تعرف بالدقة مَنْ هو صدام حسين و ماذا يريد منكم؟)

قلت له: انه رئيس الجمهورية و اندلعت الحرب بين العراقية و الايرانية بسبب التدخلات في الشؤون الداخلية، و الآن يريدنا أن نشارك في الحرب و نصبح وقودا لهذا النارا و نحترق، أي ان نضحي بارواحنا، رغم عدم وجود أي افق و امل لأنتهاءه قريبا، فالذي يرفض المشاركة و الاذعان لأوامره الصارمة سيتعرض لعقوبات شديدة و منها عقوبة الاعدام و الموت).

عندما انتهيت من حديثي وجدت مام صوفي يهز رأسه و قال:(الملك فيصل كان ملكا طيبا و انسان مسالم، فلو بقي على قيد الحياة، لما وجدنا رئيسا اسمه صدام حسين و يصبح القائد الاوحد في هذا البلد و مصدرا لأشعال الحرب و تعذيبكم؟!).

قلت له: ماذا نفعل و ماذا بيدنا لكي نفعله، يبدو انه اصبح يمثل مصيرنا بين البقاء و الموت).

ثم سأل مام صوفي: يا ترى ماذا حصل للرئيس السابق و هل هو مازال على قيد الحياة؟

قلت له: هل تقصد احمد حسن االبكر؟

قال: لا بل الذي استلم الحكم بعد الملك فيصل؟

عندما سمعت منه العبارة الاخيرة، وقعت في الضحك و قلت له: يا مام صوفي تصور مع قتل الملك فيصل جاء العديد من الرؤساء و اخيرا كان احمد حسن البكر الذي اصبح رئيسا حتى عام ١٩٧٩ ثم اضطر الى تسليم الحكم الى صدام حسين.

تدخل مام صوفي قائلا: (تصوروا انني اسمع باسم صدام حسين لأول مرة و لا اعرف سبب اندلاع هذا الحرب؟)

قلت له: ان قصة هذه المسألة طويلة، قبل قيام الخميني بالثورة و يعود الى ايران، كان يقيم في مدينة نجف الاشرف، لكن الحكومة العراقية قررت ابعاده و طرده من العراق في الرابع من تشرين الاول عام ١٩٧٨) توجه الى فرنسا و استقر في مدينة باريس، لقد كان يطلب من هناك الدعم من الدول الغربية ضد شاه ايران، اخيرا استطاع عام ١٩٧٩ القيام بثورة و الاطاحة بنظام الشاه محمد رضا بهلوي الذي استطاع انقاذ حياته من خلال طائرة خاصة و هو وسط الجماهير الايرانية الحاشدة التي كانت تحتفل بالثورة، توجه الخميني الى مكان ولادته في مدينة (قم) و استقر هناك، لهذا ليس غريبا أن نجد صدام حسين قد بادر في الحرب خوفا من اخذ ثأر قرار طرده من ايران وذلك بتاريخ ٩/٢٢/ ١٩٨٠ كذلك قام بالغاء اتفاقية الجزائر و دخل الاراضي الايرانية باسم الدفاع عن العراق و سيادته، كانت نتيجة هذا الحرب الضروس عشرات الالاف من الضحايا الابرياء؟!

وجدت مام صوفي متأثرا جدا بما يسمعه لأول مرة، باعتبار انه منقطع عن ما يجري فيما حوله و بما جرى و يجري حاليا في العراق، أي لم يتمكن الوصول المدن الكبيرة طيلة حياته الذي وجدته يقول: (يا للكارثة التي اسمعه منكم و لم اعلم به سابقا؟!).

سألته: اين كنت يا مام صوفي طيلة هذه الفترة الطويلة؟

اجاب قائلا: أنا كنت موجودا هنا، مشغول بتجارة الاسلحة و العتاد، أي تجدني يوما هنا و يوم اخر في منطقة اخرى، انا غائب عن هنا منذ عدة اشهر و توجهت الى داخل الاراضي التركية، لأجل شراء الاسلحة التي سأجلبها الى هنا و بيعها مقابل ارباح كثيرة.

مع مرور الوقت و انا في القطار كنت اعتقد بأن الطريق سيطول اكثر و لن نتمكن من الوصول الى البصرة بهذه السهولة، بالاخص في ظل عدم النوم تحت تأثيرات الضغط النفسي و المصير المجهول، من جهة اخرى كنت اقع في القلق على عائلتي و ابنتي الرضيعة، و هل يا ترى سأستطيع العودة هذه المرة اليهم سالما؟

وصل القطار الى المحطة في البصرة في الساعة الثامنة صباحا، علما انني كنت أرى البصرة لأول مرة في حياتي، حيث كانت مدينة كبيرة و تقع على ضفاف شط العرب.

نزلنا من القطار، الانضباط الذي كنت في رفقته و مسؤوليته وضعني امامه و اخذني الى وحدة الانضباط العسكري في المحطة و اخرج من جيبه كتابا رسميا و سلمه الى المسؤول و قال له: هذا العسكري هارب من وحدته و قام بتسليم نفسه نادما، وحدته موجودة في الاهواز، انني انتظر استلامه مني و التوقيع على كتابه.

قام المسؤول بكتابة هامش رسمي و سلمه لهذا الانضباط، ثم اصدر امرا لأنضباط آخر، قائلا له: الآن خذ معك هذا العسكري الهارب و سلمه الى دائرة الانضباط العسكري الرئيسي، رافقني الانضباط المكلف بنقلي و وضعني امامه و اخذني الى مقر الانضباط الرئيسي في البصرة.

بعد تسليمي الى مسؤول دائرة الانضباط الذي نقلني و وضعني في غرفة خاصة، لكني لم اجد فيها احد سوى انا فقط، و من شدة حزني و الضغوطات النفسية و قعت في البكاء و بدأت أشعر بندم كبير من قراري بتسليم نفسي و قلت: (يبدو أن مسؤول فرع حزب البعث لم يكن صادقا معي، أي مارس معي التحايل و وضع لي مصيدة مخفية حقيقية، بحيث وقعت في المصيدة بسهولة؟).

مضى نصف ساعة على تسليمي و لم اجد احدا يسأل عني، سألت الحرس الموجود امام الباب: صحيح انني عسكري هارب لكني قمت بتسليم نفسي الى مقر حزب البعث في مدينة اربيل، حيث قال لي: (هناك عفو سري خاص

للهاربين من الخدمة العسكرية و لن تتعرضوا الى العقوبة العسكرية، لكن مع هذا و منذ تسليم نفسي يتعاملون معي كمذنب و هارب و تم القاء القبض عَلَيَ و ليس نادما كما فعلت انا؟).

الحارس تقدم و قال لي: رغم انك قد ارتكبت جريمة الهروب من الخدمة العسكرية، لكني اجدك و كأنك تعاتبنا و تعاتب الحكومة و تريد أن نستقبلك بفرقة عسكرية مهيبة؟!)

قلت له: أنا لم أقصد ما تقوله و توقعته مني، أنا اريد فقط أن اعرف ما هو مصيري؟ و هل يا ترى هل سيشملني العفو العام أم لا؟

اجابني قائلا: لا تستعجل و سيأتي جماعة اعاشة الوحدة الى هنا و سيتم ارسالك معهم الى جبهة الحرب، وهناك سيتم التعامل معك حسب حظك و نصيبك، أي بين أن ترى عائلتك مرة اخرى أم ستصبح مثل باقي اصدقائك في الوحدة مشروع استشهاد و يتم تسجيل اسمك ضمن قائمة الخالدين و تكون أكرم منا جميعا؟!

اخير لم يمضى وقت اكثر و اخرجوني من السجن، لأجل تسليمي الى جماعة الاعاشة الذين اخذوني معهم الى وحدتي الاصلية في منطقة الاهواز داخل الاراضي الايرانية، حيث كانت تبتعد مسافة كيلومترين عن مدينة المحمرة.

عندما وصلنا الى هناك، تفاجئت برؤية صديقي طاهر الذي شاهدني من بعيد، وجدته يأتي مهرولا نحوي و احتضنني بحرارة و قبلني، ثم جاء (عثمان و دلشاد و فاخر و سيد محمد) الذين استقبلوني بحرارة.

طاهر الذي قال لي: لقد سلمت نفسك في وقت خطير و سيء جدا، في ظل صعود وتيرة الحرب و الهجوم في عدة قواطع عسكرية، بحيث تم وقف الايجازات و النزول منذ شهرين، لقد وضعوني في حالة الانذار و الاستعداد التام، لا بل هناك احتمالية تعرضنا الى هجوم مباغت في اية لحظة ما؟!

قلت له: لقد مللت و انزعجت من حياة الاختفاء و الهروب و الابتعاد عن عائلتي، أنا أرى أن الحياة هنا لا يختلف عن العيش هاربا و محاصرا في مكان معين، ففي الحالتين أجد نفسي بعيدا عن عائلتي و لا استطيع العيش معهم بسعولة مثل السابق، لهذا كنت مضطرا اخيرا لتسليم نفسي و الالتحاق مرة اخرى بالعسكرية.

قال: اغلبية اصدقائنا هربوا مثلك، لكن نحن ليس لدينا مكان لكي نختفي فيه، أي لا نستطيع و كما نريد نحن و سنبقى في اطار المتابعة المستمرة و الحصار داخل المدينة، نحن ليس لدينا احد يعيش في القرى و الارياف، لكي نلجأ اليهم و الا كنا قد هربنا منذ فترة طويلة.

دققت وجوه الجنود الموجودين هنا، بالذاتا الذين كانوا معي اثناء التدريب، لكن دون جدوى و لم اعثر أي واحد منهم، بالذات الذين كانوا معي في نفس الفصيل، سألت طاهر: أنا لا أرى (عزيزه سور و عبدالمؤمن دشتي)؟

اجاب قائلا: تم نقل (عزيزه سور) الى وحدة اخرى ليست بعيدة عن هنا، اذا كان رغبة لرؤيته، سنستطيع بعد قليل أن ننتهز فرصة و نذهب اليه، اما بالنسبة الى عبدالمؤمن دشتي، هرب بعد هروبك بفترة قليلة و لا اعرف اين هو الآن؟

سألته: وماذا عن (احمد كشخه) اين هو الآن و لماذا لا أراه؟

عندما سمع سؤالي الاخير، وجدته متأثرا و حزينا و قال: لقد ودعنا و ودع الحياة الى الابد، تاركا ما تبقى من حياته لنا، و ذلك بعد أن قامت القوات الايرانية بهجوم واسع علينا، تم قتل الكثير و البعض الاخر وقع في الأسر، و كان احمد كشخة من ضمن الضحايا و استشهد ايضا؟!

عندما سمعت هذا الخبر المفجع و الكارثي حزنت كثيرا، لأنه كان شابا انيقا و جميلا جدا، لقد كان يحب الحياة كثيرا و لم يكن مثلنا، لا بل كان يهتم بملابسه و هيئته اثناء الحياة العسكرية و تجده دائما يبحث الموديل الجديد على صعيد الملابس.

حاول طاهر التخفيف من حزني و قلقي الكبير، قائلا: لا تحزن لأنه طريقنا جميعا، ان الله هو القادر على انقاذنا و انقذ الكثير منا في الفترة الاخيرة، خصوصا و أن هجوم الايرانيين واسعة جدا و ليس بامكان احد الوقوف امامه ابدا؟!

قلت له: ان حزني عليه بسبب حيوته و تفاؤله في الحياة، لقد كان يحاول الابتعاد عن كل ماهو مصدر للقلق و يركز كثيرا على هندامه و هيئته، بحيث كان مميزا بيننا نحن اصدقاءه، بالذات في اناقة و جمال الذي يظهر به.

طاهر قال لي: سأسرد لك حادثة مثيرة يخص (كشخة) و قبل أن يستشهد، و ذلك عندما قامت القوات الايرانية بهجوم كبير، لكنهم فشلوا و تعرضوا الى خسائر كبيرة، بما فيها خسائر بشرية و تركوا بعض القتلى وراءهم، و كان من بينهم شاب ايراني انيق يرتدي (تيشيرتا براقا) يجذب النظر، فعندما شاهد احمد كشخة هذا التيشيرت الجميل توجه الى جثة هذا القتيل و انتزع منه التيشيرت و لبسه مباشرة، بدون مراعاة انه قتيل، تصور الى أي حد كان يحب الهندام الحديث؟!

لكنه واجه الكثير من النقد الكبير من قبلنا و قلنا له: انه من المعيب جدا أن تلجأ الى ملابس قتيل و تنتزع منه ملابسه و ترتديه، انه تصرف غير انساني و لا يليق بنا و بعاداتنا و تقاليدنا الاجتماعية، أي يجب علينا احترام جثث الموتى و عدم التصرف بما يحمله و يرتديه، لكنه رغم ذلك لم يهتم بما قلناه و وجهنا له من انتقادات شديدة و اعتبر تصرقاته مسألة اعتيادية و قال لنا :يجب أن تعلموا جيدا بأن هذا التيشيرت يعتبر موديلا جديدا و جميلا و لم تصل لحد الآن الى العراق، خصوصا و أن هذا القتيل ودع الحياة و لن يتم الاستفادة منه بعد الآن، لذلك أنا سأستطيع الاستفادة منه و سأرتديها عندما اعود الى اربيل، من المؤكد أن جمالها و رونقها سيثير نظر الفاتنات و الرشيقات من الفتيات الجميلات.

قلت له: لكنه لم يستطيع الاستمتاع بهذا التيشيرت و يرتديها عندما يعود الى مدينة اربيل، بعد ان تعرضت وحدته الى هجوم واسع و استشهد؟! و اخذ معه حلمه التمتع بالتيشيرت المثير؟

عندما كنا منشغلين بالحديث بيننا، تفاجئنا بوجود عريف الفصيل كاظم سوادي الذي قال: تم حفر عدد من الملاجيء، لأجل حماية الجنود من أي هجوم، هناك حُفَرْ و ملاجيء يستوعب ثلاثة جنود، و هناك من بينها، تم تخصيصها لجندي واحد فقط، لكنه عريض قليلا، و تم اختيارك لهذا الملجأ لكي تنام فيها.

قلت له: أنا كنت ارغب بهذا الملجأ الذي يستوعب شخصا واحد و لا اريد مزاحمة الآخرين.

عندما انتهيت من حديثي، وجدت طاهر يضحك و قال: لاتقلق، يجب ان تعلم بان (عثمان شهرزوري) ينام ايضا في هذه الحفرة ايضا، لكنه يعتبر شخصا مضطربا و شبه مجنون، بحيث تجده يتشاجر بدون أي مبرر و لا اعتقد بانك ستستطيع العيش و الانسجام معه؟!

مع انني لا اعرف عثمان شهرزوري، لكني لا اعتقد بانه شخص سيء و مضطرب الى هذا الحد، لهذا قلت: لا يهم انني سأختبر شخصيته مع محاولة تحسين وضعه أو قد ستجدون اخيرا مثله مجنونا؟!

اخذني العريف كاظم سوادي الى مخزن الملابس و المستلزمات العسكرية و استلمت بطانية و وسادة ثم اخذني الى عثمان و قدمني له باعتباري سأشاركه هذه الحفرة و قال له: جلبنا هذا الشخص لكي يشاركك هذا الملجأ، لقد اختار بنفسه لكي يكون معك.

عندما شاهدني عثمان احتضنني مباشرة و قال لي: يبدو انك لا تعرفني، اننا كنا معا في مركز تدريب بغداد، لكننا لم نكون في فصيل واحد.

قلت له: انني اطلب الاعتذار منك، خصوصا و انني قد هربت من العسكرية منذ اكثر من سنة و نسيت الكثير من الامور و الاصدقاء الذين عايشتهم اثناء الخدمة العسكرية.

لقد وجدت اخيرا، بان هذه الحفرة كبيرة و تستطيع استيعاب اكثر من ثلاثة اشخاص، عثمان فرش مكانه في جهة و أنا فرشت في الجهة الاخرى و اضطجعت في مكاني، علما تم وضع قطعة كبيرة من الجملون على سطحها كسقف مع فرش كمية من التراب، تفاجئت بوجود عدد كبير من الفئران التي كانت تلعب داخل الحفرة و لا تخاف من الموجودين فيها و يتقافزون حولنا، التفت الى عثمان وقلت له: قل لي كيف تستطيع النوم وسط هذه الفئران المشاكسة؟

هَزَ رأسه و قال لي: انت لم تر شيئا لحد الآن، بعد قليل ستأتي الجرذان بعد أن تشم رائحة الاغذية، تخرج من الثقوب و الشقوق و تتقافز على فراشنا المفروش؟!

قلت له: لماذا لا تقضي عليها؟

قال: ليس لي أي صديق في هذا الفصيل، انهم يكرهونني كثيرا و لا اجد سوى هذه الفئران و االجرذان كأصدقاء و يحبونني كثيرا، بحيث يبقون معي حتى الصباح؟!

فقلت له: يبدو انك محبوب لديهم؟

اجابني و الابتسامة كانت ترتسم على وجهه: حتى انت لو كنت في مكاني ستحبهم مثلي،لأنك ستجدهم من الاصدقاء المخلصين، مع انني لا افهم لغتهم، لكنني اتحدث معهم حتى الصباح، تجدني أقرأ لهم الاشعار و الحكايات، و هم يستمعون لك و يجتمعون حولي؟!

مع الانتهاء من هذه العبارات، وجدته يسحب دفترا، كان موجودا فوق رأسه و كتب فيه بعض القصائد حول هذه الفئران، بدأ بقراءة البعض منها و قال لي: انني احب هذه الفئران و الجرذان، لأنهم لا يكذبون مثل البشر؟!

قضيت عدة ايام مع عثمان في هذ الملجأ و ابتعدت عن اسلوب المجادلة و النقاش الحاد معه، لكي ابتعد عن الشجار و التصادم معه، لقد كنت احس بالرأفة و الشفقة عليه، لكن اخيرا ظهر لي بأنه مريض و يعاني من مرض نفسي،لذلك كنت اقول له: انت بمثابة اخي الاكبر حتى و لو شتمتني، أي سوف لن تجدني غاضبا و زعلان تجاه تصرفاتك.

بهذا، وجدته مسرورا و فرحا بما قلته، لهذا ليس غريبا أن أجده و هو يمدحني، لدى الضباط و العرفاء و جميع منتسبي هذا الفصيل: ان جميع منتسبي هذا الفصيل سذج و اغبياء باستثناء (ابو شوارب)؟!و هو يشير لي و يعتبرني انسانا مثقفا و متعلم.

عندما انتهى من حديثه وجدت الجنود يضحكون على حديثه و هم يقولون: سيكون حالنا مضحكا جدا، لو ظهر لنا بأن ابو شوارب قد اصبح مثل حالك و يشبهك في سلوكياته؟!أي مجنونا، لكن المثير بان (ابو شوارب) يعتبر شخصا مختلفا و مميزا في سلوكياته، لهذا ليس غريبا ان نجده قد استطاع الانسجام و العيش معك يا عثمان؟!

المكان الذي كان فيه وحدتنا، تعتبر منطقة سهلية و فسيحة و اسعة، لذلك كان الايرانيون يقومون باغراق هذه المنطقة بالماء، لكي يقطعوا الطريق على هجوم القوات العراقية على مواقعهم العسكرية، بحيث كانت تتحول الى مستنقع مائي، لكنها كانت ماء نظيفا و رقراقا، بحيث امتلأت بالقصب و الحشيش و تجد فيها الطيور التي تصيد الاسماك والطيور المائية و هم في حالة طيران من خلال مناظر جميلة.

بعض الاحيان كنت اعتمد على استهداف و صيد هذه الطيور المائية و احاول من خلال الساتر و استعمال الكلاشينكوف لأجل اصطيادها.

رغم كل المحاولات، لكنني فشلت في تحقيق الهدف و اثبت فعلا بانني قناص فاشل، في حين ظهر بان العسكريين الآخرين نجحوا في تصويب الهدف و صيد العديد من الطيور المائية.

كان هناك عسكري باسم (طه) و من سكان احدى المناطق التابعة لمدينة اربيل و كان يمتاز بانه قناص ماهر جدا في الرماية، في احدى الامسيات و عندما كنا نحن الاثنين متواجدين في مكام المراقبة على الساتر الامامي في اطار حراستنا، قلت له: انني اسمع دائما بانك قناص ممتاز و لا تذهب اية طلاقة نارية هباء، لكني مع هذا، اريد التنافس معك و سنقوم بوضع احدى الطيور كهدف لنا، فاذا تم الاقتناص بطلقة واحدة، ساشتري لك كيلو من الحلويات اللذيذة من الحانوت.

عندما قلت العبارة الاخيرة وجدته فرحا و بدأ بالتهيئة و تصويب الهدف و هو واقف في مكانه، اخيرا استطاع اقتناص الهدف و المتمثل بطير سمين من خلال استعمال سلاح الكلاشنكوف.

بدأت بالتصفيق لبراعته وذكائه في الصيد و قلت له: ماشاالله لأنك اثبت بانك صياد نادر.

و نحن كنا منشغلين بالحديث، جاء مراسل امر الوحدة ركضا نحونا و قال يا (طه) الآمر يريد حضورك فورا مامه.

وجدت ملامح (طه) قد تغير بسبب الخوف و كأنه يتعرض الى عقوبة شديدة؟!

سألته قائلا: لماذا انت خائف الى هذه الدرجة؟

قال لي: ان آمر سريتنا الرائد جاسم الذي يعتبر عصبيا جدا و غير طبيعي عند ردة الفعل، يبدو انه قد شاهدنا من خلال المنظار العسكري و اصدر امر بحضوري امامه.

سألت مراسل الآمر قائلا: يا ترى ألا تعرف ما هو سبب استدعاءنا و حضورنا؟

قال: الآمر كان يراقبكم عند اطلاق النار، لكن الذي اعرفه بانه يريد حضور (طه) فقط؟

على اية حال، ذهب طه مع المراسل، ثم و بعد مضي فترة قليلة، و جدته يعود و هو يضحك و قال لي: الآمر وضع يده على كتفي و قال له الآمر: (الجندي طه يعتبر عسكري شجاع و قناص ماهر) تحدثا فيما بينهما كثيرا لكني لم افهم منهما أي شيء؟!

عندما انتهينا من واجبنا، جاء العريف كاظم سوادي و قال لنا: استطاع طه بالاعتماد على مهارته كقناص، ان يقتل الكثير من الجنود الايرانيين، لهذا عبر آمر الوحدة عن اعجابه الكبير به و ارسل اسمه الى آمر اللواء لكي يمنحه (نوط الشجاعة)؟!

كما قلت سابقا ان المكان الذي نتواجد فيه، يعتبر منطقة طبيعية جميلة، لكن و بسبب القناص الايراني لم نستطيع التوجه الى مكان تجمع الماء بسهولة، لكي نسبح و نشرب الماء، خصوصا و أن القناص الايراني كان قناصا ماهرا جدا، فلو ظهر رأس احد منا من خلف الساتر، كان من الممكن أن يصبح صيدا سهلا لهذا القناص، لكن مع هذا لم نهتم به في بعض الاحيان من خلال الاصرار على الصيد من خلال الساتر، لذلك اصبح عدد من جنودنا ضحية هذا القناص؟!

كان هناك مرقد و مزار لأمرأة مؤمنة شيعية و اسمها (العلوية فاطمة) لذلك كنا نجد الجنود الشيعة يتوجهون الى زيارتها اثناء وقت الفراغ، حيث كانوا يقومون بتنظيفها و اشعال البخور على مرقدها، و بسبب قدسية و مكانة هذه

المرأة لدى هؤلاء الشيعة، تجد هؤلاء العسكريين يحافظون على ممتلكات خادم هذا المرقد و لم يحاولوا التجاوزر عليها.

في بعض الايام و عند وجود مجال للحركة بحرية، كنت احاول انا ايضا التوجه الى هذا المرقد، كان هناك نسخة من القرآن الكريم على المرقد و قرأت عدة آيات، ثم وقبل ترك المكان كنت اقرأ سورة الفاتحة كهدية لروح هذه المرأة المقدسة.

في يوم من الايام و عند خروجي من باب المرقد، اطلقت دبابة ايرانية اطلاقتين من مدفع الدبابة الى المرقد و تحطمت قبتها، لكني تخلصت بقدرة قادر من هذه الحادثة؟! فلو بقيت داخله و لحظة واحدة فقط، لوجدوني شهيدا و تمزق جسدي.

كانت سيارة الاعاشة تأتي مرة واحدة في الاسبوع الواحد و هكذا بالنسبة الى سيارة تانكر الماء، لأجل توصيل الارزاق و الماء و الاغذية المعلبة، يتم تخصيص (جليكان ماء) لثلاثة اشخاص، فلو تم استعماله للأغتسال تجده لن يكفي ليومين، لهذا كنا مضطرين تخصيص الماء لأجل الطبخ و اعداد الشاي و الشرب.

لهذا اخيرا وجدت الحل و فكرت بحفر بئر ماء بالتعاون مع عثمان، لكي ننقذ انفسنا من قلة الماء المخصص لنا، كذلك استغلال هذه الفرصة للمبادرة بتحقيق المصالحة بين عثمان و باقي العسكرين في وحدتنا،لذلك التفت الى عثمان و قلت له: انت تعلم باننا لم نغتسل منذ فترة طويلة بسب قلة و ندرة الماء، اتمنى ان تشاركني في حفر بئر، لأجل توفير الماء و توصيله الى جميع منتسبي وحدتنا الذين ينتظرون مثل هذه المبادرة.

استحسن عثمان الفكرة التي طرحتها و بدأنا فورا بعملية الحفر بالقرب من الملجأ، حيث كنا نستغل اوقات الفراغ، لأجل الاستمرار بعملية الحفر، بعد مرور اسبوع واحد وصلنا الى الماء، ربطنا (دلو الماء) بالحبل و انزلناه الى اعماق بئر

الماء، اخرجنا كمية من الماء، لكن الماء كان مالحا قليلا، لهذا لم نتمكن الاستفادة منه لأجل الشرب، لذلك تم استعماله للأستحمام و غسل الملابس.

عندما وصل خير استخراج الماء الى جنود فصيلنا، لهذا توجهوا نحونا و طلبوا الماء للأغتسال و غسل الملابس، فقلت لهم: بانه تم حفر هذا البئر بجهود و تعاون عثمان، أي بدون وجوده بيننا لما استطعنا الحصول على هذا الماء ! !

عندما قلت هذه العبارة التي كان له التأثير الواضح على عثمان و رفعت من معنوياته الذي بادر الى بالقول: انني في خدمتكم جميعا، لقد شاركت في حفر هذا البئر لأجلكم، و بامكانكم التوجه الى هنا، اثناء الحاجة الى الماء، خذو الكمية التي تحتاجون بدون الاستئذان من احد؟ !

بهذه المبادرة تحسنت العلاقات بين عثمان و باقي زملائه، بذلك استطاع اخيرا اعادة العلاقات الطبيعية و الانسجام معهم.

عندما شاهد طاهر هذا المنظر، اندهش كثيرا و قال لي: أنا اعرف بانك كنت صاحب هذه الفكرة و المبادرة، فلولا وجودك معه، كان من المستحيل أن يشارك عثمان في هذا العمل، لقد قمت بعمل كبير و قدمت خدمة انسانية، بالتالي اعادت العلاقات بين الجنود و عثمان.

آمر سريتنا كان شخصا مضطربا و غير طبيعي في سلوكياته، كان يقوم بجمع المعلومات عن االتحركات و النوايا العسكرية لدي الجيش الايراني و يأخذ معه عشرين جنديا من سريته قبل غروب الشمس، لكي يذهب الى خلف الساتر الذي كان مزروعا بالالغام حتى الوصول الى قرب الساتر الايراني، فالجندي الذي لا ينفذ آوامره العسكرية المتشددة و المليئة بالمخاطر، كان يعتبره جبانا و خائفا ثم يزجه في السجن كعقوبة عسكرية.

في الكثير من الاحيان و قبل تنفيذ هذا الواجب، كان ينكشف امام القوات الايرانية ثم التعرض الى هجوم مدفعي و كافة الاسلحة، لا بل في بعض الاحيان

يجد نفسه وجها لوجه مع القوات القتالية الايرانية، لتكون النتيجة مقتل الكثير من جنوده و البعض الاخر يقعون كأسرى بيد القوات الايرانية.

لقد حاول هذا الضابط المضطرب عقليا اشغال افراد وحدته في الكمائن و الدوريات العسكرية و يتعامل مع هذه النشاطات العسكرية الخطرة و كأنه ذاهب الى في سفرة استجمام؟!

و لكي اتخلص من يد هذا الضابط المجنون، وجدت فكرة و قلت لصديقي طاهر: اذا قام هذا الآمر المعتوه بجمعنا لأجل تشكيل دورية قتالية، سنبادر قبل قيام الامر بعملية التجميع، سنبادر نحن نرفع ايدينا و ابداء استعدادنا للذهاب معه؟!

وجدت طاهر لم يستوعب فكرتي في البداية، لا بل مندهشا لمل يسمعه من من مقترح غريب و قال لي: نحن لدينا مشكلة مع الرائد جاسم الذي يقوم باخذنا قسرا ضمن دورية قتالية، في حين نجدك تقوم بتسهيل ما يقوم به، تريدنا أن نذهب معه طوعيا و بارادتنا الى الموت الحقيقي، لا بل نضع ارواحنا و حياتنا بيد هذا الضابط المغامر حقا؟!

فقلت له: ارجو أن لا تفهمني خطئا، انا لا اريد تعريضكم الى الموت أو أي مكروه، فهذا الضابط المعتوه لا يستمع الى أي حد، أي يعتبر نفسه صحيحا، لهذارو عندما يجدنا نبدي الاستعداد التام، بحيث نظهر انفسنا مجنونا مثله، انا اعتبره مجرد سيناريو، لكي نتمكن من التخلص منه و من دورياته و كمائنه.

طاهر سألني قائلا: انا لم افهم و استوعب خطتك بهذا الشأن و هل بامكانك توضيح ما تريده منا؟

اذا قام الضابط بتجميعنا في المرة القادمة لهذا الغرض، سنبادر أنا و انت، لكي نخرج حسب رغبتنا و سنقول له نحن نريد الذهاب معك، بالتأكيد سنجده فرحا بهذه المبادرة و يعبر عن تقديره لنا، و قبل عبورنا الى الحقول المزروعة بالالغام و الاقتراب من الساتر الايراني، احمل انت صندوق من الرمانات و انا

ساحمل صندوق من الاطلاقات النارية مع سلاحي، ومع عبورنا من الساتر و التوجه نحو الساتر الايراني سنبدأ بترديد الاغاني و القاء بعض الرمانات و تفجيرها وسط حقول الالغام، بينما ساقوم بتوجيه فوهة بندقيتي الى السماء و اطلاق مجموعة من الاطلاقات النارية بشكل عشوائي، فعندما يشاهدنا الضابط و نحن نقوم بهذه الممارسات الجنونية، سنجده غاضبا جدا علينا و ينسى نفسه بأنه كان المجنون الوحيد في هذه الوحدة العسكرية؟! لذلك سيتأكد باننا متهورين و لا نستطيع السيطرة على سلوكياتنا، اخيرا سوف يقرر من الآن فصاعدا باعفاءنا من مثل هذه الواجبات.

عندما وضحت هذه الفكرة، و جدت طاهر قد وقع في الضحك و قال لي: احسنت يا (ابو شوار) انها فكرة عبقرية، يبدو انك تريد أن تضع حدا لتصرفات و طموحات هذا الضابط و سيطرته، و يجب ان يعرف بأنه هناك مجنون آخر يشبهه؟!

فقلت له: ان رأيك صحيح و صائب، لأنه يبدو انه لا يريد أن يستمع الى منطق العقل، لهذا يجب التعامل معه بنفس المنطق و الاسلوب؟!

في اليوم التالي و عندما قام الآمر بتجميعنا لهذا الغرض، حيث كنا (انا و طاهر) قد اتفقنا على مخططنا و تنفيذه كما هو، و هكذا و كما توقعنا ارسل العريف لكي نحضر فورا امامه، وذلك بسبب ما قمنا به من فوضى قبل ان نصل الى داخل حقل الالغام، وجدنا الآمر غاضبا جدا و بدأ بشتمنا و قال لنا: أنا كنت اعتقد بانكم تمتلكون العقل و الوعي الوطني، لا بل كنت مسرورا بانكم تبادرون بالمجيء معنا حسب رغبتكم، لكني لم اعلم بانكم مجانين و تتصرفون باسلوب فوضوي، بالتالي تعريضنا الى القتل و خسائر كبيرة؟!

التفت الى آمر الفصيل وقال له: سجل عندك اسم هذان الجنديان و لا اريدهما معي اثناء الخروج في دورية قتالية القادمة؟!

بهذا الاسلوب الشيطاني تمكنا التخلص من هذا الضابط المعتوه و الدورية القتالية! !

بعد فترة قاموا بتحريك وحدتنا العسكرية و تم نقلنا الى شرق مدينة البصرة، في ذلك اليوم كنت مريضا جدا و صعد عندي درجة الحرارة، بحيث تغير ملامح وجهي من شدة الحرارة، اضطر طاهر الى حمل سلاحي مع سلاحه الشخصي و كنت امشي بصعوبة نحوالشاحنة العسكرية، لكن عندما شاهدني الآمر بهذا الوضع، ظهر عليه الغضب الشديد و شتمني، ثم سأل طاهر: لماذا تحمل سلاح هذا الجندي؟

قال له: هذا الجندي مريض منذ يومين و يعاني من حرارة عالية و لا يستطيع ان يحمل سلاحه.

الآمر قال: انه شجاع و يشبه الاسد، لذلك سلمه سلاحه الشخصي لكي يحمله بنفسه؟!

اخيرا كنت مجبرا على استلام السلاح من طاهر و حاولت باي شكل من الاشكال توصيل نفسي الى داخل الشاحنة.

عندما وصلنا الى المكان المخصص لسريتنا وجدته مكانا صحراويا و لا تجد فيه أي شيء، بدأنا بانزال المواد من الشاحنة العسكرية، جاء الآمر و قام بتحديد الاماكن على الارض بواسطة عود الخشب الذي كان يحمله و منها مكان الملاجيء و و مخزن الاسلحة و العتاد.

ثم قال لآمر الفصيل: وزع جنودك الى عدة مجموعات و يجب انهاء حفر و تحضير الملاجيء قبل حلول الليل و الظلام.

فالمجموعة التي تتأخر في انهاء واجباتها و اعمالها ستتعرض الى العقوبة الشديدة، من جهة اخرى كان هناك ممن يقوم باعمال المجهود الحربي مع الشفلات التي تقوم ببناء و تحضير السواتر الامامية بواسطة التراب.

عليه قام آمر الفصيل بتوزيعنا الى عدة فرق و سلمنا ادوات العمل و الحفر و قال لنا: انتم سمعتم آمر الوحدة و أوامره الصارمة، لذلك يجب ان تلتزموا و انهاء هذا العمل قبل غروب الشمس، لكي لا تتعرضوا الى العقوبة.

أنا و طاهر و عثمان و فاتح، اصبحنا مجموعة واحدة و قلنا لآمر الفصيل نحن الاربعة سنقوم باعداد و تحضير احدى الحفر.

انشغلنا بعملية الحفر حتى فترة الظهيرة و استطعنا الحفر بعمق نصف متر فقط، التفت الى اصدقائي و قلت لهم: اصدقائي، اذا لم نحاول أن نبذل جهدا اكبر، تأكدوا اننا لن نتمكن من انهاء عملنا قبل حلول الظلام.

قالوا: اذن ما الحل و ماذا علينا أن نفعل؟

قلت لهم: سأذهب الى سائق احدى هذه الشفلات و سأدعوه لكي يتناول معنا وجبة الظهيرة.

طاهر قال لي: يبدو انك تفكر بشيء ما؟

قلت له: عنما يأتي سائق الشفل لكي يتناول معنا الغذاء،،سنقوم نحن الاربعة بتقديم الخدمة له و سنقدم له افضل ما لدينا، لكن و قبل ان يغادر، سنطلب منه أن يرفع كمية من التراب من هذه الحفرة الصغيرة، من المؤكد و بسبب الاحساس بالاحراج محاصر و الخجل من الدعوة و خدمته، سنجده يستجيب لطلبنا و يساعدنا انهاءها قبل الموعد المحدد لنا.

عند الانتهاء سنشكره كثيرا و سنقول له: لقد قدمت لنا خدمة كبيرة و ساعدتنا، لأنه كان من الصعوبة علينا نحن الاربعة بحفر و تهيئة هذه الحفرة الكبيرة قبل غروب الشمس، فالمجموعة التي لا تنتهي من اعمالها، ستتعرض للعقوبة الشديدة، لذلك طلبنا الاخير هو تسوية و تعديل داخل الملجأ فقط.

اخيرا و قبل ان يأتي هذا السائق و معه الشفل، قلت لطاهر: يجب عليكم تهيئة الوجبة و المتمثل (البيض بالزيت) مع الشاي اللذيذ.

لقد استطاع هذا السائق و بمغضة عين تهيئة الحفرة التي عجزنا عنها نحن الاربعة، رغم عملنا طيلة ساعات النهار الطويلة ، و من جهتنا كنا نراقب باقي المجموعات و هم غارقون في العمل و التعب الشديد و العرق يسيل من اجسادهم، لقد عجزوا عن اكمال الحفرة و في افضل الاحوال تتمثل بانجاز نصف الحفرة فقط؟! لذلك كانوا في حيرة كبيرة، بالذات مع حضور الآمر في الوقت المحدد و لم يتم اكمال الواجبات الملقاة عليهم، في حين سيجدنا قد انهينا عملنا و جلسنا في ملجئنا المحفور و تهيئتها، عليه سيجدنا مضطجعين في اماكننا، لذلك ليس غريبا أن نجد آمر سريتنا و كأنه نسر غاضب و مفترس و هو يوجه الشتائم المخجلة و قال لنا: رغم انكم لم تستطيعوا اكمال ما مطلوب منكم لكني اجدكم مشغولين بالثرثرة و الحديث غير المفيد؟!

تدخلت أنا و قلت له: سيدي نحن اكملنا واجبنا و ننتظر آوامركم.

عندما انتهيت من حديثي،وجدت الآمر مندهشا و متحيرا و قال لنا: كيف تم انهاء هذا العمل، لا بل كيف تم تنظيمها بهذا الشكل الذي أشاهده اما عيني، بحيث جعلني أن اكون متأكدا بانها لا تشبه العمل اليدوي، يا ترى هل تم حفرها و الانتهاء منها بهذه السرعة عن طريق الشفل؟

قلت له: نعم سيدي، انك تقول الصواب، لقد جلبنا احدى الشفلات لكي يساعدنا في حفرها؟!

عندما قلت العبارة الاخيرة و اعترفت بما قمنا به، وجدت طاهر قد ارتبك و تغييرت ملامحه تماما، و ذلك خوفا من ردود فعل هذا الآمر المعتوه، لكننا وجدناه و هو يستعمل العود الذي كان بيده و قام بتحديد مكان جديد آخر لنا، لكي نحفره و قال لنا: هذا المكان الجديد يعتبر بمثابة عقوبة لكم و عليكم ان تعملوا بدون أي توقف؟!

جرحتُ نفسي؟!

بعد مضي عدة ايـام، قامـت وزارة الـدفاع العراقيـة بتثبيـت و جلـب قـوات كبيرة بالقرب من وحدتنا، كذلك وضعوا في مقدمة وحدتنا بعـض المـدافع الـتي تتميز بانها بعيدة المدى، كذلك كان هناك زيارات عديدة من قبل الفريق الركن عبدالجبار شنشـل رئـيس اركـان الجـيش العراقـي، حيـث قـام بزيـارة القـوات الموجـودة في هـذه المنطقـة و بالـذات تفتـيش السـواتر الاماميـة و كـذلك قـام بمراقبة القوات الايرانية بواسطة المنظار العسكري.

قامت الايرانيون برفع علم الجمهورية الاسلامية مقابل سواترنا و قواتنـا، في احدى الامسيات وجدناهم و هم يرددون الاناشـيد الوطنيـة الـذي اسـتمر حتـى اليوم التالي، استعملوا السماعات لهذا الغرض، وذلك لأجل استفزازنا و التأثير على معنويات القوات العراقية.

لقد ظهر لنا بانه لديهم نوايا القيام بهجوم واسع على القوات العراقيـة الـتي بادرت الى اخذ وضع الاستعدادت و التأهب، هذا الوضع لم يستمر كـثيرا، ففـي فجر احدى الايام و قبل حلول ضياء صباح ذلك اليوم، قامت القـوات الايرانيـة بهجوم كبير على القوات العراقيـة الموجـودة هنـاك، اسـتهدفوا فيهـا عـدد مـن

الدبابات العراقية و احراقها، لهذا وجدنا الطائرات العمودية العراقية هاجمت القوات الايرانية وذلك بشكل مكثف، لأجل عرقلة هذا الهجوم.

قامت القوات الايرانية بهذا الهجوم بالتنسيق مع قوات (الباسداران و فيلق بدر) لكن الظاهرة المثيرة بان قوات باسداران قد قامت بوضع عدد من الشبان الصغار و هم موشحين بالكفن الابيض المخصص عادة للموتى و هم يرددون شعار (الله اكبر خميني رهبر؟!) و يتجهون نحو سواترنا الدفاعية بدون أي تردد و تراجع؟

فلولا تواجد و مشاركة الطائرات العمودية السمتية و المدفعيات و الراجمات الروسية الفعالة، لكانت القوات الايرانية قد اقتربت كثيرا من القوات العراقية و انهاءها في تلك المنطقة، لكن مع ذلك كان لدينا خسائر بشرية كثيرة، اخيرا استطاع اللواء العاشر في الجيش العراقي الذي جاء لمساعدة قواتنا لصد الهجوم الايراني و قواتها و اجبارها على التراجع.

حاولت القوات الايرانية على خطة هجومية تعتمد على قوات بشرية كبيرة و تطوعية، لا بل مباغتت القوات العراقية و جعلها ترتبك و تصاب باحباط، و من الضحايا المؤثرة التي اثرت علينا، هي مأساة عريف فصيلنا كاظم سوادي الذي كان قد خطب حديثا و ينتظر لحظة منحه اجازة الزواج و التمتع بدخول القفص الذهبي مع حبيبته، اصبح مع عدد آخر من الجنود ضحايا هذا الهجوم الكبير و استشهد؟! لقد حزنت باستشهاد العريف كاظم كثيرا الذي كان من سكان مدينة بعقوبة و يتمتع بروح اجتماعية متفائلة، بحيث استطاع الانسجام مع الجميع، وقع في علاقة حب مع حبيبته اثناء الدراسة في الجامعة، ان استشهاده و اختفاءه عنا، كان له الأثر الكبير في اعماقي، لأنه كان يحاول زرع الاطمئنان في قلبي اثناء خروجنا الى الدوريات و الدوريات القتالية، كنا نضع الوصايا الشخصية و الاشياء الثمينة لديه كأمانة، لأننا كنا نثق به و نحبه كثيرا، حتى أنا الذي لم يمر سوى فترة قصيرة جدا على ولادة ابنتي التي كنت احبها كثيرا، لذلك لم احب أن أستشهد و اتركها لوحدها، لهذا قررت مع نفسي، محاولة ابعاد نفسي بكل وسيلة

من هذا الهجوم الواسع و الخروج سالما وحيا، بالذات من خلال فكرة صعبة و تحتاج خطة محكمة، و تتمثل في أن أقوم بجرح نفسي ، بالتالي انقاذ نفسي من هذا الحرب العبثي الذي لا يبدو له نهاية في الافق.

ففي احدى المرات وجدت احد العسكريين الذي كان معنا في جبهة القتال، و من شدة خوفه اراد أن يتبول على نفسه؟! لا بل هناك البعض اصبح حاله حال (القنفذ) الذي يتكور تماما، كأسلوب اختفاء و حماية لنفسه من الذين يحاولون يتصيدونه.

مع حلول الليل، كنا (انا و طاهر) في نوبة حراستنا الليلية، آمر الفصيل الذي كان يقوم بتفتيش الساتر الامامي، وصل الينا (انا و طاهر) و قال لنا كونوا على حذر شديد، لأنه وصلتنا اخبار استخباراتية بأنه من المحتمل أن تقوم القوات الايرانية بالهجوم علينا، فلو سمعتم صوت الاطلاقات النارية أو الاحساس بوجود حركة غير طبيعية من قبل قوات العدو، أنا ساعطيكم أمر اطلاق النار و القيام بالدفاع عن النفس.

لهذا، في الساعة العاشرة من الليل اقتربت دورية قتالية ايرانية من ساترنا الدفاعي، قامت قواتنا بتوجيه الاطلاقات النارية بانواعها و تحولت السماء و الارض و كأننا في يوم المحشر، أنا من ناحيتي وجدتها فرصة ذهبية و توجهت الى طاهر و قلت له بانني لن اتحمل اكثر، لأنني متأكد من ان هذا الحرب ليس نهاية و تحول الى مارد ضخم يلتهم كل من يصادفه، أي ان ضحايا هذا الحرب يزداد يوما بعد يوم و ليس له نهاية قريبة، لا بل قد يصبح مصيري مثل مصير العريف كاظم سوادي و باقي اصدقاءنا الذي استشهدوا و اختفوا، و قلت له: كما هو معروف بانك اقرب صديق الذي استطيع أن اعتمد عليه و اثق بك كثيرا، لذلك سأطلبب منك طلبا شخصيا صعبا و خطيرا؟

اجاب قائلا: باستثناء الشرف الذي لا يمكن التنازل عنه ابدا، ستجدني مستعدا لكل طلب ستطلبه مني و ساقوم بتنفيذه.

قلت له: ارجو اصابة يدي الأيسر بطلقة واحدة على بُعدْ مترين، بعد ذلك سأقوم بتنظيف فوهة البندقية من آثار هذه الطلقة التي تم اطلاقها، ثم ابتعد عني، اخيرا ساطلب مساعدتك باعتباري مصاب بطلقة نارية، لكن عليك قبل التوجه نحوي، أطلب من الجنود الآخرين أن يأتوا معك، لكي لا يشتبهوا بما حصل معي و يتأكدوا بانني اصيبت بطلقة من القوات الايرانية فعلا و بدون أي شك؟!

طاهر لم اتوقع ابدا أن تتطلب مني مثل هذا الطلب الغريب و اقوم باصابتك بطلقة نارية، كان من المفروض أن تتطلب مني حمايتك و المحافظة على حياتك؟

قلت له: اذا كنت تريد أن اعود سالما الى زوجتي و طفلتي الصغيرة، كذلك اذا كنت تريد أن لا يكون مصيري مثل مصير العريف كاظم سوادي و باقي اصدقائي الذين استشهدوا، تحقيق ما ساطلبه منك!!

المعروف عن شخصية طاهر، بأنه كان يؤمن بمسألة القدر و المصير المكتوب من خالقنا و بالذات عندما كنا نواجه المخاطر و الموت، كان يقوم بزرع الاطمئنان و التفاؤل في قلوبنا قائلا: (فالذي يحدث و يأتي من قدرة الله سبحانه و تعالى، تأكدوا بأنه سيحدث و لا مفر منه، أي اننا لا نستطيع تدارك و اعتراض هذا القدر حتى و لو كنت في البرج العاجي، لذلك قام بتذكيري بحدث ما قد حصل و كيف تخلصنا من الحدث الخطير وسط دهشة الجميع، قائلا: هل تتذكر عندما كنا نبحث عن الماء، لأجل الاغتسال و الاستحمام، كيف اخذنا القدر نحو منطقة خطيرة كانت مكانا لتدريب الطيارين الايرانيين، خصوصا و انها كانت منطقة مكشوفة و سهلية و مستوية و يمكن استهدافنا بسهولة؟

قلت له: ماذا تقصد؟

قال لي: يجب أن تعلم بانها كانت منطقة صحراوية و لا نعرف شيئا عن سرابية و خداعية الصحراء، فعندما كنا نراقب بواسطة المنظار العسكري، كنا نعتقد بانه فيها بحيرة ماء كبيرة، لهذا حاولنا معرفة حقيقة هذه المسألة، مع انها كانت عبارة كثبان رملية قد تجمعت، بحيث اصبحت امام عيننا و كانها

مستنقع مائي، لذلك و بعد مسيرة عدة ساعات لم نستطيع الوصول اليها، لا بل كنا نعتقد بان هذه البحيرة تبتعد عنا اكثر، لذلك حاولنا مواصلة السير؟! لكن اخيرا تأكدنا باننا نبحث عن سراب و خداع صحرواي فقط لا اكثر، بحيث وقفنا في مكاننا و رجعنا الى موقعنا العسكري بدون أمل الوصول الى المطنقة المائية التي نريدها، في حين كان الايرانيون قد رصدونا، فوجهوا نحونا عدة قذائف من صواريخ الراجيمات القاتلة، على اثرها وجدنا انفسنا وسط غبار كثيف من تراب الصحراء؟!

قطعت استرساله في الحديث و قلت له: اتذكر جيدا هذه الحادثة المأساوية، فلولا وضع يدي على اذني، لوجدت (طبلة اذني) قد تعرض الى التمزق، بسبب مدى قوة صوت انفجار صواريخ الراجيمات؟!

فقلت له: أنا لدي ايمان بمسألة القضاء و القدر، لكنني لا اريد أن اكون ضحية حرب عبثي و لا جدوى منه سوى قتل الابرياء و تحقيق مصالح الذين سيستفيدون من استمرار من مطحنة هذا الحرب الذي يطحن يوميا العشرات و المئات من الضحايا، خصوصا و أنه ليس هناك امل بايقافه و انتهائه قريبا و كيف سيكون مصيري انا و باقي الجنود من فصيلي، و يا ترى هل سأبقى حيا و مستمرا في الحياة؟ أم سأكون احدا الضحايا أو الوقوع في الأسر؟

رد طاهر قائلا: فلو كان ارادة الله سبحانه و تعالى قد حدد مصيرنا كما يشاء، لوجدونا مقتولين و انتهينا و لم نجد ممن سيستطيع ان ينقذنا من قدرنا المحتوم، لا بل حتى جثثنا كانت تضيع وسط هذه المنطقة الصحراوية القاحلة؟!

لكنه اخيرا اقتنع بما قلته حول مأساوية و مجهولية تاريخ انتهاء هذا الحرب الضروس، هذا بالاضافة الى ايماني بمسألة القضاء و القدر، بدأ بعملية تصويب فوهة كلاشنكوفي الشخصي، مع الطلقة الاولى اصاب يدي مباشرة، فخرجت الاطلاقة من الجهة الاخرى من يدي و هشمت عظام يدي؟!

لكن عندما اصابت الطلقة يدي مباشرة، احسست و كأن صخرة ضخمة قد وقعت على يدي، بعدها انتشر ألم كبير في يدي ثم احسست بانها قد اصبحت ثقيلة جدا و عاجزا عن حملها، الألم كان يزيد مع مرور الوقت، لكني حاولت السيطرة على نفسي حتى لحظة تأكدت فيها بأن طاهر قد ابتعد عني تماما، ثم بدأت أصرخ بصوت كبير قائلا: انقذوني، انني اصيبت بطلقة نارية؟!).

بدأ طاهر و بحسب الخطة التي وضعناها بطلب النجدة من باقي الجنود الموجودين هناك و انقاذي، اتجهوا الى آمر الفصيل لأجل اعلامه بالحادثة و جاء الجميع لأجل رؤية الاصابة، في حين أنا وضعت يدي على قلبي و اصرخ من شدة الألم؟!

عندما نظر آمر الفصيل الى صدري، بدأ يضحك و قال: يا (ابو شوارب) انا كنت اعتقد بانك شخصية شجاعة و جريئة، لكني وجدتك الى أي حد أنت خواف و ضعيف و شديد الفزع، تصور ان اصابتك في يدك و ليس في صدرك كما توقعت انت؟!

اخيرا اخذوني بواسطة سيارة جيب قيادة الى المستشفى العسكري في البصرة، هناك تم القيام بتداوي و علاج الجرح و ربطه بواسطة اللفاف.

مع لحظة التداوي جاءت لجنة تحقيقية، لأجل كشف و معاينة الجرح و سببه الحقيقي، احد الذين كان يرافق هذه اللجنة، اسمه (عبدالباسط محمد امين) حيث كان صديق مرحلة طفولتي و نسكن في نفس الحي.

بعد الانتهاء من التحقيق و الكشف، وجدتهم يتحدثون فيما بينهم بصوت منخفض، لكي لا نفهم ما نقوله و نقرره، و كان الحديث باللغة الانكليزية، في تلك اللحظة تدخل عبدالباسط و اضعا رأسه تحت اذان رئيس اللجنة قائلا له:(سيدي، ارجو مراعاة وضع هذا الجندي المسكينالذي اصيب باطلاق ناري ايراني، أنا اعرفه جيدا، لأنه صديق طفولتي و نسكن في منطقة واحدة).

بعد مضي عدة دقائق، التفت لي رئيس اللجنة و قال لي: ابني، لقد تعرضت الى طلقة نارية قناص ايراني من بعيد، لهذا وجدنا مكان الجرح كبيرا ، لكن نشكر الله على أن الطلقة لم تصيب منطقة حساسة و خطرة.

اخيرا و بعد الانتهاء من تداوي الجرح و ربطه بلفاف، سلموني مبلغ ستين دينارا باعتباره مكافئة هذه الاصابة مع منحي اجازة مرضية لمدة شهر واحد و قالوا: عندما تعود الى مدينة اربيل، عليك أن تقوم بزيارة المستشفى العسكري هناك، لكي يتم معالجة الاصابة و الشفاء الكامل، هناك سيتم تمديد الاجازات المرضية.

عندما خرجت من باب المستشفى، غمرني فرح كبير، بحيث لم استطيع السيطرة على سيري و حركة جسدي، لقد كنت جائعا جدا، خصوصا و انني لم اتناول أي شيء منذ مساء يوم أمس، لذلك حاولت العثور على أي مطعم قريب مني، اخيرا وصلت و طلبت وجبة من الرز و المرق، بعدها انطلقت الى الكراج العام و صعدت احدى حافلات خط بغداد،

بعد وصولي الى (كراج النهضة) توجهت الى (ساحة التحرير) من اجل التجوال في هذه المدينة التي كانت من اجمل مدن المنطقة عموما، وقع عيني على التلفون العمومي الذي جعلني على الاتصال بوالدي و قلت له: انني اصيبتُ في جبهة الحرب،لكن اصابتي خفيفة و تم اجراء التداوي و منحوني اجازة مرضية، اليوم سأصل الى مدينة اربيل، لذلك ارجو ايصال هذا الخبر لزوجتي و اخبروها بأن لا تقلق على اصابتي و وضعي الصحي، أنا الآن اتمتع بصحة جيدة.

عندما انتهيت من حديثي، سمعت والدي يضحك بصوت مسموع و قال لي: لا تقلق و سأقول لهم انك ستعود اليوم بانك في اتم الصحة و العافية، لكن كما يقول المثل (الخنزير لا يسقط برصاصة واحدة؟!).

بعد التجوال في شارع السعدون، توجهت الى شارع الرشيد و تجولت داخل (أورزدي باك) التي كانت تقع مقابل شارع سلطان علي، اقتنيت (دُمية جميلة

على شكل عروسة) لأبنتي الصغيرة، ثم عدت الى كراج النهضة و صعدت حافلة سياحية عائدا الى مدينة اربيل.

عندما وصلت و أنا في طريقي العودة الى بيتنا في حي (المفتي) صادفت منظرا تراجيديا مؤلما جدا، بعد ان تعرضت احدى البيوت الى قصف الطائرات الايرانية و تم تحطيمها تماما، بحيث شعرت بحزن كبير، لأنني كنت اعرف صاحب هذا البيت الذي كان مهندسا جميلا و انيقا و اسمه (سداد) و كان حديث الزواج و تزوج من احدى العوائل المعروفة في المنطقة.

مع وصولي الى البيت احتضنتني زوجتي بحرارة المشتاق لحبيبها الغائب و مجهول المصير بسبب وجوده في (مطحنة الحرب) التي كانت تطحن بدون أية رحمة الشباب الابرياء، ثم بدأت بالبكاء و هي تحت تأثيرات الفرح الشديد و قالت لي: شكرا للباري عز و جل، لأنك تمكنت من العودة الينا سالما و تتمتع بصحة جيدة، لكن تأكد بأنني سوف أمنعك من العودة مرة اخرى الى جبهة الموت، خصوصا و أن شقيقي قاسم موجود في الحرب و لا نعرف أي شيء عنه لحد الآن، هذا بالاضافة الى عائلته و اطفاله و خوفنا من أن يتحولوا الى يتامى و بدون معيل؟!

بدأت بالبكاء و قالت: بعد التحاقك بوحدتك مباشرة، وصلتنا اخبار مشؤومة حول حرب قاطع (البسيتين) المأساوية، و كان هناك اخبار مؤكدة حول مقتل جميع افراد وحدته تماما؟! أي بين التعرض الى القتل المحقق أو الوقوع في الأسر أو لا يعرف أي شيء عنه (مفقود)؟!

قلت لها: كيف تم التأكد من هذا الخبر و مَنْ يقول بأن هذا الخبر صحيح؟

قالت: توجه والدي مع والدك معا الى وزارة الدفاع العراقي في بغداد، هناك تأكدوا من هذه الاخبار المشؤومة ثم عادا الى اربيل.

حاولت التخفيف من افرازات هذا الخبر و طمئنتها و قلت لها: يجب أن نعيش و نعتمد على الأمل، فالمكتوب على الجبين الذي يعتمد على القضاء و

القدر و لا يجب عدم الاعتماد على الاخبار فقط، أنا لدي امل بأنه سيعود سالما مثلي الى عائلته.

قبل أن أجلس قلت: في طريق عودتي رأيت بيت المهندس سداد و هي مهدمة تماما، هل تعرفين شيئا عن هذه الحادثة المؤلمة؟

قالت: قبل اسبوع، جاءت طائرتان حربية ايرانية و هي تحلق فوق سماء مدينة اربيل، احداها قصفت برج الاتصالات و بيت مواطن بجانب البرج، بينما الأخرى قصفت هذا البيت و تهدمت تماما؟!

قلت لها: نشكر الله على سلامتكم.

قالت: صحيح اننا لم نتعرض الى مكروه، لكننا لم ننام خوفا من تكرار من مثل هذه الحادثة، تصور عندما يسمع الاطفال صوت صافرة الانذار تجدهم يعيشون لحظات الرعب الكبير ، لا بل كانت تصل الحالة لديهم أن يتبولوا لا ارادياً!

انشغلت عدة اشهر بمراجعة المستشفى العسكري، حيث كانوا يجددون لي الاجازة شهرا واحداً، خلال هذه الفترة وجدت طاهر هاربا من الخدمة العسكرية، تاركا وراءه جبهة الحرب الطاحنة، عندما قمت بزيارته في البيت وجدته مضطجعا على السرير بسبب كسر في يده و تم معالجتها و لفها بشكل محكم بواسطة اللفاف الطبي، زوجته كانت تقوم بخدمته و مساعدته، سألته قائلا: هل تعرضت انت ايضا الى نفس اصابتي؟

حاول التحدث بصوت منخفض واضعا فمه تحت اذني قائلا لي: (بعد ذهابك و عودتك في اجازة مرضية لم اتحمل و احسست بغربة كبيرة، بحيث لم استطع الصمود اكثر، مستغلا فرصة توجه سيارة الاعاشة الى البصرة و اقحمت نفسي فيها خلسة، ثم توجهت الى احدى مصانع الكاشي و طلبت منهم كمية من الاسمنت الابيض و قمت بصب يدي بنفسي ثم لفها بواسطة لفاف، بعد ذلك توجهت الى محطة القطار عائدا الى مدينة بغداد، من هناك اتصلت

بوالدي قائلا له: (انا في طريق عودتي الى مدينة اربيل، بسبب تعرضي الى حادثة سيارة، على اثرها اصيب يدي بكسر، لذلك منحوني اجازة مرضية).

عندما سمعت منه ما سرده لي، وجدت نفسي محاصرا بالضحك، قلت له: يبدو انك اكثر ذكاءً مني في مجال رسم و تطبيق السيناريو، لذلك يجب أن تعلم بان يدي تعرضت الى العجز، نتيجة الاطلاقة النارية، و من المؤكد بانها لن تعود طبيعية ابدا، و ذلك من اجل انقاذ نفسي من العسكرية و الموت في الجبهة، بالمقابل كانت عودتك بسلامة و بدون أي عجز في اليد؟! أي انك كنت اكثر ذكاء و اقل خسارة.

قال لي: أنا قمت برسم هذا السيناريو، من خلا صب يدي بالسمنت الابيض لفها باللفاف الطبي، خوفا من والدي و جيراننا في الحي، تصور لو عرفوا بانني هارب من الجيش، سيبادرون مباشرة باخبار الحكومة و تسليمي للجهات المختصة، سأحاول البقاء بهذه الحالة لكي اقوم بتأمين نفسي، لكني ساطلب منك الاجازة المرضية التي تحملها و سأقوم باستنساخ نسخة منها، بعدها سأحاول بترتيبها و كتابة اسمي عليها لأجل تقديمها للأقارب و الاشخاص الذين يشكون بي و هل ترى أنا هارب أم لا؟

في احد الايام و عندما كنت في المستشفى و انتظر الدكتور، لأجل الحصول على المعالجة ليدي المصاب، شاهدت عربانة حمل المرضى و هي تحمل شخصا مريضاً فَقَدَ ساقا و يدا في الحرب، عندما اقتربت منه، تعرفت عليه، انه (رشاد الكهربائي) تعرفت عليه عندما قام بتأسيس كهرباء بيتنا، لقد كان شخصا محتالا و مارس معنا اسلوب المحتال و المراوغة، بحيث ان زوجتي كانت تدعو من الله أن يأخذ منه حقنا نتيجة احتياله، لهذا لبي غريبا ان تكون نتيجته هذا المصير المأساوي و يتعرض الى العجز الذي سيمنعه من صعود سلم و هو يحمل مستلزمات العمل؟!

مع رؤيتي لهذا المنظر التراجيدي تذكرت دعاء زوجتي و وقعت في الضحك و قلت مع نفسي: (يبدو أن الله سبحانه و تعالي لا ينسى الحقوق و يرد الحقوق لأهلها و يعاقب الذين مارسوا الاحتيال و سرقوا الاخرين؟!).

على اية حال و بعد مرور عدة اشهر و الاستمتاع بالاجازة، هذا بالاضافة الى اخذ المعالجة الفيزياوية مع ممارسة بعض الحركات الرياضية، لأجل تحريك اصابعي و يدي التي كانت عاجزة عن الحركة، اخيرا عادت الى طبيعتها، بعد ذلك نظموا لي كتابا رسميا لكي اعود الى وحدتي العسكرية في جبهة الحرب و الاستمرار بالخدمة العسكرية.

أنا كنت قد قررت مع نفسي على أن لا أعود بحجة حاجتي الى المعالجة الطبية، لكن يجب اخفاء هذا السر عن الجميع، بقيت في البيت هاربا لفترة طويلة و بدون أن يعرف احد بأن فترة منحي الاجازات المرضية قد انتهت.

بعد ان وصلت الى قناعة تامة هذه المرة، بأن هذا الحرب العبثي سيستمر و سيبقى الشباب حطبا و وقودا لديمومة الحرب، لا بل أن ناره كان يستعر يوما بعد آخر، مع استمرار عودة جثث الضحايا الى جميع المدن و القصبات و المناطق، لكن الغريب بأن كل جثة و ضحية كانت تحمل قصة خاصة بها و هي داخل نعشها الخشبي و ملفوفة بالعلم العراقي، و قد عادت جثة منها الى بيت (مام احمد) الذي كان من سكان زقاقنا، لكن و بسبب تشويه الجثة تماما و ضياع ملامحه، لم يتم التأكد منه، مع هذا تم دفن الجثة مع اقامة مجلس الفاتحة له، بعد مرور فترة تم قراءة اسمه ضمن قائمة الاسرى، من راديو طهران مع اجراء مقابلة اذاعية معه؟!

كذلك هناك حادثة اخرى تخص احد ضحايا جيراننا الذي عادت جثته باعتباره شهيدا، اخيرا وجدنا زوجة الشهيد قد تزوجت من شقيق زوجها الشهيد؟!مع هذا جاءت المفاجئة المثيرة، عندما تم قراءة اسمه مع مجموعة من أسرى الحرب من

اذاعة ظهران ايضا و ثبت لهم، بان الجثة التي استلموها كانت تعود الى عائلة اخرى؟! و لم يتم التعرف على جثته بسبب فقدان اجزاء كبيرة من جسده.

بذلك فقدنا كل الأمل بتوقف هذا الحرب المدمر، لهذا ليس غريبا أن نجد هروب عدد كبير من الجنود من جبهات الحرب، لا بل هناك البعض منهم قد التحق بصفوف البيشمركة و هناك ممن قرر الهروب و السفر الى الخارج و البعض الاخر حاول البقاء و الاختفاء في البيت.

في هذه الفترة بالذات و عندما علمت الحكومة، بانه هناك الآلاف من الكورد قد هربوا من جبهات الحرب و البعض منهم التحقوا بالجهات و المنظمات التي تعارض الحكومة، بحيث اصبحت مجبرة على اصدار قرار خاص، بحسب هذا القرار يمكن للعسكريين الكورد الهاربين من جبهات الحرب أن يلتحقوا باقرب مدرسة قتال في مدنهم، أي يمكن تنسيبه الى وحدة عسكرية قريبة من المدن التي يسكنوا فيها، و ذلك بدلا من الالتحاق من وحدته السابقة التي كانت في جبهات الحرب.

لقد كان هذا القرار دافعا جيدا للعسكريين الكورد الهاربين، بالذات الذين التحقوا بتنظيمات قوات البيشمركة و المعارضة، كذلك الذين كانوا قد سجلوا اسماءهم ضمن الافواج الخفيفة (الجحوش).

التحقنا (انا و طاهر) بمدرسة قتال مدينة اربيل، كان لدي صديق باسم شيرزاد نانكلي، حيث كان احد منتسبي قلم الوحدة، سجلنا اسماءنا لديه، بعد الانتهاء من تسجيل الاسماء، وقفنا في صفوف منظمة، ثم بدأ السؤال عن الشهادات التي نحملها أو المهنة التي نجيدها، لكي يتم اختيار المكان الذي يتلائم مع الوحدة التي يتم تنسيبنا اليها.

انا التفت الى طاهر و قلت له: هنا لا يوجد احد ممن يسأل عن حقائق المعلومات، لذلك سنقول نحن من خريجي المعهد الطبي و قد مارسنا مهنتنا في احدى المراكز الطبية.

استحسن طاهر هذه الفكرة، لهذا سجلنا اسماءنا ضمن قائمة خريجي المعاون الطبي، لذلك ارسلونا بكتاب الى مستشفى اربيل العسكري، و عندما وصلنا الى هناك وجدنا صديقا آخر باسم (شمس الدين) الذي كان موظفا في تربية اربيل، بذلك يظهر هو الاخر قد تصرف مثلنا و سجل اسمه باعتباره موظفا طبيا، لذلك تم تنسيبه الى المستشفى.

كنا نذهب يوميا الى المستشفى، رئيس عرفاء (شمعون) الذي كان من سكان مدينة (عينكاوه) يقوم بتدريبنا يوميا في ساحة عرضات التدريب، ثم يتم توزيعنا على قاعات المستشفى، لأجل القيام باعمال الطبية مثل حقن الابر و اجراء التداوي الاولي لجرحى الحرب، رغم اننا كنا لا نفهم أي شيء عن هذه المهنة الصعبة، لذلك كنا مجبرين على كشف الحقيقة لدي رئيس عرفاء شمعون الذي اخذنا الى مدير المستشفى و كشف له حقيقة مهنتنا، مدير المستشفى كان الرائد جعفر قادر الذي كان من سكان مدينة اربيل و لديه صلة قرابة و معرفة مع والدي، قام بزجرنا و توبيخنا بشدة، لكن بدون توجيه أي عقوبة، اخيرا تم نقلنا الى فصيل العمل و الخدمات.

قضينا هناك عدة شهور، اخيرا قررت الحكومة انتداب الذين هربوا من الخدمة العسكرية و تم تنسيبهم الى وحدات اخرى قريبة من مدنهم، تسريحهم من الخدمة العسكرية، دفعت مبلغ خمسمائة دينار للحكومة كبدل للخدمة العسكرية، ثم عدت الى وظيفتي في الامانة العامة للبلديات و السياحة.

مع انني كنت قد تم تسريحي من الجيش، لكني كنت قلقا من ارسالي الى الجيش الشعبي، لذلك كنت اذهب الى الدوام اليومي الرسمي في ظل الخوف و القلق الكبير و أتوقع القاء القبض عَلَيَ و ارسالي مرة اخرى الى جبهات الحرب؟!

في احدى الامسيات و بينما كنت اتجول في السوق مع الفنان (ازاد خمه) و مع وصولنا الى قرب (مقهى قرداران) وقعنا في كمين نصبه رفيق حزبي، كانوا

يقومون بالقاء القبض على الناس ورواد السوق لأجل الجيش الشعبي، كانوا يتصفون بالصرامة و الضبط الشديد و لا يسمحون لأحد أن يفلت من كمينهم الصارم، لذلك كنا مجبرين على المرور وسط كمينهم، فعندما وقع عين الرفيق الحزبي على (ازاد خمه) الذي اشتبه به و اعتقد بأنه شخصية الفنان الكبير (ناصر حسن) لذلك احتضنه بقوة و قام بتقبيله، قائلا له: انا من المعجبين باعمالك الدرامية و الفنية، لقد كنت اتمنى لحظات اللقاء و التعرف بكم، لكن يبدو انني محظوظ في ظل هذا القاء السعيد؟!

لكن ازاد استطاع السيطرة على نفسه و قال له: انني مختفي بسبب قلة اعمالي الفنية.

الرفيق الحزبي اجابه قائلا: جنودنا يدافعون عن العراق في جبهات الحرب و انتم الفنانون تخدمون شعبكم و وطنكم في المجالات الفنية؟!

عندما انتهى هذا الرفيق من عبارته الاخيرة، سمح لنا بالمرور في ظل الاحترام الكبير، لكن و عندما ابتعدنا منهم، التفت الى ازاد خمه و قلت له: يبدو اننا كنا محظوظين جدا، عندما اعتبرك الفنان ناصر حسن، خصوصا في ظل لحيتك التي تشبه لحية الفنان ناصر حسن و الا كنا سنقع في كمينهم و ارسالنا الى جبهات الحرب.

استمرت هذه الظروف الاستثنائية كثيرا مع اصدار الكثير من القرارات الدولية الملزمة تجاه الدولتين المتحاربتين (العراقية و الايرانية) لأجل خلق الضغوطات الكبيرة عليهما، لكن دون جدوى، اخيرا قرر مجلس الامن الدولي اصدار قرار مهم باجماع الاصوات و المتمثل بالقرار المرقم ٥٩٨ بتاريخ ٢٠/٧/ ١٩٨٧ اخيرا و بتاريخ ١٩٨٨/٨/٨ تمت الموافقة عليها و ايقاف مأساة الحرب الطاحنة التي استمرت ثمان سنوات، وذلك بعد موافقة اية الله الخميني و تم قراءة و نشر القرار من خلال اذاعة طهران قائلا: (كنت اتمنى أن اجرع السم بدلا من قرار وقف الحرب).

من جهة اخرى وجدنا المذيع المعروف رشدي عبدالصاحب يقرأ البيان العام للقوات المسلحة العراقية التي كانت تتعلق بايقاف الحرب قائلا: (ايها المواطنون هذا بيان البيانات صادر عن القيادة العامة للقوات المسلحة، بسم الله الرحمن الرحيم، ايها الشعب العراقي العظيم، يا ابناء امتنا العربية المجيدة، يا ايها الرجال النشامة في قواتنا المسلحة الباسلة، انه يومكم اليوم، انه يوم الايام، و هو في ذات الوقت بيان كل البيانات ، في هذا اليوم صدر اعلان وقف اطلاق النار، و قد تم تحديد يوم وقف الرسمي لاطلاق النار في العشرين من آب عام ١٩٨٨، بعد موافقة الجانب الايراني على وقف القتال التي استمرت ثمانية سنوات، قاوم فيها الشعب العراقي و قواته المسلحة الباسلة فوى البغي و العدوان بكل ما تجمع لديها من امكانات فنية و من خبرة في الدجل و الشعوذة، في اطار تعبئة الشر و استنفار الحقد، و ينتهي هذا البيان بالعبارات التالية (الله اكبر، الله اكبر و الحمدالله على نصره المبين و ليخسأ الخاسئون، القيادة العامة للقوات المسلحة، بغداد في الثامن من آب عام ١٩٨٨ ميلادي الموافق الخامس و العشرين ذي الحجة عام الف و اربع مئة و ثمانية هجرية).

اصبحت عسكريا مرة اخرى في جبال قنديل؟!

في الفترة التي تم فيها تسريحي من الجيش بعد دفع مبلغ البدل، عدت الى ممارسة عملي الوظيفي الرسمي، فوجدت بانهم و خلال فترة وجودي في الخدمة العسكرية، تم تعيين شابة قد تخرجت حديثا من كلية الادارة و الاقتصاد في مكاني، لكن و مع انني كنت اكثر خبرة و ممارسة منها، و بسبب شهادتها العالية، جعلوني أن اعمل تحت ادارتها، و هذا الانقلاب الاداري المؤثر وضعني تحت تأثيرات و ضغوطات نفسية كبيرة، بحيث قررت العودة الى الدراسة في المدرسة المسائية و عاهدت نفسي على ان اكمل دراستي و الحصول على الشهادة العالية، مدير المدرسة كان اسمه هشام و من سكان مدينة الموصل، بعد ان اخذت وثيقتي المدرسية الى اعدادية اربيل المسائية، معاون المدير كان الاستاذ فؤاد ذنون حميد، حيث كان يتصف بانه شخصية تربوية و بسيطة و وطنية نزيهة، عندما شاهدني شجعني كثيرا و قال لي) ان قرار العودة الى الدراسة يعتبر قرارا صائبا و انا متأكد بانك ستحقق النجاح).

بهذا واصلت الدراسة و وجدت جميع الاساتذة يحبونني و يقدمون المساعدات لي، مدرس مادة اللغة الانكليزية الاستاذ عمر كويي اعطاني ملزمة الخاصة باللغة الانكليزية قائلا لي (وضعت هذه الملزمة لطلاب الدراسة

الخاصة، ستجد فيها الكثير من المعلومات الدقيقة و التسهيلات، فاذا قمت بالتركيز عليها، انا اتعهد بانك ستحقق النجاح الذي تهدف اليه) كذلك الاستاذ فائق الذي كان يدرسنا مادة الاقتصاد و يشجعني ايضا، بحيث لو احس بانني غائب عن الدوام في المدرسة، كان يرسل احد الطلاب باسم (مغديد) لكي يعرف سبب الغياب ثم يدفعني الى مواصلة الدراسة و عدم تركها).

بهذا استطعت تحقيق النجاح مع درجات جيدة و تم قبولي في كلية القانون/ جامعة صلاح الدين، حصلت على اجازة الدراسة مع صرف كامل راتبي الذي استحقه، بعد تخرجي من الكلية عام ١٩٨٩، عدت الى دائرتي الرسمية، طلبت احالتي على التقاعد، لكي اتفرغ لعمل المحاماة.

بتاريخ ٢/٨/ ١٩٩٠ قامت القوات العراقي احتلال الكويت خلال ساعتين فقط، بعد أن اصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة العراقية بيانا و تم قراءته من قبل المذيع رشدي عبد الصاحب من خلال التلفزيون العراقي و جاء فيها ما يلي (يا ابناء الكويت الاعزاء، لقد بلغ السيل الزبى و لم يبقى شعبنا قادرا على تحمل هذه الدرجة من البغي و الفساد و النظام المرتبط بالدوائر الاستعمارية و الصهيونية، لذلك قررنا و بعد الاتكال على الله و على ارادة الشعب الحرة و ممثليه الخيريين، تسلم زمام المسؤولية و الاطاحة بالنظام المستبد الفاسد العميل).

بعد احتلال الكويت من قبل القوات العراقية، لجأت الحكومة و وزارة الدفاع العراقية الى استدعاء المواليد من الجنود الاحتياط الى الالتحاق بالخدمة العسكرية، و من ضمنهم مواليدي أنا، لكن في هذه المرة وقف الحظ معي و تم نقلي الى وحدة عسكرية تقع في جبل قنديل، تم تدريبنا في مدرسة قتال السليمانية لفترة معينة، ثم وضعوني في القلم، لكن و قبل ان تثبيت نفسي وقعت في خلاف مع عريف القلم، بعد ان قدم الشكوى ضدي عند الآمر الذي كان يدعمه، لذلك قال لي: عليك أن تختار بين الحلاقة بدرجة الصفر أو النقل الى جبل قنديل؟

انا قمت باختيار النقل الى قنديل بدلا من البقاء تحت سيطرة و خلافات هذا العريف المشاكس، لكني كنت اعتقد بان الآمر ليس جديا في هذه العقوبة و الاختيار، لذلك وجدت الآمر يكرر لي ما حدده لي من عقوبة، قلت له: سيدي اختار النقل؟!

اخيرا تم نقلي الى الفوج السادس/ حماية و حراسة النفط في جبل قنديل، ذهبت الى مكان يسمى (لوفات كورتك) في وادي شهيدان.

عندما وصلت مع المنقولين الى هناك، نزلنا في مقر الفوج، سألونا: مَنْ منكم خريج؟

أنا و عسكري آخر اسمه (قارمان) رفعنا يدينا و قلنا نحن خريجان و اكملنا الدراسة الجامعية.

لذلك تم نقلنا الى (قلم السرية الخامسة) التي كانت بمثابة ضيف على اللواء السابع، عندما بدأنا الصعود الى (لوفات كورتك) احسسنا بتعب شديد، لأنه كان طريقا صعبا جدا، لذلك بدأت اشعر بندم شديد بسبب اختياري هذا النقل عند العقوبة و قلت مع نفسي: (كان يجب عَلَيَ اختيار عقوبة حلاقة بدرجة الصفر لا بل حتى أن أقبل حلاقة شاربي ايضا بدلا من من هذا النقل المزعج جدا، في ظل مكان صعب و معقد؟!).

في تلك الفترة كانت الحكومة تقوم بنقل سكان قرى منطقة قنديل الى مكان آخر، لذلك تحولت هذه المنطقة الى مكان يستقر فيه معسكر حزب الديمقراطي الايراني و الجيش العراقي فقط، أي كانت منطقة خالية من السكان المدنيين، عندما ذهبنا الى هناك كانت المنطقة شهدت قبل فترة وجيزة خروج آخر وجبة من السكان المدنيين من هذه المنطقة، لذلك وجدناهم لم يستطيعوا القيام بعملية حصاد محاصليهم الزراعية من الحبوب (الحنطة و الشعير) بحيث تم افراغ المناطق (سنكه سر و سكتان و كوبتان) من سكانها الاصليين.؟!

كان معنا احد الجنود الكورد و اسمه (وسمان) لقد تم تثبيتي مع هذا الجندي في مقر السرية، آمر سريتنا الذي كان اسمه (لفتة) يقوم بالاشراف على

تدريبنا اليومي لمدة ساعتين، بعد ذلك كنا ننشغل باعمال و اجبات القلم حتى منتصف الليل، ان تنفيذ واجباتنا كانت صعبة جدا، بسبب عدم امتلاكنا أية معلومات حول هذه المنطقة المعقدة جغرافيا و مناخيا.

كان هناك مجموعة من البلوك الثقيل موجودة امام غرفة القلم، لذلك وجدنا آمر الفصيل يأمرنا بنقل البلوك الى مكان آخر؟

قلت له: سيدي أنا اعمل في القلم و لن أقوم بعملية نقل هذه المجموعة من البلوك؟!

لذلك وقعت في نقاش حاد مع آمر الفصيل حول هذه البلوكات اللعينة، خصوصا بعد أن أبديتُ اصراري و عدم المشاركة بنقلها؟!لكني وجدت آمر الفصيل يبدي المرونة و عدم الضغط عَلَيَ كثيرا، بالذات بعد أن وجد عندي الاصرار على عدم التنفيذ و قال لي: أنا سأسامحك هذه المرة فقط، لكني أنصحك على عدم تكرار مثل هذه التصرفات المخالفة للواجبات و الاتظمة العسكرية الصارمة، لذلك يجب عليك أن تكون جنديا جيدا و الا سأكون مجبرا على تقديمك للسيد الآمر و سأقول له: ان يقوم بنقلك الى مكان آخر اكثر صعوبة.

لكني أجبته قائلا: أنا لن اشارك بعملية نقل هذه البلوكات و لن ارضخ لمثل هذه الآومر و مستعد لأية عقوبة ستوجها لي؟!

عندما سمع مني هذا الكلام المؤثر لمكانته باعتباره آمرا للفصيل، وجدته غاضبا جدا و اخذني معه الى آمر السرية و قال له: سيدي، هذا الجندي لا ينفذ الآوامر العسكرية.

التفت آمر السرية لي و قال: لماذا لا تنفذ أوامر آمر الفصيل؟

أجبته قائلا: ان آمر الفصيل يحاول الاحتكاك بي بدون أية مبررات، انه يريد الاساءة لي و ازعاجي بكل الوسائل، وصل الأمر الى أن يطلب مني نقل البلوك، مع أن مكانها ليس سيئا و طبيعي جدا.

في لحظات وجودي أنا و آمر الفصيل لدى آمر السرية، وجدت جنديا ساذجا و ابلها موجودا ايضا عند السيد الآمر، و اسمه (علي ره ش) كان من سكان مدينة مخمور و لا يجيد اللغة العربية بصورة جيدة، وجدته يدافع عني بلغته العربية السيئة و غير المفهومة بشكل كامل و يطلب من آمر السرية أن يسامحني؟!

لكني وجدت آمر السرية قويا و مفاجئا، فبدلا من أن يستمع الى حديث هذا الجندي و جه لي (صفعة قوية جدا)؟! هذا بالاضافة الى توجيه عدد من الشتائم المخجلة، ثم اعطى الآوامر بحضور حلاق السرية (قاسم زينل) فورا امام السيد الآمر،حيث قام بحلاقة رأس علي رشيد بدرجة الصفر.

لقد كان (علي ره ش) اكبر عمرا مني، فعندما تم حلاقته رأسه بدرجة الصفر، وجدته يلتفت لي و قال: طيلة سنوات خدمتي العسكرية لم اتعرض لعقوبة أو كلام سيء من قبل هذا الآمر، لكني وجدته هذه المرة يوجه لي الشتائم مع العقوبة الشديدة بسببك؟!

قلت للسيد الآمر: سيدي، ان هذا الجندي يوجه اللوم لي، لأنه تعرض الى هذه العقوبة الشديدة بسببي أنا، يبدو لي بأنه يقول الحقيقة و لا يتحمل أي ذنب، لقد كان من المفروض توجيه هذه العقوبة لي، باعتباري أنا المذنب الحقيقي.

عندما انتهيت من حديثي مباشرة، أعطى الآوامر للحلاق قائلا: قم بحلاقة هذا الجندي ايضا بدرجة الصفر؟!

زينل اقترب مني، لكي يقوم بحلاقتي حسب أوامر السيد الآمر، مسكت يده بقوة و قلت له: لا أجد رجلا يستطيع أن يقوم بحلاقتي، فلو قمت بتنفيذ أوامر الآمر و حلاقة رأسي بدرجة الصفر، تأكد بأنني سأقتلك؟!

التفت قاسم الى الآمر و قال له: سيدي، أنا لا استطيع حلاقة رأس هذا الجندي بدرجة صفر! !

من جهة اخرى وجدت السيد الآمر يلتفت لي و قال: اذن يجب عليك ان تقوم بنفسك بحلاقة رأسه ؟!

فقلت له: نعم سيدي أنا مستعد

لذلك استلمت ماكينة الحلاقة من قاسم زينل و بدأت بحلاقة رأس قاسم بدرجة صفر! !

التفت السيد الآمر لي و قال: لكن و بسبب عدم تنفيذ الأوامر العسكرية التي صدرت من قبل آمر الفصيل، اذن أسألك: يا ترى الى اين ترغب التنقل اليه؟

قلت له: اريد التنقل الى أبعد مكان من هذه المنطقة؟

التفت السيد الآمر الى آمر فصيل و قال له: الآن و على الفور يجب أن تقوم بنقل علي رش و هذا الجندي معا الى الى ابعد (ربية عسكرية) لا اريد أن أراهما بعد الآن؟!

آمر فصيل أخذنا (أنا و علي رش) معه و خرجنا من غرفة الآمر ثم التفت لي و قال لي: لو قمت بتنفيذ الاوامر العسكرية لما وصلت الحالة الى هذا الحد، فبدلا من ارسالك الى ابعد منطقة، كان يجب عليك تنفيذ الواجبات بدون مناقشة؟

قلت له: كلا، انني كنت ارغب بهذه العقوبة و نقلي، لكي اتخلص منك؟!

اخيرا تم نقلنا (أنا و علي رش) الى (ربية عسكرية) تقع على قمة جبل شاهقة و عالية جدا، تسمى (وادي الوطن).

سلمونا بغلا هزيلا، لكي نستعمله من اجل جلب و نقل الماء و الارزاق و كافة المستلزمات التي نحتاجها الى (الربية العسكرية) ثم قالوا لي: يجب عليك أن تمسك عنان البغل جيدا و اسحبه، اخيرا ستجده يتابع سيره بسلاسة، هذا البغل كان يحب الحشيش الطري كثيرا، فلو صادف في الطريق مجموعة من الحشيش في أي مكان، تجده واقفا في مكانه لا يتحرك ابدا و يخفض رأسه نحو الحشيش الطري اللذيذ بالنسبة له، أي لا يسير بدون قضم هذا الحشيش و يلوكه، لهذا كنت اخاف من ركوب هذا البغل الغريب، لأنه في حال انحناءه سيوقعني على الارض! !

لم يبقى أمامنا نحن الاثنين (أنا و علي رش) سوى الخضوع للآوامر و سحب البغل وراءنا و التوجه نحو الربية العسكرية في اعالي قمة الجبال، اذ كما قلت سابقا، بان الربية كانت تقع في قمة الجبل عالية جدا و من الصعوبة الصعود اليها، لذلك بذلنا جهدا كبيرا و تعبنا حتى وصولنا الى مكاننا المحدد.

كنا يوميا ننقل المستلزمات و الارزاق و الماء من مقر السرية ثم الصعود الى قمة الجبل، لا بل في بعض كنا ننقل ايضا العتاد و السلاح ايضا بواسطة هذا البغل المسكين! !

اخيرا احسست بجزع و الاستياء و التذمرمن هذه الربية العسكرية اللعينة، هذا بالاضافة الى التعب اليومي و تحمل كمائن و هجوم قوات البيشمركة علينا خلال اغلب الليالي، احسست بانهم من منطقة بادينان، لأنهم كانوا يجدون الصعوبة لأجل فهم اللهجة السورانية، لهذا كنا نلجأ الى اللغة العربية لكي نقول لهم (نحن ايضا مثلكم من القومية الكردية و ارجو عدم شن الهجوم و اطلاق النار علينا).

لهذا وجدناهم لا يطلقون النار علينا و يسيرون في طريقهم بامان، لذلك كنا نقوم بتطبيق واجباتنا الليلية بدون أي خوف، بعض الاحيان كنت اجد علي رش خارجا من الربية لكي يصرخ باعلى صوته مستعملا اللغة العربية و يتلفظ المفردات العربية بشكل سيء قائلا (بيشمركة، يا بيشمركة، تعال اخذ اثنين كردي و ثلاث عرب و روح؟!)

العسكريون العرب كانوا يصدقون بان البيشمركة ستهاجم ربيتنا العسكرية، لهذا كنا مجبرين على كشف مواقعنا الامامية و الخلفية، ثم ننام بامان.

بقيت هناك لمدة شهر واحد، ففي احد الايام و عندما كنت نازلا من قمة الجبل، قررت الذهاب الى آمر السرية حاملا سلاحي من نوع (آر بي كي) نزعته عن كتفي و وضعته على ميزه و قلت له: سيدي، هذا سلاحي و تركت الهاون داخل الربية، انني اشعر بانزعاج و تذمر، بحيث تعبت كثيرا و اصبحت لا اطيق الاستمرار بالقيام بواجباتي في قمة الجبل، خصوصا مع نقل الماء و

الارزاق يوميا بواسطة هذا البغل الهزيل، ثم نقوم ليليا بتنفيذ الواجبات الليلية حتى الصباح، لهذا قررت الذهاب نهائيا لأنني لا اتحمل ابدا الحياة العسكرية في قمم الجبال و مخاطرها الليلية؟!

الآمر قال لي: الى اين تذهب يا ترى؟

قلت له: الى البيت

عندما سمع الآمر العبارة الاخيرة شعر بغضب شديد و قال لي (ليش اني آمر لو تمر هنا، ولك انجب، ليش هي بكيفك انت؟!).

لكن عربيتي كانت ضعيفة ايضا، فقلت له: توش جب؟!

عندما سمع العبارة الاخيرة، هَز رأسه و قال لي: اذا حاولت التطاول و التجاوز اكثر، بالتأكيد سأرسلك الى الربايا الموجودة داخل المعارضة الايرانية (كان يقصد جماعة عبدالرحمن قاسملوا).

قلت له: بامكانك ارسالي الى أي مكان باستثناء مكاني الحالي على قمم الجبال الذي لن اتحمله بعد الآن ابدا؟!

اخيرا قرر ارسالي الى الربايا الموجودة بالقرب من مواقع حزب الديمقراطي الايراني في منطقة (كونه كوتره و ئيلزه).

عدتُ الى ربيتنا التي كانت على قمة جبل (كورتك) قمت بلف غطائي و مستلزماتي الشخصية و وضعتها على ظهر البغل و بدأت النزول الى الوادي في الاسفل ثم الذهاب الى المكان الذي تم نقلي اليه، عندما وصلت الى هناك، توجهت الى داخل مواقع و معسكر حزب الديمقراطي الايراني، حيث كان لديهم (محل صغير لبيع بعض المواد) اشتريت من هناك بعض الحلويات و الاغذية ثم رجعت عائدا، و في طريق عودتي و عندما اقتربت من ربيتي الجديدة، وجدت آمر سريتنا واقفا امام الربية، مع اقترابي منه سألني: اين كنت؟

قلت له: ذهبت الى دكان موجود داخل معسكر الحزب الديمقراطي و اشتريت بعض الاشياء الضرورية من هناك.

قال لي: كيف تذهب الى جماعة للمعارضة؟

كان معي عسكري و اسمه عثمان الذي رافقني بناء على دعوة مني الى هذا الدكان، حيث قال له: سيدي، أنا رافقته الى هناك.

آمر السرية قال: أنا لن اعاقبكم هذه المرة، لكن يجب عليكما أن تذهبا ركضا الى اعلى هذه التلة ثم العودة بسرعة الى هنا.

أنا تدخلت قائلا: سيدي، أنا لا استطيع العودة و النزول من على التلة ركضا؟

قال لي و الابتسامة ترتسم على وجه: نعم تستطيع.

بدأنا (أنا و عثمان) بالركض نحو اعلى التلة، ثم عدنا زحفا على مؤخرتي الى الاسفل و توجهنا الى مكاننا.

مجموع الذين كانوا يتواجدون في هذه الربية الواسعة تسعة اشخاص، وضعنا (بي كه ي سي) على حافة الربية مع (هاون ستون ملم) و (الآر بي كي و القاذفة مع عدد من اسلحة الكلاشنكوف، آمر ربيتنا كان النائب ضابط عبد الجبوري من سكان مدينة الموصل.

كنا نمتلك تلفون خاص داخل الربية و كان يعمل بالهندر، ففي احد الايام دق جرس التلفون، رفعته و سمعت المتكلم يقول: (ثلاثة عشر.. ثلاثة عشر، فاجبته قائلا (نعم)

قال لي: (هناك سيارة تتجه بصورة مخالفة الى موقعكم العسكري... اذهبوا و اعتقلوه).

وضعت الكلاشينكوف على متني و بدأت بالنزول من اعلى الجبل الى الاسفل، فوجدت سيارة جيب واقفة و نزل منها رجل ما برفقة رجلين آخرين، يرتدون الملابس الكوردية المعروف في اوساطنا الكردية و لم اعرف بانهم مجرد رجال من الجحوش.

كنت اعتقد بان الذي يرافقهم هو كردي، لهذا قلت له: ارجو أن ترجع الى الوراء و عدم الوقوف هنا، لأن هذه المنطقة تعتبر عسكرية و ممنوعة، أي ان التحرك سيرا ممنوع هنا.

اجابني قائلا: ابني أنا احد ضباط الاستخبارات العسكرية و جئت الى هنا، ضمن واجب عسكري، لأنه يوجود هنا دورية عسكرية خاصة بنا.

فقلت له: أنا احترم كلامك و توضيحاتك، لكني اقول لك ارجع الى المكان الذي جئت منه و الا سيكون لي تصرف آخر معكم.

اجابني باللغة العربية و كرر نفس الكلام.

انا كنت اعتقد بانه كوردي لكنه يتقصد التحدث بالعربية لكي يخدعني.

سحبت اقسام كلاشينكوفي و وجهت فوهته اليه و قلت له: اذا لم تغادر هذا المكان فورا و عدم العودة الى الوراء، سوف تجدني افرغ مخزن كامل من الرصاص في جسدك.

عندما سمع مني هذا الكلام الجدي، اصبح مجبرا على اخراج هويته من جيب قميصه و قال لي: أنا عميد استخبارات

قلت له: انا لا اعترف بهذه الهوية، لذا عليك ان تتراجع الى الوراء

بعد ان شاهدت هويته، قلت مع نفسي (يبدو انني كنت مخطئا عندما اعتقدت بان هذا الشخص الذي يرافقهم هو كوردي و من الجحوش، لكن يبدو ان هؤلاء من البيشمركة و تم القبض عليهم، التفت اليهم و قلت لهم: اذا كنتم بيشمركة و تم القاء القبض عليكم، يمكنكم انقاذ انفسكم و تهربوا بسرعة من هنا، انا لن اطلق عليكم الرصاص.

عندما قلت هذه العبارة الاخيرة، وجدتهم في صمت تام و لم يتحدثوا.

عندما علم عميد الاستخبارات بانني لن اسمح لهم بالتحرك، وجدته يقول بغضب، نحن سنعود الى الوراء، لكن يجب ان تعرف بانك ستتعرض الى عقوبة شديدة و سأحرقك؟!

قلت له: افعل ما تشاء، يجب ان تعلم بأنه جاءتني الآوامر بعدم السماح لك بالمرور من هنا، صعدوا سيارة الجيب و عادوا الى الوراء، بعد ذهابهم، عدت انا ايضا الى مكاني.

بعد مرور فترة قصيرة اتصلوا بي تلفونيا، رفعته و وجدت آمر الفوج على الخط و قال لي: هذا الشخص هو ضابط استخبارات عسكري، لماذا لم تسمح له بالمرور؟

ثم قال لي بغضب: انت تصرفت بشكل خاطيء و مخالف للقانون، لأنه جاء ضمن واجب مهم جدا الى هذه المنطقة، يبدو انك قد قمت بافشال خططته العسكرية و خربت عليه عمله الذي جاء من اجله، الآن الوقت متأخر، لكن يجب عليك ان تنزل مع الصباح و توجه الى مقر الفوج.

اخيرا و مع الصباح ذهبت الى مقر الفوج، لأجل مقابلة امر الفوج العقيد سليم طارق، قدمت نفسي له باعتباري جندى ضمن السرية الخامسة.

سألني: انت من سكان اية منطقة؟

قلت له: انا كوردي و من سكان مدينة اربيل.

قال: قل انا مخرب؟!

قلت له: هذه العبارة خطيرة و أنا حاليا امامك كعسكري نظامي، أي لست مخربا؟

قال لي: اذن لماذا لم تسمح لهذا الضابط بالصعود الى الجبل و يمر من هناك، مع انه قد اخرج هويته الشخصية لك و اكد بانه عميد في الاستخبارات العسكرية؟!

قلت له: انا لم انزل بارادتي، بل تم الاتصال بي من قبل مقر السرية و قالوا لي: (هناك سيارة في الاسفل اذهب فورا لكي تقطع عليه الطريق و امنعه من المرور) انا لم اتصرف بحسب رغبتي بل نفذت اوامركم!!

لقد هددني، و قال لي بغضب: عندما اعود الى مكاني، ساحرقك مع آمر السرية و آمر الفوج.

انا قلت له: (يمكنك أن تحرقني أنا فقط، لكن رجاء اعفوا عن آمر السرية و آمر فوجي، و كيف ستقوم بحرق شخصيات هامة مثلهم و نحن بحاجة ماسة لهم؟!).

عندما سمع مني هذا الكلام، وجدته يتجه نحو الهدوء و السكينة ثم قال لي و هو يضحك: (فاذا كان فعلا قد قام بتهديدك شخصيا، اقول لك ليحميك الله بقدرته الواسعة، يبدو لي بانك حقا انسان شجاع، لذلك عليك العودة الى مكانك في موقعك العسكري).

اخيرا، يبدو ان الله سبحانه و تعالي قد اشفق بحالي و انقذني من العقوبة الشديدة؟!

كان الجيش العراقي قد قام باحتلال الكويت قبل عدة اشهر، لذلك كانت الظروف صعبة و معقدة جدا، و لهذه الاسباب تم تقليل الاهتمام بالجوانب الحياتية للعسكريين حتى وصل الى مجال التغذية و تقليلها، لا بل في بعض الاحيان كانت التي تستلمها اعاشة سريتنا لا تكفي الجميع، أي حرمان البعض من الجنود من ارزاقهم اليومية.

خلال احد الايام نزلت مع عدد من جنود وحدتنا، ذهبنا الى غابة منطقة (كونه كوتر)

انا كنت احمل سلاح (آر بي كي) شاهدت و انا مختبيء بجانب جذع شجرة (خيال شبح كبير) لذلك سحبت سلاحي و وجهت طلقة واحدة، خرج شخصان من جانب جذع الشجرة و رفعوا ايديهم، قالوا نحن نعتبر انفسنا أسرى لديك.

قلت: عن أي اسرى تتحدثون؟ انا شاهدت شبحا بجانب جذع الشجرة و كنت اعتقد بانه مجرد شبح حيوان مفترس، لهذا لجأت الى اطلاق النار بشكل عشوائي!

قالوا: يجب أن تأخذنا معك و تسلمينا الى آمر وحدتكم.

قلت: يبدو انكم بيشمركة و يجب عليكم ان تذهبوا فورا، لكي لا نتعرض الى معضلة كبيرة و الى العقوبات الشديدة بسببكم.

لكني وجدت لديهم الاصرار على أن أقوم بالقاء القبض عليهم و تسليمهم، لكني لم اهتم بطلبهم و لم استجيب لهم.

عندما علموا بأنني لن اسلمهم، قالوا: (اذن يجب عليك أن توضح لنا مكان السرية العسكرية).

شاهدتهم يتوجهون الى مقر السرية، انا من ناحيتي كنت احس بخوف كبير، بحيث قلت مع نفسي: (تصور لو تعرض حياة هؤلاء البيشمركة الى خطر كبير أو القاء القبض عليهم، تأكدوا ان حياتي أنا ايضا سينتهي مع هؤلاء؟!)

بعد غروب الشمس عدت مع هؤلاء العسكريين الى مقر السرية و جلسنا في مطعم السرية، و كان هناك عدد من العسكريين من القومية العربية ضمن هذه الجلسة، التفت الى خلفي لكي اراقب ما حولي، وجدت الرجلين الذين وجهت لهم الطلقات النارية موجودين ايضا، عندما شاهدا وجودي ايضا، اصيبا بدهشة كبيرة و هما ينظران الى بعضهما البعض و وقعا في الضحك.

احدهما قال: عندما وجهت الاطلاقات النارية نحونا في الغابة، يبدو انك كنت تعتقد باننا من البيشمركة، بحيث اصيبت بخوف و فزع كبيرين، لكن يجب ان تعرف باننا من عناصر الاستخبارات العسكرية؟

لكني حاولت الابتعاد عنهم و عدم الاستجابة مع ما قيل لحد الآن قائلا: أنا لم اراكم ابدا و لا اعرفكما؟!

قال: لا يحتاج أن ترسم علينا و تقول لنا بانك لا تعرفنا، انت كنت تحمل سلاح (آر بي كي) و صوبت فوهة سلاحك نحو (حمامة برية) لكي تصيدها.

لكني كنت مصرا على انكار عدم معرفتي بهما، قلت: من الممكن انتما قد شاهدتما شخصا آخر و يبدو انكما توهتما في تشخيص شخصيتي، فلو أنا

كنت موجودا هناك تأكدا بانني سألقي القبض عليكما و عدم الافلات مني، ثم تسليمكم الى سريتنا.

احس الرجلان بانني مصر على انكار معرفتي بهما، وذلك بسب الخوف، ثم نظرا الى بعضهما البعض و قالا: من الممكن ان نكون على خطأ ؟

فقلت مع نفسي: يبدو انني قد انقذت نفسي من هذا البلاء و المشكلة الكبيرة.

كان لدينا ضابط يحمل على كتفه نجمتين كرتبة عسكرية و اسمه عبد عون الذي كان يرغب كثيرا بتوجيه و تطبيق العقوبات لنا نحن الجنود، لا بل كان ينتظر لحظة حصول أي خطأ أو عدم تطبيق الانظمة العسكرية، لكي يبدأ بالعقوبات الشديدة.

ففي احد الايام و عندما كنت عائدا الى مقر السرية و كنت احمل سلاح (آر بي كي) مع خمسة مخزن عتاد من الرصاص، عندما شاهدني هذا الضابط أوقفني و نظر الى مخزن العتاد و فحصهم، لكن عندما وجد بان هناك نقص ثلاث رصاصات في كل مخزن، سألني: لماذا هناك نقص في عدد الرصاصات؟

فقلت له: سيدي، وضعت هذه الرصاصات الخمسة في جعبة المخزن.

سألني: ما هو سبب هذا الاجراء؟

قلت له: انني اعتقد بانه اجراء جيد، لأنه في حال اطلاق الاطلاقات النارية، سوف لن نواجه مشكلة حشر و صعوبة اطلاق النار.

عندما قلت هذه العبارة الاخيرة، الضابط قال: احسنت، يبدو انك جندي شجاع و جريء، اركب السيارة معي لأجل توصيلك.

قلت له: سيدي، لكنني ارغب بالذهاب سيرا على الاقدام.

اخيرا يبدو ان الحظ قد وقف معي هذه المرة ايضا، بعد أن تخلصت من يد الملازم المشاكس عبد عون؟!

بقينا فترة طويلة في منطقة (ئيلن) كنا نخرج ليليا في كمين مع آمر الفصيل، خصوصا في ظل ازدياد نشاطات و تحركات البيشمركة في تلك الفترة، لذلك كان كان لدينا تخوف من أن يقوموا بهجوم مباغت علينا في الفترات الليلية.

في احد الايام و عندما نزلت في اجازة، ذهبت الى قضاء رانية لأجل زيارة بيت اختي، صهري و زوج اختي الذي كان رفيقا حزبيا في الفرقة الحزبية البعثية، تحدث معه عن مكاننا و تعقيدات االاستمرار فيه، لذلك طلبت منه أن يقوم بواسطة عند احد المسؤولين، لكي يراعوا وضعي و الاهتمام بي قدر الامكان، لذلك اخذني معه الى مقر الحزب، قدمني الى مسؤول حزبي اسمه (فتاح) الذي كان من سكان مدينة الرمادي و كان يعمل مع صهري في ادارة الشؤون الحزبية.

سألته قائلا: فيما اذا كان يعرف احد ضباط في وحدتنا العسكرية، لكي يتوسط لي عندهُ.

اجابني قائلا: من حُسن حظ انني اعرف آمر فوجكم و اننا ننتمي الى نفس المنطقة!!

اخيرا اعطاني رسالة خاصة و قال لي: لا تقلق، لأنه في حال وصول رسالتي هذه اليه، تأكد بانه سيعتبرك بمثابة ابني أنا و سيهتم بك.

بعد انتهاء اجازتي الاعتيادية و عند عودتي الى وحدتي، توجهت الى مقر الفوج و سلمت الرسالة الى مراسل الآمر الذي قام بتوصيلها، بعد مرور فترة قصيرة دعاني للحضور امامه، ثم منحني اجازة لمدة اسبوع و قال لي: (في أي وقت تحس بانك تحتاج اجازة، راجعني مباشرة لكي امنحك الاجازة التي تريدها).

بذلك، تغير وضعي كثيرا و احسست براحة، بحيث ابتعدت عن عن هموم و قلق المعضلات التي كانت تواجهني دائما في الفصيل و اصبحت لا اخاف من آمر سريتنا، ففي اية لحظة التي كنت فيها احس بجزع و ملل تجدني متوجها الى آمر الفوج و اطلب منه اجازة؟!

ففي احدى المرات و عندما كنت موجودا داخل ربيتنا مع احد منتسبي وحدتنا باسم (هادي) فجأة سمعنا صوت الاطلاقات النارية و انها كانت موجه الى ربيتنا العسكرية، هادي قال لي: انت تحمل سلاح (الآر بي كي) لذلك يجب عليك اطلاق بعض الاطلاقات النارية تجاه مصادر اطلاق النار، في تلك اللحظات كا احد منتسبينا من الجنود موجودا في الخارج، وجدته يأتي ركضا نحونا و قال: اطلق النار من سلاحك، لأنه هناك هجوم من قبل المخربين علينا؟

لكني لم استمع الى كلام هذا الجندي و لم اطلق أية اطلاقة نارية، لذلك قام بالاتصال تلفونيا بآمر الفصيل و اشتكى عنده حول عدم اطلاق الطلقات النارية تجاه مصادر النار، آمر الفصيل تحدث معي تلفونيا و قال لي: الآن الوقت متأخر، لكن يجب عليك أن تأتي صباحا الى مقر السرية لكي نقوم بالتحقيق معك؟!

و هكذا مع الصباح ركبت سيارة ايفا العسكرية التي كانت تنقل (القصعة) و توجهت الى مقر سريتنا/ الفوج السادس في (وادي شهيدان) بالقرب من (سنكه سر)، وجدت الملازم ستار هناك الذي سألني لماذا انت موجود هنا؟

قلت له: آمر الفصيل طلب حضوري امامه.

و في تلك اللحظة التي كنت مشغولا بالحديث، شاهدني آمر الفصيل و قال لي: لماذا لم تجلب معك غطاءك و مستلزماتك الشخصية، هل نسيت بانك لم تطلق النار باتجاه مصادر نار المخربين، لذلك يجب أن تعاقب بعقوبات شديدة؟!

قلت له: لا احد يستطيع أن يعاقبتي!!

قال لي: اذهب الى مقر آمر السرية، عندها سترى العقوبة الشديدة.

توجهت على الفور الى امر السرية و سلمت عليه، قدمت نفسي له، مع ان لغتي العربية لم تكن جيدة، لكن عندما ركزت نظري، وجدت لديه نوايا سيئة و تثير التشاؤوم و يبدو انه يريد أن يعاقبني؟!

قلت له: سيدي، انني لا اجيد اللغة العربية جيدا.

اجابني قائلا: هل من المعقول و انت خريج جامعة لا تعرف اللغة جيدا، اذن كيف تمكنت من الحصول على هذه الشهادة العالية؟!

قلت له: سيدي، انا اعرف شيئا منها و استطيع ادارة اموري، لكني لا استطيع التحدث بطلاقة و لا استطيع التمييز بين المؤنث و المذكر، لذلك اطلب منكم حضور شخصا يستطيع ترجمة ما سأقوله لك.

عندما انتهيت من حديثي، وجدته غاضبا جدا و قال لي: احلف بمقدساتي بأنك مخرب؟!

قلت له: لو كنت مخربا لما ارسلني صدام حسين الى هنا من اجل تنفيذ واجبي العسكري؟

عندما ذكرت هذه الكلمات التي اثرت في نفسه، لذلك وجدته صامتا و هادئا، ثم قال لي: قل لي لماذا لم تطلق النار؟

قلت له: سيدي، انا شخصيا لم اسمع صوت اية اطلاقات نارية، الجندي الذي قالي بان المخربين يهاجمون موقعنا العسكري و اطلقوا علينا النار، لم يكن صادقا بل كان يكذب و معروف بين منتسبي وحدتنا بالكذب و اكاذيبه مكشوفة بين جميع اعضاء سريتنا الخامسة!

قال لي: مَنْ يقول بانك صادق فيما تقوله و لا تكذب؟

قلت له: سيدي، يمكنك ان تتأكد من ذلك من خلال السؤال من جميع اعضاء سريتنا عن هذا الجندي وهل يا ترى بانه كذاب أم صادق؟ و اذا ظهر العكس يمكنك معاقبتي.

عندما ذكرت هذه الحقائق، وجدت الآمر يلتفت الى عريف الفصيل و قال له: هل صحيح بأن هذا الجندي كذاب و معروف بين الجميع بكذبه؟

اجابه العريف قائلا: صحيح، انه كذاب من النوع النادر؟!

قال لي الآمر: افترض ان هذا الجندي كذاب، مع ذلك كان يجب عليك ان تطلق النار، قل لي لماذا لم تطلق النار؟

قلت: سيدي، انا لم اسمع صوت اية اطلاقات نارية، لذلك لم استمع الى ما قاله هذا الجندي، لأنني كنت متأكدا بانه كذاب؟

عندما قلت له العبارات الاخيرة، وقعت في الضحك و قلت له: سيدي، انا من سكان مدينة اربيل و لدي صلة قرابة معك شخصيا، مع ذلك وجدتك لا تثق بما اقوله لك و تريد أن تعاقبني؟

وجدته مندهشا لما قلته و قال لي: انني اسمع منك الكلام الغريب و العجيب، كيف تعتبر نفسك من معارفي و لديك صلة قرابة معي؟ اين انا و ما هي علاقة اهلي بسكان مدينة اربيل؟! أنا انتمي الى قبيلة و منطقة عربية اصيلة؟

قلت له: بالله العظيم انت احد اقربائي، لكن يبدو انك لا تريد ان تعرف مثل هذه المعلومات؟

قال لي: طيب وضح لي ذلك، لكي اعرف كيف انني من اقربائك؟

قلت له: لدينا علاقات قرابة قوية مع الرفيق فتاح الدليمي.

سألني قائلا: هل تقصد الرفيق فتاح رزوقي؟

قلت له: نعم يا سيدي

سألني: طيب قل لي اين هو الآن؟

قلت له: انه الآن عضو فرقة حزبية بعثية مع صهري في مدينة رانية.

عندما قلت هذه العبارة، نهض من مكانه و احتضنني و قبلني بحرارة، كتب رسالة له و سلمني و قال لي: سأمنحك اجازة لمدة سبعة ايام، اذهب الآن اليه و سلمه رسالتي هذه؟!

عتدما سمع امر الفصيل ما شاهده امامه، التفت لي و قال لي: هل من المعقول؟ فبدلا من العقوبة تم منحك اجازة لمدة اسبوع واحد؟!

لهذا سافرت فورا الى رانية وسلمت الرسالة الى الرفيق فتاح الذي بادر الى ان يطلب من قائد الفرقة ٢٤ ان يكتب رسالة الى آمر فوجنا، ثم قال لي: سلم هذه الرسالة الى آمر فوجكم عبد عون لكي يساعدك و يعتني بك.

عندما اوصلت الرسالة الى امر الفوج، اندهش و قال لي: انت كيف تعرف قائد الفرقة؟

قلت له: انه صديق صهري و هما يعملان في نفس المنظمة الحزبية و يلتقيان يوميا.

لذلك ابدى تقديرا كبيرا لي و قال لي: متى ما تحس بانك تحتاج مساعدة ما أو الحاجة الى الاجازة ، راجعني مباشرة و لا تراجع احدا.

اخرج من جرار مكتبه نموذج اجازة و منحني اجازة لمدة سبعة ايام و قال لي: اذهب الى سريتك لأجل اعلامهم بانك مجاز و اوصل سلامي الحار الى الرفيق فتاح و قائد الفرقة و صهركم.

عندما عدت الى سريتنا، توجهت الى امر السرية و اخرجت الاجازة من جيبي لكي يراها و قلت له ان قائد الفرقة منحني اجازة لمدة سبعة ايام؟

عندما شاهد امر السرية نموذج الاجازة، وجدته مندهشا و قال لي: كيف قفزت على صلاحياتي و اوامري و تذهب الى قائد الفرقة؟

قلت له: لماذا تريد ان تحاسبني على شيء لم افعله، بل انه جاء من اعلى رتبة و مكانة و المتمثل بقائد الفرقة، ثم قلت: سيدي، بامكانك ان تتصل به شخصيا و تسأله لماذا منحني هذه الاجازة؟

على اية حال، سافرت الى رانية و بقيت هناك ليلة واحدة ثم عدت الى مدينة اربيل، بعد انتهاء اجازتي، عدت الى سريتنا و ربيتنا العسكرية، لكني كنت اشعر بقلق كبير و اخاف من امر السرية، من أن يحقد عَلَيَ و يخلق لي المشاكل.

خلال احدى الامسيات اتصل بي و قال لي: الآن و على الفور راجعني في مقر السرية.

فلت له: سيدي ان الوقت متأخر وسيخيم الظلام الدامس، لذلك تأكد بأنه مع الصباح سأكون امامك؟

لكنه يبدو انه كان مصرا على تنفيذ أوامره و قال لي: أنا اقول لك انزل يعني انزل؟ و لا اريد تكرارها مرة اخرى!!

قلت له: لكن سيدي الطريق مليء بالمخاطر في ظل ظلام الليل!!

قال لي: سأرسل لك حصان مع جندي لكي يرافقك و انزل معه.

قلت له: طيب، الآن من الممكن النزول بامان.

اخير وصل الجندي مع الحصان، لذلك صعدت ظهر الحصان و توجهنا الى الآمر.

امر السرية عبر عن غضبه و قال لي: لماذا لا تستمع الى آوامري العسكرية و تناقشني، عندما اقول لك انزل و توجه الى مقر السرية، نفذ الاوامر مباشرة، هذه الليلة اريدك خفرا و حارسا في مقر السرية و لا تعود الى مكانك؟

وجدت نفسي قلقا و قلت: (يبدو ان هذا المشاكس يريد ان ينتقم مني و الثأر مني ثم يعاقبني، لهذا طلب مني النزول على الفور في هذا الوقت بالذات).

لكن توقعاتي كانت خاطئة، لأنه ظهر حقا كان يريد مصلحتي في هذه التدابير، باعتبار أن هناك معلومات اسنخباراتية تؤكد بان البيشمركة قد هاجمت قواتنا العسكرية في هذه الليلة، لكنه لم يكن هناك ضحايا في الارواح، باستثناء بعض الاضرار المادية التي اصابت بعض الربايا العسكرية.

بهذا الشكل، ظهر لي مدى اهمية الرسالة التي استلمتها من قائد الفرقة و استفدت منها كثيرا، بحيث أن امر السرية اصبح صديقي و لم يحاول ان يرسلني في عمليات الكمائن و اصبح يراعي وضعي.

لكن بعد مرور فترة تم نقل امر سريتنا الى وحدة عسكرية اخرى و جاء ضابط اخر بدلا منه الذي كان من اهالي مدينة الديوانية، ثم جاء ضابط اخر معه الذي كان كورديا لكي يصبح مساعدا له.

في ذلك اليوم الذي باشر فيه الواجبات في سريتنا، اتصل بي تلفونيا و قال لي: انزل و احضر في مقر السرية؟!

عندما نزلت، توجهت اليه مباشرة، وجدت هناك الملازم علي و معه سبعة من جنود سريتنا، التفت لي و قال: انتم ستخرجون هذه الليلة في كمين، وصلتنا اخبار استخباراتية مؤكدة بأنه مفرزة من البيشمركة و معهم مجموعة من المهربين (القجقجية) سينزلون، لذلك يجب عليكم التصدي لهم و مجابهتهم، اقضوا عليهم جميعا.

قلت له: سيدي، اذا حاولوا النزول، بالتأكيد سينزلون على شكل مجموعة من المسلحين، في حين نحن عددنا محدود و لا نستطيع مجابهتهم، لذلك ارى من المستحسن عدم التصدي لهم و نفسح المجال لهم لكي يمروا.

قال لي: انه فكرة غير واقعية و لا تتلائم مع الانظمة العسكرية الصارمة التي تؤكد على التصدي للمخربين و المهربين على حد سواء، لذا يجب عليكم ان تتوزعوا على شكل مجموعتين، فعندما تشاهدونهم افرضوا عليهم شرط تسليم انفسهم، ففي حال امتنعوا و رفضوا، وجهوا فوهات اسلحتكم اليهم و امطروهم بوابل من الرصاص و العتاد، حتى لحظة القضاء عليهم؟

اخيرا، توجهنا الى قرب ربايانا العسكرية و قسمنا انفسنا الى مجموعتين، ففي منتصف الليل سمعنا اصوات اقدام المهربين، في تلك اللحظات كنا على استعداد تام للتصدي لهم و سحبنا اقسام اسلحتنا، بعد لحظات لاحظنا اثنين من المهربين مع بغلين، مع ان الضابط الذي كان يرافقنا لم يعطي الايعاز و الاوامر باطلاق النار، لكن عندما اقترب المهربون اكثر منا، رأيت جنديا الذي كان من المكون الايزيدي و اسمه (خوديده) صوب سلاحه الذي كان من نوع (سيمينوف) نحو احد هؤلاء الاثنين، اصابه بثلاث طلقات نارية قاتلة و اوقعه على الارض!!

اما بالنسبة الى المهرب الآخر الذي فقد المعنويات و انهار تماما بعد ان اصيب بخوف و فزع كبير، بحيث لم يستطيع الهرب، لهذا تم القاء القبض عليه بسهولة، اما بالنسبة الى الحيوانات التي تراجعت الى الوراء و تفرقت في عدة اتجاهات، مع بدايات شروق الشمس وصلنا الى مقر سريتنا و معنا المهرب الذي تم القاء القبض عليه و اخذناه الى امر السرية، المهربون كانوا من الايرانيين.

ثم قالوا لنا، عودوا الى المكان الذي تم قتل المهرب، هناك قوموا بحفر حفرة و ادفنوا فيها جثة المهرب المقتول مع وضع اشارة واضحة لكي يتم الاستدلال عليه بسهولة، بالفعل عدنا الى مكان الحدث في وادي الموت الذي كان يمر فيه ماء عين، لذلك كانت الارض رخوة نوعا ما و اصبحت عملية الحفر سهلة التي ساعدتنا بسرعة دفن الجثة فيها مع وضع الاشارة، ثم عدنا عائدين الى مقر السرية.

آمر سريتنا الذي قام بتقدير ما قمنا به من عمل وطني كبير ثم سألنا: مَنْ قتل هذا المهرب؟

اجابه خوديده قائلا: سيدي، أنا الذي قتلته

امر السرية الذي قدر عاليا عمله البطولي هذه و قال له: احسنت يا بطل.

ثم التفت لي و قال لي: هناك مجموعة من الجنود المغاوير من اللواء (٨١) مع اشخاص اخرين الذين جاءوا الينا كضيوف على سريتنا، رافقهم هذه الليلة اثناء الصعود الى الجبل، لقد جاءوا من اجل كشف و زيارة مكان محدد موجود فوق ربيتنا العسكرية.

اخيرا رافقتهم الى أن وصلنا الى المكان المحدد، الضابط الذي كان مع هذه المجموعة، قام بصف الجنود و قرأ اسماءهم، ظهر له أن احد الجنود غائب؟!

عدنا مرة اخرى، الضابط اتصل تلفونيا بمقر الفرقة و قال لهم بان احد الجنود مفقود و غائب، من الممكن أن يكون قد هرب؟!

قالوا له: (عودوا الى المكان المحدد و قوموا بكشف و تدقيق المكان، من الممكن قد تعرض الى شيء مكروه؟

عندما عدنا الى مكاننا و قمنا بالبحث عن هذا الجندي في الغابة بواسطة (اللايت اليدوي) و جدناه اخيرا مقتولا و تم شق بطنه و يده مكسورة و مبتورة و تم القاءها بجانب الجثة.

الضابط قال: يبدو ان البيشمركة قد قتلوه؟

قلت له: كلا يا سيدي، لا اعتقد ان البيشمركة يقومون بهذا العمل الوحشي، يوجد هنا الكثير من الدببة البرية القاتلة، انا اعتقد بان الدب قد هاجم هذا الجندي و وجه مخالبه الحادة جدا الى بطنه و مزقه، ثم قام بكسر سلاحه.

لكن الذي اثار اندهاشنا و حيرتنا، بانه حتى وصولنا الى الاسفل قد فقدنا اثنين من الجنود؟!

مع وصولنا الى مقر السرية بادر الضابط الى الاتصال مباشرة بمقر الفرقة و اخبرهم بما حصل لهم، لهذا اضطرت الفرقة الى ارسال قوة كبيرة جدا في ظل الليل الدامس و نحن رافقناهم كالعادة الى مكان الحدث، مع وجود الطائرات السمتية العمودية.

مع وصول القوة الاضافية الكبيرة، استطعنا تفتيش و كشف المنطقة بشكل دقيق، اخيرا عثرنا على كهف، فوجدنا فيها مجموعة كبيرة من السجائر، يبدو انه مكان المهربين، لكن لم نجد احدا هناك و لم نستطيع العثور على الجنود المفقودين، أي مازلوا مجهولي المكان.

عندما عدنا، بادر امر السرية باعطاء كل واحد منا علبة من السجائر و اخذ كارتون كامل من السجائر له؟!

بعد فترة تم نقل سريتنا الى الكويت و قاموا بنقل ثمانية من الجنود و من ضمنهم أنا مع ضابط الى (تلة كوزر) التي كانت تقع بالقرب من (جومان)

عندما وصلنا الى هناك، الضابط قال لنا: يجب أن نقوم هنا ببناء و حفر ربيـة عسكرية محكمة، لأنه من الآن فصاعدا سنقوم بتنفيذ واجباتنا العسكرية هنا.

في ظل هذه الليلة المظلمة قمنا بنصب خيمتين، احداها للضابط و الاخـرى لنا، كذلك قمنا ببناء و حفر ربيـة عسـكرية بواسـطة احجـار الجبـل الصـلدة و وضعنا (الجينكو) عليها كسقف.

ربيتنا تعتبر الربية العسكرية الوحيدة في المكان الذي كنـا فيـه، لقـد بـذلنا جهودا كبيرة في ذلك اليوم الذي كان باردا جـدا، بحيـث كنـا نرجـف مـن شـدة البرد في ظل الاحساس بالنوم، لهذا اخيرا لم نستطيع القيـام بتنفيـذ الواجبـات الليلية الضرورية، بعد دخولنـا الخيمـة وقعنـا في النـوم حتـى الصـباح، عنـدما نهضنا صباحا وجدنا المنطقة كلها غارقة في االثلج الابيض، بعد هطول الثلوج بكميات كبيرة، بحيث انخفضت الحـرارة كـثيرا الى مسـتوى تحـت الصـفر،لذلك قمنا باشعال النار لأجل التدفئة.

كان معنا احد الجنود الذي كان اسمه (عثمان) حيث كان شجاعا و جريئا جدا و من اهالي منطقة (حاجياوه) جال بنظره فيمـا حـول ربيتنـا و مكاننـا و تـدقيق المنطقة، قال لنا: تعالوا معي و اجلبوا معكم علبة معدنية فارغـة، يبـدو أنـه هنـاك مجموعة من الالغام المزروعة خلف ربيتنا، سوف نحاول كشفها و اخراجها، بـذلك سيتم اختصار الطريق الى الشارع العام و سنصل بسرعة، ذهبنا معـا و اخـذت انـا العلبة المعدنية، بينما قام عثمان بعملية اخـراج الالغـام بواسـطة قامـة السـلاح ثـم يضعها في العلبة، بذلك رفعنا جميع الالغام و ملئنا العلبة.

عندما عدنا الى ربيتنا قذفت العلبة بقوة الى الارض، امر ربيتنا الذي كان يحمـل خطا واحدا على ذراعه (أي جندي اول) عندما شاهد الالغـام الـتي قـذفها، وجدتـه مفزوعا و عيناه جاحظتان من شدة الخوف ثم قال لي: يا رجل انت مـاذا تعمـل و كيف لم تفكر بان الالغام معرضة للانفجار في اية لحظة و سيمزقنا و نموت؟!

قلت له: اتمنى ان نموت و نتخلص من الحياة العسكرية المزعجة التي لا نرى لها أي افق لنهايتها و نستريح الى الابد.

قال: انت اذا كنت تحس بملل و انزعاج كبير من حياتك، يجب ان تعرف بانني مطوع في الجيش و لدي ثلاثة اطفال و لا اريد ان اموت.

بقينا هناك لفترة طويلة، ففي احدى الليالي احسست بوجود نار من بعيد، اتصلنا بالجماعة التي كانت في الاسفل، قمنا باعلامهم بوجود نار من بعيد.

قالوا: هل هناك اطلاقات نارية موجهة اليكم؟)

قلنا: كلا

قالوا: من المستحسن عدم الاهتمام و لا تنشغلوا به.

الليالي كانت باردة جدا، بحيث كنا لا نستطيع النوم من شدة البرد.

بينما كان عثمان يتصف بانه يمتلك تجربة طويلة، قال: (يجب الاهتمام بنفسكم في ظل هذا البرد القارص، أي يجب ارتداء كل ما تمتلكوه من ملابس اثناء الليل و الا سنجدكم مجمدين و ستموتون.

لهذا اخذنا بنصائح عثمان الهامة، بحيث اصبحنا لا نحس بالبرد ابدا.

بعد مرور فترة قاموا بنقلنا الى مكان اخر، يقال له: (ئيلزه) تتمتع بجمال طبيعتها، قمنا بحفر و بناء ربية جديدة اخرى مع نصب الخيمة، كانت الثلوج تهطل باستمرار.

كنت احس بتعب شديد، لهذا لم استطع التحرك و الحركة بسهولة و اخذ البغل معي، لكي ابحث عن بعض الاغصان و اوراق الشجر اليابسة و البلوط اليابس تحت اشجار البلوط مثل باقي الايام، لهذا قررت ان انام، عندما نهضت صباحا، رأيت البغل قد تجمد و فطس من شدة الجوع و البرد الشديد.

اتصلت بمقر السرية و اخبرتهم بان البغل قد فطس، بعد فترة قليلة شكلوا لجنة تحقيقية التي قالت: بان هذا البغل يعادل الف وخمسمائة دينار بالنسبة الى الحكومة، انت ماذا تقول؟

في تلك الفترة قامت القوات العراقية بتفجير آبار النفط الكويتية، وبسببه تم تلويث و تغيير ماء المطر التي تحول لونها الى سوداء،بحيث تشم منها رائحة النفط.

بعد سبعة اشهر من الاحتلال العراقي للكويت و اندلاع حرب التحرير من قبل امريكا و الحلفاء و بمشاركة جيوش (٣٣) دولة التي شاركت باسم الامم المتحدة، اخيرا تم طرد القوات العراقية من الكويت و تعرضت الى خسائر كبيرة، لقد كان عدد الضحايا كثيرا جدا، بحيث كان بالامكان رؤية الجثث متروكة طيلة الطريق بين الكويت و مدينة البصرة، لهذا تم تسمية هذا الطريق بطريق الموت؟!

في هذه الفترة تم نقل سريتنا مرة اخرى الى سفح جبل (قنديل/ منطقة بشت آشان و قرناقة) قالوا لنا: (اصعدوا الى قمة الجبل و انصبوا الخيمة مع حفر و بناء الربية العسكرية المطلوبة).

عندما وصلنا الى قمة الجبل وجدنا اثار تحركات القوات الايرانية مازلت موجودة هناك، يظهر بانهم قد غادروا حديثا و قبل وصولنا، لقد قاموا بسحب قواتهم من هناك، تأكدنا بانه لم تمر على انسحابهم سوى ساعات قليلة فقط، وذلك مع بقاء بعض الجذوة المشتعلة في مواقدهم، هذا مع ترك ابريق الشاي على الموقد، أي كانت مازالت حارة؟

في حين كنا نحن نحب الشاي كثيرا و لم نشرب منذ ساعات الصباح الاولى، لكننا لا نملك السكر الذي كان ضروريا، مع هذا استطعنا ان نشرب الشاي مع وجود التمر، كنا نستعمل قناني المعجون الزجاجية بدلا من اكواب الاعتيادية، لأجل شرب الشاي.

احسسنا بالعطش الشديد، لكن و بسبب انجماد الماء لم نتمكن من الحصول على الماء، لذا لجأنا الى اذابة كمية من الثلوج لأجل استعمالها للشرب أو نضعها في فمنا مباشرة بدون الاذابة، لكن الغريب بعض الاحيان كنا نجد اثار السواد على الثلوج بسبب الدخان الصاعد من الابار النفطية الكويتية المحترقة؟!

قام امر فصيلنا بتوزيعنا على الربايا الموجودة في المنطقة التي انسحب منها القوات الايرانية، احد الجنود وجه اشارة الى جندي اخر و قال: احسست بوجود الجن في هذه الربية، مع انني كنت قد سمعت بمثل هذا الكلام عندما كنت طفلا، لكنني لم يكن لدي ايمان به ابدا، لهذا قلت: أنا ساذهب الى هذه الربية و مستعد لمواجهة الجن في حال ظهوره، أي عندها سترون ماذا سافعل به ! !

خلال احدى الليالي و عندما كنت خفرا و بعد انتهاء فترة خفارتي، انتظرت وصول جندي اخر، لكي يأخذ مكاني، دخلت الى الداخل و وضعت فوهة سلاحي على البطانية التي كان يتغطها بها، قلت له: انهض جاء دورك في الخفارة؟ !لكن دون استجابة منه.

لكني احسست بانه هناك صوت غريب تخرج من تحت البطانية، كانت قريبة من صوت نشيج و تنفس لا تبدو انها لأنسان اعتيادي، فوقعت في التفكير و قلت مع نفسي: (يا ترى هل كانوا صائبون فيما يتعلق بوجود الجن؟ أي انها صوت جن! !).

حاولت مرة اخرى التأكد و قلت: انهض، انهض، لكي تأخذ دورك في الواجبات؟

لكني سمعت نفس الصوت الغريب من تحت البطانية، ففي هذه المرة كان تشبه صوت هرير الكلب المميز؟ وقعت في حيرة كبيرة و قلت مع نفسي: (يا ترى هل تحول صاحبي الى كلب ! !)

عندما رفعت البطانية تفاجئت بوجود الكلب الذي انطلق على الفور هاربا الى الخارج؟ !و لم أجد احدا تحت هذه البطانية سوى هذا الكلب الغريب، لذلك تفحصت فيما حولي الربية، لكنى لم استطع رؤية الاشياء بصورة واضحة.

اخبرت امر الربية و قلت له: جمال مختفي و لم اجده في مكانه، لكني وجدت كلبا تحت غطاءه الذي هرب مع رفع الغطاء، يا ترى ماذا حصل لهذا الجندي؟ و هل يا ترى الجن قام يتحويل جمال الى كلب؟ !

امر الربية قال لي: هي لنذهب سويا لكي نتفحص فيما حول الربية سويا، من الممكن انه خرج لقضاء حاجته؟

رأينا من بعيد شبح ما الذي كان يشبه الدب، صرخت بصوت عال سائلا: مَنْ انت؟ قف في مكانك؟

عندما قلت هذا،وجدت الشبح يتراجع الى الوراء بسرعة

لكني صرخت مرة اخرى و قلت له: اذا لم تقف في مكانك سأضطر لكي اقتلك، لذلك اكرر مَنْ انت؟

امر ربيتنا صرخ باللغة العربية قائلا: قف مكانك، من انت؟

رغم ذلك وجدته لا يقف في مكانه، لذلك سحبت الاقسام و اصبحت على استعداد اطلاق النار و اردت ان اطلق النار فعلا، لكنه رفع يده الى الاعلى و قال: لا تقتلوني، أنا جمال؟!

قلت له: في ظل هذا الضباب الكثيف ماذا تفعل في هذا المكان البعيد؟

قال: ذهبت لأجل قضاء الحاجة

ثلت له: انت يا جمال تمتلك مؤخرة يثير الاشمئزاز، بحيث يقزز نفس كل من يراها؟!لذلك ارجو ان لا تبتعد مرة اخرى لكي لا تتعرض الى شيء مكروه.

في صباح اليوم التالي، اتصلوا بي و قالوا لي انزل مع جندي اخر، لأجل استلام الارزاق.

لذلك نزلت برفقة جندي اخر و توجهت الى مقر سريتنا، عندما وصلت الى هناك، سلموني دجاجة واحدة و القرنابيط و بعض الصمون و التمور.

عندما عدت الى مكاننا، وجدت جنديا عائدا من اجازته و رافقنا اثناء العودة، عندما وصلنا الى قرية (قرناقة) هناك فقدنا طريقنا نحو جبل قنديل، خصوصا مه هطول الثلج بشكل كثيف الذي جعلنا أن نفقد الطريق!!

البرد الشديد جعلني ان اربط ساقي بالنايلون، لكي لا يحرقه الثلج، قبل ان نصل الى مكاننا، وجدت صديقنا الجندي العربي اصيب بتعب شديد و اخير

وقع؟ عندما تفحصت ساقه وجدته قد احترق بسبب البرد، بعد ان وصل الثلج الذي وصل قرب الركبة و تغير لونه.

لذلك كنا مجبرين على ان نرفعه نحن الاثنين و وضعناه تحت الشجرة، ثم تركناه و انطلقنا سريعا الى ربيتنا.

عندما وصلنا، وجدت الجنود هرعوا لاستقبالنا، جمال قال لي: ماذا حصل لكم و لماذا تأخرتم كثيرا؟

قلت: لقد فقدنا الطريق في قرية (قرناقة) بسبب هطول الثلج بكثافة، نحن مازلنا على قيد الحياة، لكن ابو حيدر وقع و لم يستطيع التحرك، لذلك كنا مضطرين لكي نتركه تحت الشجرة، لذلك يجب ان نذهب على الفور لكي نعيده الى هنا.

بقينا لفترة طويلة في هذه الربية، هذا المكان كان مخيفا و خطرا جدا، بالذات في ظل هطول الثلوج بصورة كثيفة وصل الى مستوى اكثر من متر واحد في بعض الاماكن، هذا بالاضافة الى وجود قطعان الذئاب المفترسة التي كات تتواجد في هذه المنطقة اثنا الليل، ويحاولون الهجوم علينا مستغلين ظلام الليل، عيونهم الذي كان يلمع و يثير الخوف في قلوبنا، لذلك خوفا من هذه الحيونات المخيفة كنا نخاف ان ننزل الى الوادي، لأجل استلام الارزاق لكي لا نموت جوعا؟!

كان لدينا كلب نحبه كثيرا الذي بقي معنا لفترة طويلة، حيث كان يرافقنا الى كل مكان نذهب اليه، و في احدى المرات و عندما كنت جائعا كثيرا، فكرت في قتل هذا الكلب المسكين، لذلك قلت للجنود الكورد: نحن على وشك ان نموت من الجوع، و في حال موتنا لا نجد احدا يدفن جثثنا في هذا المكان، خصوصا و نحن نواجه مخاطر هذه الذئاب الجائعة و المفترسة مع وجود هذه الكمية من الثلوج الذي يمنعنا من المجازفة و النزول الى الوادي، لأجل جلب ارزاق المخصصة لنا، لا بل حتى لا نستطيع العودة، لهذا قررت قتل هذا الكلب و نأكل لحمه؟!

عندما انتهيت من كلامي، وجدت (خوديده) يقول: والله لو هلكت هنا بسبب الجوع، لا استطيع اكل لحم هذا الكلب ابدا؟!

سألته قائلا: أنا لا يهمني مسألة ان كنتم تأكلون لحم الكلاب ام لا؟ هذه المسألة يخصكم انتم و هذه مشكلتكم، انا لا استطيع مقاومة الجوع اكثر، لقد قررت أن اقتل هذا الكلب ثم أكله من شدة جوعي؟!

كنت احمل سلاح (الآر بي كي) خرجت من الربية و اقتربت من الكلب و سحبت الاقسام اردت قتله، وجدت الكلب راكعا و كأنه يعرف قدره المحتوم، في تلك اللحظات المأساوية امتلئت عينه بالدمع؟! اشفقت عليه فوجدت عيني ايضا قد امتلئ بالدمع و قلت مع نفسي) منذ اكثر من ستة و هذا الكلب المسكين يقوم بحراستنا و حمايتنا، اذن كيف يمكن لي أن اكون بدون اية رحمة و قاسيا الى هذا الحد و هو راكع و ذليل امامي ينتظر لحظات الموت المحتم؟!)

اخيرا وجهت فوهة سلاحي الى السماء و اطلقت مخزنا كاملا، في تلك اللحظات الصعبة كان معي جندي عربي من اهالي مدينة الكوت الذي يتصف بسلوكيات و تصرفات غير طبيعية و شبه مجنون، خصوصا و انه قد تشاجر مع جميع منتسبي ربيتنا باستثنائي أنا فقط و لم يحاول الاحتكاك و الشجار معي، لكنه تفاجئة بتوجيه سلاحي الى صدره و قلت له: انت شخص غيرمفيد باستثناء خلق المشاكل، لذلك عليك أن نسمع منك وصيتك، لأنني قررت أن أقتلك و تخليص هذه الوحدة من مشاكلك التي تنتهي ابدا الا بموتك فقط؟!

لكنه توسل مني كثيرا و هو يقول: ارحمني في سبيل الله و النبي محمد!!

قلت له: ان التوسلات لا تنقذك من الموت المحتم، انت هل تعلم بانني سأموت من الجوع، بينما انت انسان عبثي و لا تفيد احدا، لقد قررت أن أقتلك بدلا من هذا الكلب المسكين، لأنني اعتبر هذا الكلب افضل منك كثيرا؟

مع صعود و انتشار صوتنا، جعل جنود الرايا الاخرى أن يأتوا الينا، و عندما شاهدوا هذا المنظر المثير، وقعوا في الحديث فيما بينهم، لكي لا تتطور المشكلة اكثر، لذلك وجدتهم يتوسلون مني و طلبوا مني بالحاح أن لا أرتكب مثل الخطأ المأساوي، لكني كنت مصرا على موقفي و دون أي جدوى، لكني

قلت لهم: انني على وشك أن أموت من شدة الجوع، بينما نجد الاغلبية منكم قد قام باخفاء الارزاق، أي انكم لا تشعرون بالجوع مثلي و لا تحسون بما انا اشعر به، انني الآن في لحظات فقدان الوعي تماما؟!

عندما قلت العبارة الاخيرة، وجدت جنود الربايا الاخرى الذين كانوا من الاخوة العرب، تعهدوا لي في حال عدم قتله، سيجلبون لي الطعام المطلوب.

لهذا، رفعت السلاح عن صدر جواد و ذهبت مع العسكريين الذين تعهدوا لي الى رباياهم، ظهر لي بان لديهم كيس من التمر الذي خزنوه و وضعوها امامي و قالوا: بالله العظيم و النبي محمد و الامام علي، لا نملك سوى هذا الكيس فقط، تفضل انت و احتكم الى ضميرك تصرف به.

جلبت الكيس و قمت بتقسيمه و سلمت كل واحد منا (٥٥)حباية من التمر، بذلك تمكنا من قضاء عدة ايام اعتمادا على هذا التمر، حيث كنا نأكل منه عدة تمرات في اليوم الواحد.

بعد مضي عدة ايام زارنا آمر الفصيل، جواد اشتكى عنده قائلا: سيدي (ابو شوارب) اراد قتلي؟!

امر الفصيل اجابه: كنت اتمنى لو قام بقتلك و يضع حد لمشاكساتك، يبدو انك انسان سيء جدا، لهذا ليس غريبا أن يختارك بين كل هؤلاء الجنود لكي يقتلك، ثم التفت لي و قال و هو يضحك: لماذا لم تقتله؟

جواد التفت الى امر الفصيل و قال له: سيدي كيف تقول مثل هذا الكلام القاسي، يجب ان تعرف بانه اراد قتلي بصورة جدية بعد ان وضع السلاح على صدري و قال لي: ردد وصيتك قبل أن اقتلك؟!

امر الفصيل اجابه قائلا: انا ايضا جدي فيما اقوله، لأنك انسان لا يمكن الاستفادة منك ابدا، لذلك كنت اتمنى أن يقتلك و نتخلص منك؟!

في الحقيقة شهدت المنطقة الكثير من الاحداث و المفارقات و نحن كنا لا نعلم بها، من جهة اخرى يبدو انهم كانوا على علم بنشاطات و فعاليات

البيشمركة، مع ظهور محسوس لبعض الاحتجاجات و المظاهرات من قبل سكان اقليم كردستان.

لكن الحدث الرئيس في تلك الفترة هو علمهم بان القوات الامريكية و الحلفاء في الكويت قامت بطرد و اخراج القوات العراقية و هزيمتها.

امر الفصيل و معنا البعض من الجنود قضينا وقتا بالكلام الطريف و الضحك، ثم عاد الى مقر السرية.

كنا في لحظات غروب الشمس، عندما اتصلوا بنا من مقر السرية و طلبوا مني شخصيا في ان انزل فورا الى مقر السرية، فقلت لهم: الوقت غير مناسب و من الصعوبة الخروج في ظل الظلام الدامس و لا استطيع النزول لوحدي، سانزل مع الصباح الباكر.

لكنهم قالوا لي: امر الفصيل يريدك انت بالذات و يجب ان تنزل بسرعة؟!

ربيتنا كانت تبتعد مسافة كيلومترين عن مقر السرية، لكني اخيرا قمت بتهيئة نفسي و ارتديت ملابسي الدافئة ثم حملت سلاحي على كتفي و توجهت لوحدي و السير في اجواء و مكان مليئة بالمخاطر، على الخصوص في ظل ضباب كثيف كان يحجب الرؤيا تماما، لقد كنت خائفا جدا، لذلك قررت اخيرا أن اركض لكي اقطع الطريق بسرعة ممكنة، في تلك اللحظات سمعت صوتا كان يشبة صوت وقع الاقدام و كان يسير خلفي، وقفت للحظات لكي اتأكد من هذا الصوت و بدأت بتفحص ما حولي و خلفي، لكني لم ارى شيئا، لذلك قررت تكملة مسيري، مع هذا احسست مرة اخرى بتكرار هذا الصوت الغريب، لكن مع الوقوف كان الصوت يختفي!!

لقد كنت محاصرا بخوف كبير و قلت مع نفسي (من الممكن ان يكون حيوانا مفترسا و يريد التهجم و افتراسي؟!)

سحبت اقسام سلاحي و التفت بسرعة الى الوراء، وجدت المفاجئة و المتمثلة بكلبنا المسكين و هو يلاحقني!!

على اية حال، اخيرا استطعت الوصول الى مقر السرية و ذهبت على الفور الى مكتب امر السرية و قلت له: سيدي، ما هو المطلوب مني؟

قال لي: انت ستقوم بواجباتك هنا هذه الليلة.

و هكذا بقيت داخل مقر امر السرية و اصبحت حارسا حتى صباح اليوم التالي.

ظهر لي بان مراسل الامر يمتلك بعضا من المعلومات التي كانت مجهولة بالنسبة لي الذي قال لي: في حال انتهاء الواجب لا تعود الى مكانك في الربية، اذا من المفضل ان تبقى معنا هنا خلال هذه الفترة.

انا استغربت من كلامه هذا و بأت افكر و اقول: يا ترى ما هو السبب، و قلت له: لكن في حال عدم عودتي قد اتعرض الى العقوبة من قبل امر السرية، لكنه لم يرد على ما قلته.

في وقت متأخر من الليل سمعت احد ما، اعتقدت انه امر فصيلنا و ناداني باسمي، لذلك اجبته قائلا: نعم سيدي، عندما سمع امر السرية صوتي، قال: اصمت لا تتحدث، هؤلاء من المخربين و هم في حالة الهجوم علينا، اطلق عليهم النار و اقتلهم.

قلت له: سيدي، اذا كان مخربا، اذن قل لي كيف عرف اسمي انا بالذات؟

قال: انا اقوا لك انهم مخربين و يجب ان تطلق عليهم النار.

و نحن كنا مشغولين بهذا الحديث، سمعت نفس الشخص و الصوت يناديني باسمي و باسم والدي؟!

قلت له: قف في مكانك، قل لي من انت و عرفني بنفسك؟

اجابني: انا عثمان و يرافقني جمال و خوديدة و علي!!

عندما اقتربت منهم، و جهت ضوء (اللايت) الى وجوههم و تأكدت بانهم حقا جماعتي.

قلت لهم: لماذا نزلتم في هذا الوقت المتأخر من الليل و الى اين انتم ذاهبين؟

قال عثمان: جئنا الى هنا لكي نأخذك معنا و نهرب معا؟!

قلت لهم: من اين جاءت اليكم مثل هذه الافكار المجنونة؟ بالامس كنت معكم لكن لم اسمع منكم مثل هذه المعلومات المحيرة!

قال: سكان منطقة رانية انتفضوا ضد نظام الحكومة العراقية و النظام الحاكم و هاجموا الاجهزة الحكومية و الامنية و مقرات حزب البعث و قتلوا جميع الرفاق الحزبيين.

لكني لم اقتنع بحديث عثمان، لهذا لم اوافق على مقترحهم بالهروب معهم، قلت لهم: انتم لكم مطلق الحرية في ان تتخذوا القرار الذي يخدم مصالحتكم، انا سابقى هنا و لن اهرب!

اخيرا ذهبوا و تركوني لوحدي في مقر السرية.

مع الصباح، جاء امر السرية و قال لي: هل ترغب بشرب الشاي؟

قلت: نعم سيدي

قال: يبدو انك لم تشرب الشاي منذ ايام؟

قلت له: نعم انني لم اشرب منذ ايام، بحيث انني اصبحت احلم بشرب الشاي؟

قال: قبل ان نموت يجب ان نشرب الشاي معا!!

قلت له سيدي، هل يا ترى هناك مخاطر علينا؟

قال: انت اذهب الى غرفتي، اجلب لنا كمية من الشاي و السكر و حضر لنا نحن الاثنين شايا لذيذا،لكي نشرب الشاي للمرة الاخيرة و سنقول (الله كريم) حتى صباح اليوم التالي؟!

قمت باعداد ابريق من الشاي ثم جلبت قدحين لي و للسيد امر السرية.

مع شرب الشاي قال لي: هل تعلم بانه لم يبقى ضمن هذه السرية الكبيرة سوى تسعة عشر عسكريا و الباقي قد هربوا و تركوا واجباتهم؟!

يبدو انني لا اعلم شيئا عن ما يحدث من احداث غريبة و محيرة في وحدتنا و ما حولنا، لقد كنت اعتقد بانهم يمزحون و ليسوا جديون فيما يقولونه، لهذا اخير ضحكت و جلست في مكاني صامتا.

بعد ان شربنا الشاي، غسلت الاقداح و ارجعته الى مكانه في الغرفة، سمعت صوت جهاز (راكال) اللاسلكية و يقول (ثلاثة عشر.... ثلاثة عشر.... هل تسمعنا؟).

لذلك قمت باعلام امر السرية و قلت له: سيدي هناك ممن يريدك على جهاز الراكال.

جاء امر السرية و دخل الغرفة، رفع الجهاز و قال: ثلاثة عشر.. ثلاثة عشر.. انا امر السرية معكم؟ يبدو ان المتحدث هو امر الفوج.

اجابه قائلا: امر السرية الخامسة معكم.

امر الفوج اجابه و هو غاضب جدا و قال له: انت نعامة و ليس امر السرية، يا (قشمر) نحن ننتظرك وصولك منذ فترة، تعال بسرعة، لأن الوضع سيء جدا، انسحب بسرعة ممكنة؟

قال له: ماذا علينا ان نفعل؟

قوموا بجمع اسلحة السرية و كان عدد الاسلحة تقريبا تسعين قطعة و حملوه على ظهر البغل ثم تحركوا نحو مقر الفوج.

طريقنا كان صعبا جدا مع حمل ثقيل جدا، انا كنت احمل بعض الرمانات و ثلاث مخازن اطلاقات نارية، بحيث كنت مجبرا على تفجير احدى الرمانات، في هذه اللحظات التفت امر السرية نحوي و قال لي: ماذا حدث؟ لماذا قمت بتفجير هذه الرمانات؟

قلت له: سيدي، احس بان هؤلاء يتبعوننا، لذلك يجب التخفيف من حملنا، لكي نسير بوتيرة اسرع؟

قال لي: كن حذرا لكي لا نقع في يد هؤلاء و يقتلوننا؟

قلت له: لا تقلق، نحن نحمل كل هذه الاسلحة و المتفجرات التي سنستعملها في حال المقاومة معهم.

مشينا مسافة اخرى، كان حمل البغل ثقيلا جدا، لذلك وقع اخيرا في حفرة كبيرة؟

امر سريتنا قال: اذهبوا لكي تسترجعوا البغل مع حمله !

قلت له: المكان معقد جدا و لا نستطيع استرجاعه مع الحمل، سنذهب لأجل تفجير هذه الاسلحة في مكانها، لكي نمنع اسعمالها من قبل هؤلاء المسلحين؟

اجاب امر السرية قائلا: انها فكرة جيدة، لكن لا تترك سلاحك (الآر بي كي) كذلك حاول ان تحمل (البي كي سي) ايضا، لاجل المقاومة فقط.

قلت له: سيدي، ان (البي كي سي) ثقيل جدا و لا استطيع ان احمله، انني في حيرة من حمل (الآر بي كي)؟

قال: هل تحمل أية رمانة يدوية، سلمني واحدة؟

اعطيته رمانة واحدة.

ذهبنا الى البغل و انتزعنا منه الاسلحة، ثم قام امر السرية بتفجير الاسلحة بواسطة تفجير الرماتة فيها؟!

اردنا استرجاع البغل معنا، لكن البغل كان ضعيفا و بذل جهدا كبيرا، حاولنا ان نساعده على النهوض، لكن دون جدوى و لم يستطع النهوض، خصوصا و ان ما حوله كان مغطى تماما بالثلج، لذلك اشفقت عليه كثيرا و اردت قتله و تخليصه من هذا العذاب.

احد الجنود قال لي: بدلا من قتله، لنرفع من امامه الثلوج لكي يحصل على بعض الاعشاب، لكي يأكله، عسى ان يعيد قوته.

اخيرا قمنا برفع الثلج المتجمع امام البغل، وضعنا امامه بعض اوراق الاشجار اليابسة و الاعشاب، ثم تركناه هناك.

بدأنا المسير حتى وصولنا الى منطقة (قرناقة) الى نهر كبير، لكني كنت اخاف من عبوره و الدخول الى النهر، قلت للجنود: انا اخاف من دخول هذا النهر و السباحة، لذلك ساشكركم لو ساعدتموني على عبوره، اخير ا مسكوا يدي و

اخذوني معهم و ساعدوني على العبور، بذلك تبللت ملابسنا تماما في ظل البرد الشديد.

اخيرا وجدت ان جميع الوحدات العسكرية قد اختفت من المنطقة و كأن الارض قد ابتلعها، لا بل وجدنا الكلاب على شكل قطيع تتابعنا في السير؟!

كما قلت سابقا بان اغلبية الضباط و المراتب في سريتنا قد هربوا، باستثنائنا نحن (١٩) جنديا مع امر السرية قد بقينا و لم نهرب، استمر مسيرنا نحو منطقة (بشت اشان) ظهر التعب الشديد على الجنود، لكني كنت احس بانني افضل منهم، بحيث كنت أسير بسرعة، اخيرا اصبحت بعيدا عنهم و كأنني قد انقطعت عن جماعتي، لذلك و صلت قبلهم الى (بشت اشان) عندما وصلت الى هناك، سمعت احدهم يناديني بصوت عال قائلا: قف في مكانك و عرف تفسك؟

وقفت في مكاني و عرفت نفسي، قلت له: انا جندي في الفصيل الاول، السرية الخامسة، الفوج اربع و عشرون.

بعد مرور فترة قصيرة وصل امر السرية و امر الفصيل و البعض من الجنود.

اخيرا بقينا خمسة جنود فقط في سريتنا و استمرينا مع امر السرية و امر الفصيل في المسير، وصل التعب الشديد الى اننا كنا عاجزين عن رفع سيقاننا و لم نستطع سحبها و راءنا، مشينا مسافة اخرى، في تلك اللحظات مر بجانبنا شاحنة (ايفا) و كان فيها عدد من الاشخاص الذين كانوا يرتدون الملابس الكردية، وقفت الشاحنة التي صعدناها و معنا ايضا (امر السرية و امر الفصيل) بعد ان نزولي لأجل مساعدتهم على الصعود، انطلق الشاحنة و حاولت ان تتركني لوحدي، لكني انطلقت مثل الغزال و استطعت الوصول اليها ثم صعودها، احد الموجودين التفت لي و قال لي: ان السلاح الذي تحمله يبدو انه نظيف جدا، لماذا لا تعطيني هذا السلاح؟

ظهر لي بانهم كانوا من الجحوش الذين كنت اكرهم و احقد عليهم كثيرا، فقلت له: يبدو انك انسان جاهل و بدون عقل، الا تراني انا مازلت عسكريا، و هذا السلاح يعتبر (ذمة) علينا نحن العسكريين، اذن كيف تريدني تسليمك سلاحي؟!

اجابني قائلا: أنا لن اقول لك شيئا، لكن من الافضل ان تعطيني هذا السلاح، بدلا من ان ينتزعوه منك جبرا !

بذلك ثبت فعليا بانني مازلت نائما و لا اعرف حقائق الاحداث الجارية في المنطقة، فقلت له: انا لا مانع لدي من أن أقتل نفسي لأجل المحافظة على هذا السلاح؟

قال لي: طيب، سأراك فيما بعد و كيف ستجد نفسك مجبرا على تسليمها لغيري؟!

سارت الشاحنة كثيرا حتى وصولنا الى منطقة (جومان) فوجدت ان مقر فوجنا مختفيا و لم يبقى شيء في مكانه، تفحصنا ما حولنا، لكننا لم نرى أية وحدة عسكرية هناك، بحيث تم افراغ جميع الربايا و مقرات الوحدات تماما؟

بدأنا السير مرة اخرى حتى وصولنا الى الجسر الحديدي الذي كان على النهر، هناك وجدنا عدد من الجنود و الضباط الذين قالوا: (ابقوا هنا هذه الليلة، لكي نعرف ماذا يحدث صباحا و الى اين سيصل مصيرنا و سننتظر الاوامر الجديدة التي قد ستصلنا).

عندما شاهد امر سريتنا بانه لم يبقى معنا سوى اربعة جنود فقط، التفت لي و قال: يجب ادخال الذين تركونا و ارتكبوا جريمة الهروب، يجب اصدار امر تؤكد فيه بانهم دخلول فترة الهروب الرسمي ضمن اوامر القسم الثاني.

انا قلت له: سيدي، انت ماذا تقول؟ يجب ان تعرف جيدا بانه لم يبقى وقت لمثل هذه الاوامر العسكرية، لذلك يجب ان ننتظر لكي نعرف ماذا حدث؟ و نتأكد من حقيقة الاحداث التي تشهدها منطقتنا، يجب ان تعرف بان جنود باقي الوحدات قد هربوا ايضا، أي لم يبقى على جنودنا فقط، ها قد تشاهد بعينيك كيف ان

الوحدات العسكرية قد اختفت تماما و كأن الارض قد ابتلتعها، اما اذا كنت مصرا على اصدار هذه الاوامر، سأقوم بتثبيت و كتابة اسماء الهاربين بانهم مفقودين؟

على اية حال، وجدنا انفسنا في ظل ظلام الليل، ذهب الامر الى باقي الضباط الموجودين هناك، اما بالنسبة لي و للباقين من الجنود، اضطرنا الى القيام بحراستنا المعتادة.

في منتصف الليل، وجدت مدرعة عسكرية تتجه نحونا و وقفت بجانبي، كان فيها شخص واحد و على كتفه نجمتين كرتبة عسكرية، قال لي: قدم نفسك، لكنه لم يطلب مني سر الليل، استمر في الحديث و قال: لماذا انت لوحدك؟

قلت له: انا لست لوحدي، معي عدد من الجنود الاخرين، لكننا انتشرنا في هذه المنطقة.

قال لي: طيب

قلت له: هل تريدني أن اعطيهم الاشارة لكي يجيبونا؟

قال: لا يحتاج، ليحفظكم الله سبحانه و تعالى.

قال هذه العبارة و ذهب.

لقد كنت متحيرا من امره و يا هل كان عسكريا أم لا؟ قلت مع نفسي (لكن الغريب بان هذا الشخص لم يكن على رأسه (البيرية العسكرية) و لم يطلب مني سر الليل، اذن كيف اعتبره ضابطا و عسكريا منظما؟!) ما حولي كان فارغا و لا تجد سوى صوت خرير الماء، لذلك كنت احس بخوف كبير و اوصلت نفسي الى امر سريتنا، قلت له: سيدي، يبدو لي بان مكاننا اصبح فارغا من الجنود و الاغلبية منهم قد ذهبوا و تركونا؟

قال لي: هل احسست باية تحركات غير طبيعية، لذلك تقول مثل هذا الكلام!!

قلت له: قبل فترة وجيزة من الان جاءت مدرعة عسكرية و فيها عسكري بدون بيرية عسكرية، توقف بجانبي و طلب مني أن اعرف نفسي، انا اعتقدت بان هذا الشخص كان من البيشمركة.

قال: هل زودته بمعلومات و قلت له أي شيء يخصنا؟

قلت له: لم يطلب مني سر الليل، لكنه سألني هل يا ترى انت لوحدك هنا؟

عندما قلت العبارة الاخيرة، وجدت ملامح و لون امر السرية قد تغير و ظهر عليه حالة من الخوف و الفزع؟!

قال: اتمنى لو انك لم تزوده باية معلومات؟

انني اقول له سوى اننا مجرد عدد من الجنود و قمنا بتوزيع انفسنا على ربيتين.

عندما سمع امر هذه العبارة نهض على الفور و قال لي: يبدو ان هذا الشخص كان من المخربين، نحن الان في حالة الاستعداد التام و انذار جيم، ففي ظل هذه الليلة المظلمة لا نستطيع التحرك و لا نعرف باية آلية سنعمل و نتحرك، من المؤكد انهم سيهاجموننا و سيقتلوننا؟!

قلت له: سيدي، ماذا يستوجب علينا أن نفعله؟

قال لي: في ظل هذه الليلة لا نستطيع ان نفعل شيئا، لكن عليك ان لا تتركني لوحدي هذه الليلة، حاول مع المراسل أن تقوما بالحراسة، سنذهب صباحا معا الى مقر الفوج، يجب عليك ان توضح ما رأيته هذه لآمر الفوج ايضا، لكي نعرف رأيه بهذا الشأن.

انا في تلك اللحظات الحرجة كنت لا اعرف شيئا عن ما يحدث حولي، و لماذا تغيرت ملامح امر السرية، مع نفسي قلت (سيظهر حقيقة و امكانيات هؤلاء الضباط في مثل هذه الحالات الاستثنائية و يثبت بانهم فعلا جبناء؟!).

عندما نهض الآمر صباحا، قام بارتداء ملابسه و اخذني معه الى الشارع العام، شاهدنا شاحنة (ايفا) العسكرية و هي تمر من امامنا و تحمل عدد من الاشخاص، حيث كانت سريعة جدا، رفعت يدي له، توقفت، امر السرية صعد في الصدر، لكن الاشخاص الذين كانوا في مؤخرة الشاخنة كانوا يرتدون الملابس الكردية و يحملون اسلحة الكلاشنكوف، اعتقدت بانهم من الجحوش و سلمت عليهم، عندما وصلنا، نزلنا و توجهنا الى مقر القوج، وجدت هناك ما بين (٥٠ الى ٤٠) جنديا ، امر السرية توجه الى غرفة امر الفوج و سلم عليه، ثم سأله امر الفوج: يبدو انك قد تمكنت من الوصول الى هنا؟!

قال له: جئت لكي اقول لك شيئا مهما، الجندي الذي يرافقني، يبدو انه شاهد ليلة الامس حدثا غريبا، حيث تؤكد بانه هناك تحركات غير طبيعية في المنطقة، جلبته معي لكي يوضح لك ما شاهده خلال هذه الليلة، لكي نعرف أوامرك بهذا الشأن؟

قال لي: لا يحتاج ان توضحوا لي هذه المسألة، لأنني اعرف هذه المعلومات؟

عندما انتهى من حديثه خرجنا.

قلت لآمر السرية: هل انت متأكد بان الذي تحدثت معه هو شخصية (امر الفوج) الحقيقية؟!

قال لي: ما سبب هذا الكلام يا ترى؟

قلت له: لماذا لم ار الرتبة العسكرية على كتفه؟

عندما قلت هذه العبارة،وجدته في حالة حيرة كبيرة، ثم عاد الى غرفة امر الفوج و قال له: سيدي، لماذا لا أرى الرتبة العسكرية على كتفك؟

اجابه بغضب قائلا: لأنه نحن جبناء، انت فقط تعتبر شجاعا؟ لهذا لم تهتز!

وجدت امر سريتنا خارجا من الغرفة و قال لي: انت قلت الحقيقة، لقد وجدت امر الفوج قد انتزع رتبته من كتفه، يبدو انه كان يعرف المعلومات الكثيرة و التي كانت مجهولة بالنسبة لنا ! !

ثم مسك يدي و اخذني الى احدى الزوايا و قال لي: انت ارفع الرتبة الموجودة على كتفي و لا تقول لي من الآن فصاعدا (سيدي)؟! انا من الآن فصاعدا لست (سيدك) يجب أن تعرف هذه المعلومات جيدا، هل فهمت بصورة واضحة ما قلته لك؟!

قلت: نعم سيدي

قال: لماذا هذا الاصرار على ترديد (نعم سيدي) في هذا الظرف الاستثنائي، سيجعل حياتي و مصيري الموت، مع انني قد اكدت عليك الابتعاد عن ذكر هذه المفردة و لا اعرف لماذا تنسى يا ابو شوارب؟ يبدو لي ان الوضع يتجه نحو الانهيار، بالذات في منطقتنا، لذلك بامكانك ان تقول لي كل شيء الا مفردة (سيدي) الكارثية؟!

استرسل في حديثه قائلا: ان مرحلة تنفيذ و تطبيق النظام و القوانين العسكرية الصارمة قد انتهت مع هذه اللحظات، بمعنى لم يبقى هناك صغير و كبير من الآن فصاعدا! !

اجبته قائلا: لماذا معنوياتك هابطة و منهارة الى هذا الحد؟

قال: آه من منك يا ابو شرارب؟ آه من سذاجتك القاتلة، انا لا اعرف لماذا انت مصر على ان تكون على هذه الدرجة من الغباء؟

بينما و نحن كنا منشغلين بهذا الحديث، شاهدنا طائرة عمودية قد هبطت بالقرب من مقر امر الفوج و نزل منها اثنين من الضباط الكبار، توجها بسرعة الى غرفة امر الفوج، بعد مرور عدة دقائق، وجدناهم قد خرجوا و معهم امر الفوج الذي قال للمتواجدين امام غرفته بما فيهم امر السرية و الضباط

الاخرين: انا ساذهب الى مقر الفيلق، اما بالنسبة لكم جميعا، لكم مطلق الحرية فيما ستفعلونه، الان ليس لدي أي اوامر عسكرية لكي اعطيها و افرضها عليكم، فأنا لن اقول لكم حاربوا او لا؟ لكم الحرية الكاملة بهذا الشأن! !

عندما انتهى من حديثه توجه الى الطائرة وصعدها، لقد ذهب و تركنا جميعا هنا؟!

رئيس اركان فوجنا الذي كان ضابطا عربيا الذي طلب من امر الفوج ان يأخذه معه و يرافقه على متن هذه الطائرة، لكن وجدنا امر الفوج لم يهتم بما قاله هذا الضابط، لا بل حتى انه لم يجيب على ما طلبه؟!تصور الى اين وصلت الكارثة؟!

اخيرا و عندما ارتفعت الطائرة الى السماء، وجدت رئيس اركان الفوج قد اقترب مني، قال لي: والله العظيم و لو كان معي مسدسي الشخصي في هذه اللحظة لوجدتني مفرغا طلقاته النارية عليه و قتلته، ثبت لي حقا بأنه لا يعرف الخجل و الرجولة و انه جبان! !لذلك ليس غريبا أن نجده هاربا و ترك جنوده لوحدهم هنا؟!

مشينا كثيرا حتى وصلنا الى تلة عالية، شاهدنا مجموعة من الاشخاص الذين يرتدون الملابس الكردية الذين قاموا بجمع السلاح و العتاد من تلك الرايا التي تم تركها في لحظات، سلمنا عليهم و سألتهم: مَنْ انتم و ماذا تفعلون هنا؟

احدهم قال: نحن من تنظيمات بيشمركة الفرقة الثامنة و الثمانين.

قلت لهم: لدي احد اقربائي ضمن تنظيمات هذه الفرقة و اسمه رابر سيد برايم.

عندما سمعوا مني العبارة الاخيرة، وجدتهم و هم يرددون بصوت واحد (الله اكبر)! !

اصيبت باندهاش كبير، عندما سمعت منهم و هم يرددون (الله اكبر) و قلت مع نفسي ماذا يقصدون؟!

احدهم قال: نحن في الحقيقة من الجحوش و لسنا من البيشمركة، لكننا انتفضنا ضد هذه الحكومة الدكتاتورية؟

قلت لهم: طيب، هل لديكم مانع لكي ننضم اليكم، نحن على استداد تام لكي نشارك في عملية تحرير باقي المناطق.

احدهم قال لي: انتم يظهر عليكم التعب الشديد و ليس لديكم امكانية المشاركة في العمليات العسكرية، لذلك سنطلب منكم تسليمنا الاسلحة التي عندكم فقط و سنقول لكم في امان الله؟!

اخيرا كنت مضطرا و معي باقي الجنود على تسليم اسلحتنا و قلنا لهم: اننا ليس لدينا أي علم بجغرافية و طرق هذه المنطقة، لذلك سنطلب منكم تحديد الطريق الاقرب لكي نعود فيها.

احدهم قال لي: انزلوا من هذه التلة و خذوا الطريق باستقامة و بدون الانعطافة الى أي منطقة اخرى، بعد السير لمسافة الكيلومترين، ستجدون قرية صغيرة امامكم، حيث تستطيعون ان تأخذوا قسطا من الراحة هناك و تستعيدوا طاقتكم الطبيعية.

بالفعل مشينا حتى وصولنا الى تلك القرية التي كانت تقع خلف منطقة (حاج عمران) و بالقرب من منطقة (خاني) داخل الاراضي الايرانية.

توجها الى احدى البيوت التي طبخت (البرغل مع المرقة) و استقبلونا بحرارة ثم وضعوا امامنا الطعام، خصوصا و نحن كنا نشعر بجوع كبير و لم نتناول أي شيء منذ يومين تقريبا، لذلك تناولنا ما مقسوم لنا بلذة، بعدها جلسنا امام موقد نار الذي كان يعتمد على حرق الخشب الذي يعطي دفئا حقيقيا في ظل البرد الشديد، ثم فرشوا لنا بالقرب من من هذ الموقد، و تمكنا

من تجفيف ملابسنا التي تبللت نتيجة تعرضنا للمطر الغزير طيلة الطريق الطويل، زوجة صاحب البيت كانت تبكي، عندما ترانا بهذا الوضع المزري؟!

سألتها: يا خالتي لماذا تبكين؟

قالت: يا اولادي الاعزاء، أنا فقدت ابنا شابا الذي كان في ريعان الشباب مثلكم، ضاع اثناء الحرب الايرانية العراقية و لا نعرف عنه أي شيء، ادعوا من الله سبحانه و تعالي أن يكون سالما و يكون مثلكم قد لجأ الى احدى البيوت الصالحة، أي لي امل كبير برحمة الله سبحانه و تعالى في أجده مازال حيا و على قيد الحياة.

لقد تأثرنا كثيرا بهذا الحديث الذي كان له الاثر الكبير على اعماقنا و شاركناها البكاء، احد الجنود الذي كان من الاخوة العرب و يحس بالخوف، قال: نحن نعتبر انفسنا أسرى لديكم و نطلب منكم عدم تسليمنا الى القوات الايرانية؟!

قلت له: لا تخاف، نحن جئنا الى هنا بحسب رغبتنا و ارادتنا، يجب أن تعلم بان هذه العائلة الكريمة لا تتصرف معنا بهذا الاسلوب، خصوصا و اننا ضيوف لديهم.

بعد ان احتسينا الشاي الحلو و تلذذنا من رائحته، شعرنا براحة تامة و نظرت الى الجندي العربي الذي كان يرافقني و ابتسمت.

بعد ان شاهدني صاحب البيت و أنا ابتسم، اندهش و سألني: انني اجدك متفائلا و تبتسم؟

قلت له: أنا اضحك على صديقي (ابو سحر) الذ كان يقول لي و هو في ظل الجوع الشديد (أنا أشعر بالجوع الشديد، لذلك انا اتعهد الى الذي سيقوم باطعامي حتى الاشباع، أنا لن أمانع اذا اراد قتلي أو تسليمي؟!).

عندما سمع صاحب البيت ما قلته، وجدته يضع يده بحنان الاب العاطفي على كتفه و احتضنه ثم قام بتقبيل جبينه، قال له: انتم ضيوفنا و اشعر

بسعادة كبيرةلابوجودكم بيننا، لأن الله سبحانه و تعالى قد شرفني باستضافتكم في بيتي و ساقوم بخدمتكم، لأنني اعتبركم بمثابة ابناءً لي، كيف افكر بمثل هذا الاسلوب اللاانساني و اعرضكم الى الاذى؟!

بهذا، قضينا تلك الليلة في بيت هذه العائلة الايرانية الكريمة، في الصباح و بعد أن تناولنا الفطور، قمنا بتهيئة انفسنا لكي ننطلق الى مدينة (جومان) وصلنا الى هناك مع ظهيرة ذلك اليوم، ثم توجهنا الى مقر الفرقة، لم نجد هناك سوى بعض الجنود الذين بقوا بسبب حيرتهم و لم يعرفوا كيف يتصرفون في ظل غياب جميع الضباط و المسؤولين، في حين وجدنا البعض الآخر قد استعد للتوجه الى مدينة (ديانا) لذلك قررنا أن نتوجه نحن ايضا الى هناك.

صادفنا هناك (ملازم اول علي) امر سريتنا و قلت له: سيدي، ماذا تفعل هنا؟

اجابني و هو في حالة حيرة من سؤالي و استعمالي مفردة (سيدي) قائلا: أنا قلت لك سابقا لا تستعمل هذه المفردة التي تثير الخوف على مصيري و لا اعرف لماذا هذا الاصرار؟ لقد قلت لك اترك اسعمالها عندما تصادفني، لذلك لا امانع اذا شتمتني بشتى المفردات المخجلة، أي باستثناء مفردة (سيدي) التي تثير التقزز و الاشمئزاز لدي؟!

بعد ذلك طلب مني ان نتبادل الحذاء العسكري المميز لدي الضباط (البوسطال الاحمر)؟

قلت له: ان حذائي قد غرق في الطين اثناء سيرنا في الطرق الجبلية و لا يفيدك ابدا.

قال لي: لا يهمك أنا موافق على التبادل مهما كان وضع حذاءك العسكري، يجب ان تعلم جيدا انت من سكان هذه المناطق و ليست لديك أية مشكلة في هذا المجال، بحيث تستطيع انقاذ نفسك في كل الحالات، لكن في حال رؤيتي و انا انتعل هذا الحذاء الاحمر سيتأكدون بانني ضابط عسكري و قد اتعرض الى الاذى و الاهانة.

اخيرا سلمته حذائي و انتعلت انا حذائه، ثم تركته، أنا و النائب ضابط ابو سحر و جندي اخر اخذنا طريقنا معا، و نحن في الطريق صادفنا مفرزة من الجحوش و البيشمركة، عند وقوفنا كانوا يطلبون المسدسات، لأنهم كانوا يعتقدون باننا نحملها، خصوصا عند رؤية حذائي الاحمر، لهذا كانوا يعتقدون بانني ضابط ! !

على اية حال،استطعنا تجاوز هؤلاء و ركبنا سيارة حتى وصولنا الى منطقة (باتاس)، لقد تفاجئنا هناك بوجود عدد كبير من الضباط و العسكريين قد توجهوا الى بيت (محمد قادر اغا سورجي) الذي قام باستضافة هؤلاء، لذلك لم يبقى امامنا سوى اللجوء الى هناك، لقد كان هذا البيت يشبه مقر الفوج الكبير مع وجود هذا العدد من العسكريين بمختلف الرتب و المراتب العسكرية، تناولنا وجبة العشاء في هذا البيت، في الليل فرشوا لنا الفراش لكي ننام، و عندما نهضنا في الصباح تناولنا الفطور مع االاحترام الكبير، ثم اخذنا طريقنا سيرا على الاقدام، لان السيارات المارة لا تتوقف، توجهنا الى مدينة شقلاوة التي كانت قد تحررت قبل ايام، وجدنا اهلها قد وضعوا الوجبات الغذائية للعسكريين و الضباط العراقيين الذين تركوا وحداتهم بعد هروب الضباط الكبار، لكننا لم نتوقف عن السير و كنا نسمع بين فترة و اخرى صوت الاطلاقات النارية، لكننا لم نعرف اسبابها و مصدرها، اثناء وجودي داخل سوق شقلاوة، صادفت سلام بن حسن ناصر الذي كنت اعرفه، حيث كان يحمل كمية كبيرة من الخبز و يعطيها الى الذين هربوا، بعد ان سلمت عليه قام باستضافتنا من خلال مأدبة جيدة ثم قال: يجب ان تعلم بان مدينة اربيل لم يتم تحريرها لحد الآن، لذلك ساطلب منك المبيت و البقاء هذه الليلة هنا؟

قلت: كلا، نحن مصرون على العودة الى مدينة اربيل، خصوصا و ان العائلة في حالة القلق على مصيرنا.

اخيرا ركبت سيارة حمل صلاح الدين، السائق قال لنا: انا ساصل مصيف صلاح الدين فقط.

قلت له: سنكون شاكرين لو قمت بتوصيلنا الى هناك، ثم سنأخذ طريقنا سيرا الى سيطرة اربيل، ثم الى بيتنا الواقع في (حي المفتي) عندما وصلنا صادفت والدي الذي اكد لي بانه تم تحرير مدينة اربيل قبل ساعات قليلة، غسلت وجهي و نزعت ملابسي العسكرية و ارتديت الملابس الكردية، ثم توجهت الى معسكر اربيل، جلبت معي سلاح كلاشينكوف ثم رجعت الى البيت.

عند عودتي الى البيت وجدت والدي قد قام بتهيئة الحمام مع الماء الحار لأجل النائب ضابط ابو سحر و (خوديدة) ثم قامت والدتي بتهيئة و طبخ قدر كبير من (الدولمة اللذيذة) للمساء، مع الانتهاء من تناول وجبتنا وقعنا في النوم مباشرة بسبب التعب الشديد.

عندما نهضنا من النوم صباحا، تناولنا وجبة الفطور، ثم وجدت والدتي قد قامت بطبخ قدر من (الرز الاحمر) و قالت لي: عليك اخبار اصدقائك (اننا سنترك مدينة اربيل هذا اليوم خوفا من الحكومة، لذلك عليهم ان يأخذوا معهم هذا القدر من الرز و التوجه الى مسجد (قادر بله) حيث سيجدون هناك جميع الجنود و العسكريين الهاربين قد تجمعوا هناك، لذلك من الافضل لهم البقاء و الانتظار في هذا المسجد.

اوصلت حديث والدتي لأصدقائي (ابو سحر و خديدة) فوجدوا فكرة والدتي معقولا و واقعيا و اخذوا معهم (قدر الرز) قمت بتوصيلهم و الذهاب معهم حتى الوصول الى مسجد قادر بله، فوجدت عددا كبيرا من الجنود و بمختلف المراتب العسكرية، في حين كان سكان مدينة اربيل ينقلون لهم الاغذية و الاغطية و الملابس.

ودعتهم بعد ان تبادل القبلات الاخوية المليئة بالعواطف الجياشة ثم رجعت الى البيت، و مع انني لم يتم تسريحي من الجيش، لكن انهيار الجيش العراقي و تحرير مدينة اربيل و المدن الكردستانية الاخرى، جعلني بعدم التفكير بالعودة مرة اخرى الى الخدمة ضمن الجيش العراقي، بالتالي انقاذ نفسي بصورة نهائية.